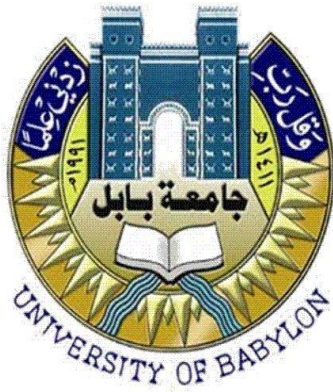


جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة بابل / كلية العلوم الإسلامية

قسم علوم القرآن / الدراسات العليا



مِخْوَرِيَّةُ الْقُرْآنِ وَمَدَارِيَّةُ السُّنَّةِ فِي التَّفَاسِيرِ

المُعَاصِرَة

أُطْرُوحَةُ قَدَّمَهَا الطَّالِبُ

(محمد عباس نهاية الجرياوي)

إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية في جامعة بابل
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في علوم القرآن

بإشراف الأستاذ الدكتور

محمد طالب مدلول الحسيني

٢٠٢٣ م

١٤٤٥ هـ

The Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Babylon / College of Islamic Sciences

Department of Quran Sciences / Graduate Studies



**The centrepiece of the Quranic and the orbit of Sunna in
contemporaneous interpretation**

A thesis submitted by the student

(Mohammed Abbas Nehayah Al-Jiraiwi)

**To the Council of the Faculty of Islamic Sciences at the University of
Babylon**

**which is part of the requirements for obtaining a PhD in Quranic
Sciences**

Under the supervision of

Prof. Dr. : Mohammed Talib Medloul AL- Hussein

1445 AH

2023AD

قال تعالى:

لَخِ لَمِ لَى لِي

أ ء
□ □ □ □ □ □ □
بر ء

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

{ سورة ص: الآية / ٢٩ }

الإهداء

إلى المُدَّخِرِ لتَجْدِيدِ الفرائضِ والسُّنَنِ، مُحْيِي معالَمِ الدينِ وأهلِهِ، المَغِيبِ الذي لم يخلُ
منّا: سيدي ومولاي الحَجَّةَ المنتظر (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشريف).
إلى مَنْ أَفْتَقَدُ حرارةَ تصفيقه فرحًا بإنجازي في هذه اللحظة، ولا أَفْتَقَدُ دعواه التي
أَجْنِي ثمارها كل لحظة (والدي رحمه الله).
إلى من تَعَجَّرُ الكلماتُ عن وَصْفِهَا، الشَّمْعَةُ المقدَّسَةُ التي أُنَارَتْ ظُلْمَةَ دَرْبِي،
فَحَاكَتْ سَعَادَتِي بخيوطٍ منسوجةٍ بدعواتٍ صادقةٍ نابعةٍ من قلبها الحنون (أُمِّي
الحبيبة).

إلى أَسْمَى رموز الإخلاص والوفاء ورفيقة الدرب (زوجتي الغالية).

إلى فِلذاتِ الأَكْبَادِ (أولادي الأعزاء).

إلى من كانوا خيرَ سندٍ لي (إخوتي وأخواتي).

إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور محمد طالب الحسيني.

وإلى من أحبَّ لي بلوغ هذه الدرجة

لكم جميعاً أُهدي هذا الجهد المتواضع وفاءً وتقديرًا.

الباحث

شُكْرٌ وَعُزْفَانٌ

الحمدُ لله حق حمده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله الأخيار
الأطهار ومن والاه إلى يوم الدين.

يطيب لي — وأنا أضع اللمسات الأخيرة في هذه الأطروحة — أن أتقدم بوافر
الشكر والعرفان لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور (محمد طالب مدلول الحسيني)
الذي تفضل بقبول الإشراف على هذه الأطروحة، فتحمل عناء قراءتها، ومتابعتي في
كل مباحثها، إذ كان يبدي توجيهاته وإرشاداته التي تنم عن عمق علمه وسعة
اطلاعه فجزاه الله خير جزاء المحسنين.

والشكر موصول إلى عمادة كلية العلوم الاسلامية متمثلةً بعميدها السابق الأستاذ
الدكتور (عامر عمران الخفاجي) المحترم، ومعاونته العلمي السابق الأستاذ الدكتور
(محمد طالب مدلول الحسيني) المحترم، والمعاون الإداري السابق الأستاذ المساعد
الدكتور (علي حسوني الشريفي) المحترم، وعميدها الحالي الأستاذ الدكتور (حسن
عبيد المعصوري) المكرم ومعاونيه، وهما الأستاذ المساعد الدكتور (رياض رحيم
ثعبان الجبوري)، والأستاذ المساعد الدكتور (فرمان قحط رحيمه الجنابي)، وكذلك
أتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى أساتيذي في السنة التحضيرية، وأخص بالذكر
منهم أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور (حكمت عبيد حسين الخفاجي) الذي كان
له لمسات في صياغة العنوان مع أستاذي المشرف، وتوجيهاته وإرشاداته القيمة،
والشكر الجزيل لرئاسة قسم علوم القرآن متمثلةً برئيسها السابق الأستاذ الدكتور (
دريد موسى الأعرجي)، والحالي الأستاذ الدكتور (حيدر محمد هناء الشلاه)، وأتوجه
بالشكر والعرفان إلى أساتيذي جميعهم في مرحلة البكالوريوس، وكذلك في مرحلة
الماجستير.

والشكر كل الشكر إلى دائرتي، المديرية العامة لتربية بابل، التي منحتني إجازةً دراسيةً للحصول على شهادة الدكتوراه.

والشكر موفورٌ إلى زملائي ممن جمعتني بهم سنوات الدراسة والصدقة الحقة، فقدموا لي ما أمكنهم من مساعدة، مرةً برفدي بما هو جديد من مؤلفات وقعت عليها أيديهم الكريمة أو بحثوا عنها لأجلي، ومرات كثيرة بالدعاء لي بالتوفيق والسداد، وكل من قدّم لي ما يستطيع ولو بكلمة، وفقهم الله لما يحب ويرضى.

والشكر مسوقٌ أيضاً إلى إدارة المكتبات والعاملين فيها، ومنها مكتبة العتبة الحسينية المقدسة في بابل، والمكتبة المركزية في جامعة بابل، ومكتبة كلية العلوم الإسلامية، وغيرها.

والحمد لله أولاً وأخراً .

إقرار المشرف

أشهدُ أنَّ هذه الأطروحة الموسومة بـ (محورية القرآن ومدارية السنة في التفسير المعاصرة)، التي قدّمها الطالبُ (محمد عباس نهاية الجريايوي)، قد جرى إشرافي عليها في قسم علوم القرآن في كلية العلوم الإسلامية جامعة بابل، وأنَّ الأطروحة استوفت خطتها استيفاءً تاماً يؤهلها للمناقشة.

التوقيع:

المشرف: أ. د. محمد طالب مدلول الحسيني

التاريخ: / / ٢٠٢٣م

بناءً على التوصيات المتوافرة، أرشحُ هذه الأطروحة للمناقشة.

التوقيع:

أ. د. حيدر محمد هناء الشلاه

رئيس قسم علوم القرآن

التاريخ: / / ٢٠٢٣م

الملخص

إنّ من المسائل التي وقع الخلاف فيها هي حول طبيعة العلاقة بين القرآن الكريم والسنة، فإذا كان كلاهما حجة، فهل المحورية للقرآن الكريم أم للسنة؟ فهذه من الأسئلة المهمة والملحة للغاية، وذلك لما لها من نتائج وآثار تلقي بظلالها على أكثر من ميدان من ميادين المعارف الدينية، كالتفسير والفقه والأخلاق. ولأهمية التفسير المعاصرة في تقريب علم التفسير من طائفة من الناس الذين لا يستطيعون بحكم مؤهلاتهم التعامل مع مصنفات القدامى، وما تعالجه هذه التفسير من مشكلات العصر المتجددة، ثم برغبة يشوبها ميل ممدوح، ترسم الباحث دراسة موضوع (محورية القرآن ومدارية السنة في التفسير المعاصرة)، فإن دراسة هذا الموضوع يبرز مدى العلاقة القوية بين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، حتى أن السنة النبوية وقفت من القرآن الكريم موقف المفسّر من المفسّر، والمبيّن من المبيّن، فهما متلازمان لا يفترق أحدهما عن الآخر. ومن ثم فهي أصل أصيل من أصول التفسير لا يمكن تجاوزه، وإلا وقع الخلل في التفسير. كما أن هذه الدراسة تعرفنا على شكل العلاقة بين منظومة المعارف الموجودة في القرآن الكريم، ونظيرتها الموجودة في السنة، وهل كل منظومة مستقلة عن الأخرى أم هنالك ترابط بينهما؟

كما أنّ للدراسات المعاصرة أهمية كبيرة؛ لأن الأيام مليئة بالأحداث تأتي كل يوم بما هو جديد؛ ولأن علاقة الإنسان بالإنسان والكون وبالحياة، تتطور تبعاً لتطور التفكير الإنساني. وتكمن أهمية هذه الدراسات في أنّ البحث فيها يبرهن على صدق الإسلام وخلوده وصلاحيته للقيادة والريادة في هذه الحياة.

وقد اقتضى المنهج العلمي الأكاديمي للدراسة أن ينتظم على تمهيد وخمسة فصول وخاتمة ثم ثبت المصادر والمراجع، فكان التمهيد حاملاً في طياته مقاربات

اصطلاحية وكليات عامة في عنوان الأطروحة، فبيّن مفاهيم العنوان في اللغة والاصطلاح، ثم بيّن الجذور التاريخية لمصطلحي المحورية ومدارية.

وجاء الفصل الأول بعنوان (اتجاهات المفسرين المعاصرين في محورية القرآن ومدارية السنة)، وقد أورد الحديث عن المفسرين القائلين بمحورية القرآن، ثم عرض التفاسير التي تبنت محورية القرآن. ثم عرض التفاسير القائلة بمحورية السنة الشريفة. ثم الحديث عن التفاسير القائلة بمحورية القرآن والسنة معاً. وأخيراً كان الحديث عن التفاسير المعاصرة التي اعتمدت محورية القرآن ومدارية السنة.

وتضمن الفصل الثاني (ضوابط محورية القرآن ومدارية السنة وتطبيقاتها)، حيث بيّن الضوابط المنهجية في محورية القرآن ومدارية السنة، ثم الضوابط المعرفية (الفكرية) في محورية القرآن ومدارية السنة.

وجاء الفصل الثالث مختصاً بدراسة (أبعاد محورية القرآن ومدارية السنة التفاسير المعاصرة)، وانتظم الفصل في أربعة مباحث، الأول للبعد العقدي، والثاني للبعد التشريعي، والثالث للبعد الأخلاقي، فيما كان الرابع للأبعاد الأخرى، الاجتماعي والعلمي والسياسي.

أما الفصل الرابع فكان بعنوان (رؤية المفكرين المعاصرين لطبيعة العلاقة بين خطاب الوحي ومدارية التراث التفسيري)، وقد انتظم الفصل في ثلاثة مباحث، درس الأول مفهوم التراث، وبيّن الثاني رأي المفكرين المعاصرين الذين يرون أنّ خطاب الوحي جزء من التراث، أما الثالث فذكرنا فيه رأي المفكرين المعاصرين في عدم ادخال خطاب الوحي في مسمى التراث.

والفصل الخامس والأخير كان الحديث فيه عن (السمات المميزة لمحورية القرآن ومدارية السنة في التفاسير المعاصرة)، وانتظم الفصل في خمسة مباحث، كل مبحث

لسمة من السمات التي تميز محورية القرآن ومدارية السنة، فالأول عن عالمية هذا الخطاب، والثاني عن حاكميته، والثالث كان عن هدايته، والرابع عن رسالة القرآن، والخامس عن تكامليته وشموليته.

وذكرت في الخاتمة النتائج التي توصل إليها الباحث خلال رحلته البحثية، والتي منها:

- ١- من خلال الاطلاع على المعاني اللغوية للمحورية والمدارية يتبين أن القرآن الكريم هو المحور الذي ترجع إليه كل المصادر في عملية التفسير.
- ٢- تبين أن القائلين بمحورية القرآن لا ينكرون السنة، بل يتخذونها مصدرًا في التفسير، على العكس تمامًا من القرآنيين الذين ينكرون السنة تمامًا.
- ٣ - إن محورية القرآن ومدارية السنة تكشف الذين يريدون الابتعاد عن سنة المعصومين (عليهم السلام) بذريعة المصحف، وهم لا يعملون بالمصحف الأمر بالتمسك بالعترة الطاهرة.
- ٤- محورية القرآن ومدارية السنة تُظهر مدى الترابط الوثيق بين القرآن الكريم والسنة النبوية، وإنهما متلازمان لا يفترق أحدهما عن الآخر.
- ٥- إن من أهم الأمور التي تُثبت حجية السنة هي العبادات، فكيف يُمكن استنباط أحكام العبادات وأركانها من النصوص القرآنية.

Summary

One of the issues in question is the nature of the relationship between the Holy Qur'an and Sunna. If both are arguments, is it central to the Holy Qur'an or to the Sunna? These are very important and pressing questions because of their consequences and effects that cast a shadow over more than one field of religious knowledge, such as interpretation, jurisprudence and morality. And because of the importance of contemporary interpretations in bringing interpretation closer to a group of people who, by virtue of their qualifications, are unable to cope with ancient compilations, and what these interpretations address the problems of the renewed times, and then with a desire marred by a laudable tendency, the researcher draws a study of the topic The study of this subject highlights the strong relationship between the Holy Quran and the purified Prophet Sunna, so that the Prophetic Year stood from the Holy Quran the interpreter's attitude to the interpreter, and it is clear from the statement, that they are synergies that do not divide from each other. It is therefore an inherent asset of interpretation that cannot be overstepped, unless there is an imbalance of interpretation. This study also identifies the form of the relationship between the knowledge system in the Holy



Quran, and its counterpart in the year, and is each system independent of the other or is there an interconnection between them?

Contemporary studies are also of great importance; because the days are full of events come every day with what is new; because man's relationship with man, the universe and life evolves depending on the evolution of human thinking. The importance of these studies is that their research demonstrates Islam's sincerity, immortality and competence to lead and lead in this life.

The academic curriculum of the study required that it be organized in the preparation of five chapters and a conclusion and then proven the sources and references. The preliminary course carried terminological approaches and public colleges in the title of the thesis, outlining the title concepts in language and terminology, and then outlining the historical roots of the pivotal and orbital terms.

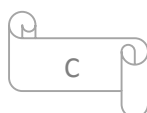
The first chapter was entitled "Trends of Modern Interpreters in the Centrepiece of the Qur'an and the Orbital of the Sunna". He then presented the interpretations of the Year's Honourable Centrepiece. Then talk about the interpretations of the centrepiece of the Qur'an and Sunna together. Finally, talk was

about contemporary interpretations that adopted the centrepiece of the Qur'an and the orbit of the year.

Chapter II (Quran pivotal controls, the year's orbit and its applications) sets out the systematic controls in the Quran pivotal and the year's orbit, and then the cognitive (intellectual) controls in the Quran pivot and the year's orbit.

Chapter III was devoted to the study (the dimensions of the Qur'an and the orbital dimensions of the Year's contemporary interpretations), and the chapter was organized in four investigations, the first of the nodal dimension, the second of the legislative dimension, and the third of the moral dimension, while the fourth of the other dimensions, social, scientific and political.

Chapter IV was entitled "The vision of modern thinkers of the nature of the relationship between revelation speech and the orbit of interpretative heritage". The chapter was organized in three investigations. The first studied the concept of heritage. The second outlined the view of modern thinkers that the speech of revelation was part of heritage. The third mentioned the view of modern thinkers that the speech of revelation should not be included in the title of heritage.



The fifth and final chapter was to talk about (the hallmarks of the Qur'an and the Orbital of the Year in contemporary interpretations). The chapter was to be organized in five investigations. Each research examined a feature that distinguishes the Qur'an and the Orbital of the Year.

In the conclusion, the researcher's findings during his research journey, including:

- 1– By examining the linguistic meanings of the axis and orbit, the Holy Koran is the focus of all sources of interpretation.
- 2–It turns out that the Qur'an mentors do not deny Sunnis, but rather take them as a source of interpretation, quite the opposite of the Korans who deny Sunnis altogether.
- 3– The centrepiece of the Qur'an and the orbit of the year reveal those who want to move away from the year of the infallible (peace be upon them) under the pretext of the Qur'an, and they do not work in the Holy Qur'an by adhering to the pure aturity.
- 4–The centrepiece of the Qur'an and the Editorial of the Year show how closely the Holy Qur'an and the Prophet Sunna are interconnected.

5–One of the most important things that proves the authenticity of the Year is worship, so how can the provisions and elements of worship be derived from Koranic texts.

ثبت المحتويات

الموضوع	رقم الصحيفة
الآية الكريمة	أ
الإهداء	ب
شكر وعرفان	ت - ث
ثبت المحتويات	ج - س
المقدمة	١ - ٧
المبحث التمهيدي: مقاربات اصطلاحية وكلّيات عامة	٨ - ٤٤
المطلب الأول: المفاهيم الاعتبارية للمحورية والمدارية عند العلماء	٩ - ٢٢
أولاً: المحورية في اللغة والإصطلاح	١٠ - ١٣
المحورية في اللغة	١٠ - ١٢
المحورية في الإصطلاح	١٢ - ١٣
ثانياً: المدارية في اللغة والإصطلاح	١٤ - ١٥
المدارية في اللغة	١٤ - ١٥
المدارية في الإصطلاح	١٥ - ١٦
ثالثاً: المحورية والمدارية في الدراسات القرآنية المعاصرة	١٦ - ٢١
المحورية والمدارية في بعديهما التفسيري	١٦ - ١٧
وظيفة الخطاب القرآني ووظيفة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلاقتهما بالمحورية والمدارية	١٧ - ١٩
تقسيمات المحورية والمدارية في الدراسات القرآنية المعاصرة	٢٠ - ٢١
المطلب الثاني: مفهوم المعاصرة في اللغة والاصطلاح	٢٢ - ٢٩
أولاً: المعاصرة في اللغة	٢٣ - ٢٤
ثانياً: المعاصرة في الاصطلاح	٢٤ - ٢٧
ثالثاً: الفرق بين المعاصرة والحدثة	٢٧ - ٢٩
المطلب الثالث: الجذور التاريخية لمصطلحي المحورية والمدارية	٣٠ - ٤٤
الفصل الأول: اتجاهات المفسرين المعاصرين في القول بمحورية	٤٥ - ١٣٨

	القرآن ومدارية السنة
٤٦	توطئة
٧٢ - ٤٧	المبحث الأول: القائلون بمحورية القرآن الكريم
٥٣ - ٤٨	المطلب الأول: القرآنيون وأفكارهم
٥٠ - ٤٨	أولاً: القرآنيون
٥٣ - ٥٠	ثانياً: أفكار القرآنيين
٦٥ - ٥٣	المطلب الثاني: التفاسير المعاصرة التي تبنت محورية القرآن عند مدرسة الصحابة
٧٢ - ٦٥	المطلب الثالث: التفاسير المعاصرة التي تبنت محورية القرآن عند مدرسة الامامية
٨٤ - ٧٣	المبحث الثاني: القائلون بمحورية السنة الشريفة
٧٤	توطئة
٧٩ - ٧٥	المطلب الأول: حجية السنة ومجالات خدمتها للقرآن الكريم
٧٧ - ٧٥	أولاً: حجية السنة النبوية
٧٩ - ٧٧	ثانياً: مجالات خدمة السنة للقرآن الكريم
٨٢ - ٧٩	المطلب الثاني: التفاسير المعاصرة القائلة بمحورية السنة عند مدرسة الصحابة
٨٤ - ٨٢	المطلب الثالث: التفاسير المعاصرة القائلة بمحورية السنة عند مدرسة الامامية
١١١ - ٨٥	المبحث الثالث: القائلون بمحورية القرآن والسنة معاً
٨٦	توطئة
١٠٣ - ٨٧	المطلب الأول: التفاسير المعاصرة القائلة بمحورية القرآن والسنة معاً عند مدرسة الصحابة
١١١ - ١٠٣	المطلب الثاني: التفاسير المعاصرة القائلة بمحورية القرآن والسنة معاً عند مدرسة الامامية
١٣١ - ١١٢	المبحث الرابع: القائلون بمحورية القرآن ومدارية السنة

١١٣	توطئة
١١٦ - ١١٤	المطلب الأول: التفاسير المعاصرة القائلة بمحورية القرآن ومدارية السنة عند مدرسة الصحابة
١٣٢ - ١١٧	المطلب الثاني: التفاسير المعاصرة القائلة بمحورية القرآن ومدارية السنة عند مدرسة الامامية
١٣٨ - ١٣٣	المبحث الخامس: الرأي الراجح في محورية القرآن ومدارية السنة
١٣٦ - ١٣٤	المطلب الأول: رأي المفسرين تجاه السنة والروايات
١٣٨ - ١٣٦	المطلب الثاني: القرآن الكريم هو المرجع العام للرسالة الاسلامية
١٩٥ - ١٣٩	الفصل الثاني: ضوابط محورية القرآن ومدارية السنة وتطبيقاتها في التفاسير المعاصرة
١٦٢ - ١٤٠	المبحث الأول: الضوابط المنهجية في محورية القرآن ومدارية السنة وتطبيقاتها
١٤٣ - ١٤١	توطئة
١٤٩ - ١٤٤	المطلب الأول: الاستفادة من تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة وتطبيقاتها
١٤٦ - ١٤٤	أولاً: المقدرة على تفسير القرآن بالقرآن
١٤٨ - ١٤٦	ثانياً: ضرورة تفسير القرآن من السنة الشريفة
١٥٦ - ١٤٩	المطلب الثاني: الابتعاد عن الاسرائيليات وتطبيقاتها
١٦٣ - ١٥٧	المطلب الثالث: مراعاة السياق وتطبيقاتها
١٥٨ - ١٥٧	السياق لغة:
١٥٩ - ١٥٨	السياق اصطلاحاً
١٦٠ - ١٥٩	مفهوم السياق القرآني
١٦٣ - ١٦٠	أهمية السياق القرآني في بيان المعنى المراد
١٦٩ - ١٦٣	المطلب الرابع: الابتعاد عن تفسير القرآن الكريم بغير الأصول

	المعتمدة وتطبيقاتها
١٦٦ - ١٦٤	أولاً: التكلم بالقرآن بالرأي المذموم
١٦٩ - ١٦٦	ثانياً: ضرب القرآن بعضه ببعض
١٩٥ - ١٧٠	المبحث الثاني: الضوابط المعرفية (الفكرية) في محورية القرآن ومدارية السنة وتطبيقاتها
١٧٥ - ١٧١	المطلب الأول: الضوابط العقديّة وتطبيقاتها
١٧٣ - ١٧١	أولاً: العقيدة السليمة
١٧٥ - ١٧٣	ثانياً: التجرد من الهوى والتعصب المذهبي المذموم
١٨١ - ١٧٥	المطلب الثاني: الضوابط النفسية وتطبيقاتها
١٧٦ - ١٧٥	الموضوعية في البحث
١٧٧ - ١٧٦	الفهم الشمولي
١٧٩ - ١٧٧	الموهبة
١٨١ - ١٧٩	التدبر والتفكر
١٩٥ - ١٨١	المطلب الثالث: الضوابط الاجتماعية وتطبيقاتها
١٨٤ - ١٨١	أولاً: معرفة علوم اللغة العربيّة
١٨٨ - ١٨٤	ثانياً: معرفة علوم القرآن الكريم وتأريخه
١٩١ - ١٨٨	ثالثاً: معرفة علوم الشريعة
١٩٥ - ١٩١	رابعاً: الوعي بمشكلات العصر وأزماته
٢٧٢ - ١٩٦	الفصل الثالث: أبعاد محورية القرآن ومدارية السنة في التفاسير المعاصرة
٢٢١ - ١٩٧	المبحث الأول: البعد العقدي
١٩٩ - ١٩٨	توطئة
٢٠٩ - ٢٠٠	المطلب الأول: الأسماء والصفات

٢١١ - ٢٠٩	المطلب الثاني: النبوة
٢١٥ - ٢١١	المطلب الثالث: الإمامة
٢١٧ - ٢١٥	المطلب الرابع: العصمة
٢٢١ - ٢١٧	المطلب الخامس: القضاء والقدر
٢٢٩ - ٢٢٢	المبحث الثاني: البعد التشريعي
٢٢٣	توطئة
٢٢٧ - ٢٢٤	المطلب الأول: العبادات
٢٢٩ - ٢٢٧	المطلب الثاني: العقود
٢٣١ - ٢٢٩	المبحث الثالث: الإيقاعات
٢٣٣ - ٢٣١	المطلب الرابع: الأحكام
٢٦٠ - ٢٣٤	المبحث الثالث: البعد الأخلاقي
٢٣٦ - ٢٣٥	توطئة
٢٤٨ - ٢٣٦	المطلب الأول: الممدوح من الأخلاق
٢٣٩ - ٢٣٦	أولاً: الصدق
٢٤٥ - ٢٤٠	ثانياً: الصبر
٢٤٨ - ٢٤٥	ثالثاً: الإيثار
٢٦٠ - ٢٤٩	المطلب الثاني: المذموم من الأخلاق
٢٥٣ - ٢٤٩	أولاً: الكذب
٢٥٦ - ٢٥٣	ثانياً: التكبر
٢٦٠ - ٢٥٦	ثالثاً: الخيانة
٢٧٢ - ٢٦١	المبحث الرابع: أبعاد أخرى (اجتماعي، علمي، سياسي)
٢٦٤ - ٢٦٢	المطلب الأول: البعد الاجتماعي
٢٦٧ - ٢٦٥	المطلب الثاني: البعد العلمي
٢٧٢ - ٢٦٧	المطلب الثالث: البعد السياسي
٣٠٨ - ٢٧٣	الفصل الرابع: رؤية المفكرين المعاصرين لطبيعة العلاقة بين

	خطاب الوحي ومدارية التراث التفسيري
٢٨٤ - ٢٧٤	المبحث الأول: مفهوم التراث
٢٧٦ - ٢٧٥	توطئة
٢٧٨ - ٢٧٧	المطلب الأول: التراث لغةً
٢٨١ - ٢٧٩	المطلب الثاني: التراث اصطلاحاً
٢٨٤ - ٢٨١	المطلب الثالث: اشكالية التراث في الفكر العربي المعاصر
٣٠٠ - ٢٨٥	المبحث الثاني: الفريق الأول: الوحي جزء من التراث
٢٨٦	توطئة
٢٩٠ - ٢٨٦	المطلب الأول: أسسُ هذا الاتجاه والقائلون به
٢٩٤ - ٢٩٠	المطلب الثاني: القرآن في ميزان النقد عند محمد أركون
٣٠٠ - ٢٩٤	المطلب الثالث: خطاب الوحي (الكتاب والسنة) جزء من التراث مع لزوم العصمة للوحي بخلاف مكونات التراث
٣٠٨ - ٣٠١	المبحث الثالث: الفريق الثاني: الوحي لا يدخل في مسمى التراث
٣٠٢	توطئة
٣٠٣	المطلب الأول: أسس هذا الاتجاه
٣٠٨ - ٣٠٤	المطلب الثاني: القائلون بهذا الاتجاه
٣٦٢ - ٣٠٩	الفصل الخامس: السمات المميزة لمحورية القرآن ومدارية السنة في التفاسير المعاصرة

٣١٠ - ٣٢٠	المبحث الأول: عالمية الخطاب القرآني
٣١١	توطئة
٣١٢ - ٣١٣	المطلب الأول: عالمية القرآن في الكتاب والسنة
٣١٢ - ٣١٣	أولاً: عالمية القرآن في الكتاب
٣١٣	ثانياً: عالمية القرآن في السنة
٣١٤ - ٣١٦	المطلب الثاني: معنى عالمية الخطاب القرآني وأهميتها
٣١٤	أولاً: معنى عالمية الخطاب القرآني
٣١٤ - ٣١٦	ثانياً: أهمية عالمية الخطاب القرآني
٣١٧ - ٣٢٠	المطلب الثالث: المجالات المعاصرة لعالمية الخطاب القرآني
٣٢١ - ٣٣٠	المبحث الثاني: حاكمية الخطاب القرآني
٣٢٢ - ٣٢٤	المطلب الأول: مفهوم الحاكمية في اللغة والاصطلاح
٣٢٤ - ٣٢٧	المطلب الثاني: معاني الحاكمية في القرآن الكريم
٣٢٧ - ٣٣٠	المطلب الثالث: رأي المفسرين المعاصرين في حاكمية الخطاب القرآني
٣٣١ - ٣٤٠	المبحث الثالث: هداية الخطاب القرآني
٣٣٢	توطئة
٣٣٣ - ٣٣٦	المطلب الأول: التفسير وتجليات هداية القرآن
٣٣٦ - ٣٤٠	المطلب الثاني: الهداية ومراتبها في القرآن الكريم

٣٥٢ - ٣٤١	المبحث الرابع: رسالة الخطاب القرآني
٣٤٢	توطئة
٣٤٦ - ٣٤٢	المطلب الأول: رسالة الخطاب القرآني في السياسة
٣٥٠ - ٣٤٦	المطلب الثاني: رسالة الخطاب القرآني في المعاشرة
٣٥٢ - ٣٥٠	المطلب الثالث: إيجابية رسالة الخطاب القرآني
٣٦٠ - ٣٥٣	المبحث الخامس: تكامل الخطاب القرآني وشموليته
٣٥٧ - ٣٥٤	المطلب الأول: خلود الخطاب القرآني
٣٥٧	المطلب الثاني: كمال الخطاب القرآني
٣٥٩ - ٣٥٨	المطلب الثالث: شمولية الخطاب القرآني
٣٥٩	المطلب الرابع: حاكمية القرآن الكريم على سائر الكتب السماوية الأخرى
٣٦٢ - ٣٦٠	المطلب الخامس: الآيات المبيّنة لتكامل القرآن الكريم
٣٦٧ - ٣٦٣	خاتمة البحث ونتائجُه
٣٦٨	التوصيات التي خرج بها البحث
٤٠١ - ٣٦٩	ثبت المصادر والمراجع
٤٠٤ - ٤٠٢	الملخص باللغة العربية
A - E	الملخص باللغة الانكليزية

المبحث التمهيدي: مقاربات اصطلاحية وكليات عامة^{٢٨}

المطلب الأول: المفاهيم الاعتبارية للمحورية والمدارية عند العلماء

المطلب الثاني: معنى المعاصرة في اللغة والاصطلاح

المطلب الثالث: الجذور التاريخية لمصطلحي المحورية والمدارية

المطلب الأول: المفاهيم الاعتبارية للمحورية والمدارية عند العلماء

أولاً: المحورية في اللغة والإصطلاح

ثانياً: المدارية في اللغة والإصطلاح

ثالثاً: المحورية والمدارية في الدراسات القرآنية المعاصرة

أولاً: المحورية في اللغة والاصطلاح

المحورية في اللغة

المحورية اسم مؤنث منسوب إلى (محور). ولمعرفة معنى المحورية في اللغة، لا بدّ من التعرف على المعنى اللغوي لكلمة (محور)، فالمحور في المعاجم اللغوية له تعريفاتٍ عدةٍ منها:

المِحْوَرُ: ((العُودُ الذي تَدَوَّرُ عليه البَكْرَةُ، وريِّماً كان من حديدٍ. والمِحْوَرُ: عُوْدُ الخَبَّازِ))^(١). وبناءً على هذا التعريف يكون المحور هو الأصل والأساس الذي تدور حوله الأشياء.

وعند ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) أنه من (حَوَّرَ) إذ أنَّ ((الحاء والواو والراء ثلاثة أصول: أحدها لون، والآخر الرجوع، والثالث أن يدور الشيء دوراً... والأصل الثالث المحور: الخشبة التي تدور فيها المحالة. ويقال حورت الخبزة تحويراً، إذا هيأتها وأدرتها لتضعها في الملة))^(٢).

(١) معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (ت ٣٥٠ هـ)، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ٣ / ٣٥٣ باب مِفْعَل. و شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت ٥٧٣ هـ)، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإيراني - د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق - سورية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ٣ / ١٦١٨. ومجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥ هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، الناشر: مرتضوي، الطبعة الثانية، ١٣٦٢ ش، ٣ / ٢٨٠. والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة، ١ / ٢٠٦ باب الحاء.

(٢) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (ت ٣٩٥ هـ)،

وقال ابن منظور (ت ٧١١هـ): ((الحديدة التي تدور عليها البكرة يقال لها: محور. والمحور العود الذي تدور عليه البكرة وربما كان من حديد. والمحور: الهنة والحديدة التي يدور فيها لسان الإبريم في طرف المنطقة وغيرها. والمحور: عود الخباز... وسمي محورًا لدورانه على العجين تشبيهًا بمحور البكرة واستدارته))^(١).

والمَحْوَرُ، ((كَمِنْبَرٍ: الحديدَةُ التي تَجْمَعُ بَيْنَ الخُطَافِ والبَكْرَةِ، وخَشَبَةٌ تَجْمَعُ المَحَالَّةَ، وهَنَةٌ يَدُورُ فيها لِسَانُ الإِبْرِيمِ في طَرَفِ المِنْطَقَةِ وغيرها))^(٢).

ويذكر الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، أنه ((قِيلَ لَهُ مَحْوَرٌ للدَّوْرَانِ؛ لَأَنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى المَكَانِ الَّذِي زَالَ عَنْهُ، وَقِيلَ إِنَّمَا قِيلَ لَهُ مَحْوَرٌ؛ لَأَنَّهُ بِدَوْرَانِهِ يَنْصَلِقُ حَتَّى يَبْيَضَّ))^(٣).
والمَحْوَرُ مفرد، جمعه محاور، ومحور العربية قضيب يربط بين عجلتيها، ويقال أن الموضوع الفلاني هو محور الحديث، ومحور الأرض هو خط مستقيم تدور

تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ٢ / ١٧ باب الحاء والواو وما معهما من الحروف، مادة (حَوَرَ).

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ) الناشر: دار صادر، بيروت الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ، ٤ / ٢٢١ فصل الحاء المهملة مادة (حور).

(٢) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ١ / ٣٨١ باب الرء فصل الحاء.

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ١١ / ١٠٨ مادة (حور).

الأرض حوله، والمحورية مصدر صناعي من محور، وقضية محورية أي مركزية أساسية ترتبط بها مشكلات أو قضايا أخرى^(١). وبعد الإطلاع على المعاني اللغوية لكلمة (المحور)، يتبين لنا أنّ المحور هو الشيء أو المركز الذي تدور حوله الأشياء، ودوران الأشياء حوله إمّا لعائديتها إليه، أو لتكاملها به، أو لكاشفيّته عنها، فمثلاً المصباح المضيء فإنّه عادةً ما يرسم دائرة ضوئية حوله، فكل ما هو واقع في دائرته فهو منكشف به، أو كنقطة المركز في الدائرة، فإنّها منشأ كل شعاع منبثق من الدائرة، ولذا فكل شعاع لا ينطلق منها أو ينتهي عندها فهو لا يمت للدائرة بصلة، وهذا هو التصوير اللغوي للمحورية والمحور. وبهذا يكون القرآن الكريم هو المحور الذي ترجع إليه كل المصادر في عملية التفسير.

المحورية في الاصطلاح

الناظر في تعريف المَحْوَر اصطلاحاً يرى أن معناه في الاصطلاح لا يخرج عن معناه اللغوي، فقد جاء في تعريفه:

هو: ((العود الذي في وسط البَكْرَةِ وربما كان من حديد، ويقال للمحور: المِرْوَدُ))^(٢).

(١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ١ / ٥٧٩ مادة (ح و ر).

(٢) المنتخب من غريب كلام العرب، أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي الأزدي (ت بعد ٣٠٩هـ)، تحقيق: د محمد بن أحمد العمري، الناشر: جامعة أم القرى (معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، ١ / ٤٥١.

ومِحْوَر العَضَلَة: ((العَصَب الذي ينفذ في العَضَلَة من جِهَة ويخرج من أُخْرَى))^(١).

وفي تعريف آخر، هو: ((بالكسر ثم السكون ثم الفتح في اللغة الفارسية بمعنى: دُولَاب السَّهْم الذي يدور عليه... وعند المهندسين هو الخطُّ المستقيم الواصل بين القطبين أي المتوهم وصوله بين القطبين... ومحور العالم هو محور الفلك الأعظم كما ورد في لفظ القطب ويسمى بخط المحور))^(٢).

وقيل حور: ((القائم المثبت في الطبقة الأسفل من الرحي يدور عليه الطبقة الأعلى، ومنه: قطب الدائرة))^(٣).

وفي المعجم الوسيط هو: ((العود من حَدِيد أو غَيْرِه تَدُور عَلَيَّه البكرة وعود الخباز والخشبة يبسط بها العَجِين والمكواة و (في الهندسة) الخط المُسْتَقِيم الوَاصِل بَيْن قُطْبِي الكُرَة وَمِنْهُ محور الأرض ومحور الإِيزِيم مَا يَدُور حَوْلَهُ))^(٤). ومن خلال هذه التعريفات الاصطلاحية يتبين أن معنى المحور لا يخرج عن معناه اللغوي، فهو الأصل الذي تدور حوله الأشياء.

(١) بحر الجواهر في تحقيق المصطلحات الطبية، محمد بن يوسف الطيب الهروي (ت ٩٤٩هـ)، نسخة حسنة خطها معتاد مطبوع، ٢٢٤.

(٢) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ) تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ٢ / ١٤٩١.

(٣) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلججي - حامد صادق قنبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ١ / ٣٦٦.

(٤) المعجم الوسيط، ابراهيم مصطفى وآخرون، ١ / ٢٠٦.

ثانيًا: المدارية في اللغة والإصطلاح

المدارية في اللغة

الْمَدَارِيَّةُ: اسم مؤنث منسوب إلى مدار وهي في صورة مفرد مذكر وجذرها (دَوَّرَ). والمدار لغة كما جاء في المعاجم بالمعاني الآتية:

المدارُ ((موضع للشيء الذي تدير به كالحبل تديره على شيء، وموضعه من ذلك الشيء مدار. والمدار يكون كالدوران فيجعل اسمًا نحو مدار الفلك))^(١). والمدار الموضع الذي يُدار فيه. ومدار الفلك: دورانه^(٢).

وعند ابن منظور (ت ٧١١هـ) من: دار الشيء يدور دَوْرًا ودَوْرَانًا ودُوْرًا واستَدَارَ وأَدْرَتْهُ أَنَا ودَوَّرْتُهُ وأَدَارَهُ غَيْرُهُ ودَوَّرَ بِهِ ودُرْتُ بِهِ وأَدْرْتُ اسْتَدَرْتُ، ودَاوَرَهُ مُدَاوَرَةً ودَوَارًا: دَارَ مَعَهُ. ويُقَالُ: دَارَ دَوْرَةً وَاحِدَةً، وهي المَرَّةُ الواحدة يدورها. يُقَالُ: دَارَ يَدُورُ وَاسْتَدَارَ يَسْتَدِيرُ بِمَعْنَى إِذَا طَافَ حَوْلَ الشَّيْءِ وَإِذَا عَادَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي ابْتَدَأَ مِنْهُ. ودار حول الشيء أحاط به. والمدارُ مَفْعَلٌ يَكُونُ مَوْضِعًا وَيَكُونُ مَصْدَرًا كالدَّوْرَانُ، وَيُجْعَلُ اسْمًا نَحْوَ مَدَارِ الْفَلَكَ فِي مَدَارِهِ^(٣).

وقولهم ((دارت المسألة أي: كلما تعلقت بمحل توقف ثبوت الحكم على غيره فينقل إليه ثم يتوقف على الأول وهكذا))^(٤). وأدار الشيء: جعل حركاته تتواتر

(١) كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، ٨ / ٥٧.

(٢) ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان الحميري اليمني، ٤ / ٢١٩١.

(٣) ينظر: لسان العرب، ٤ / ٢٩٥ - ٢٩٦ مادة (دَوَّرَ).

(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، ١ / ٢٠٢ مادة (دور).

بعضها في إثر بعض، جعله يدور. وأدار محرك السيارة: شغله، وجعله يدور ويعمل. واستدار الشخص: دار، طاف حول الشيء أو حول نفسه^(١). ومن خلال هذه التعريفات يتبين أن المدار هو الطواف حول الشيء.

ويُعد اصطلاح (مدارية السنة) من الاصطلاحات المعاصرة، ولعل أول من أشار إليه هو الشيخ الدكتور علي نصيري في كتابه (العلاقة المتبادلة بين الكتاب والسنة)، والذي حاول إثبات أن السيد الطباطبائي في منهجه التفسيري (تفسير القرآن بالقرآن)، لا يراد بها الاستغناء عن السنة الشريفة، وإنما أراد أن يجعل من القرآن هو المحور، والسنة هي المدار الذي يدور حول القرآن^(٢).

المدارية في الاصطلاح

جاء في تعريف المدار اصطلاحاً تعريفات عدة منها:
المدار هو ((بالفتح مركز التّطواف والدّوران. ومركز الأرض، يعني وسط الأرض. وهو عند أهل الهيئة^(٣) دائرة حادثة من حركة أيّة نقطة تفرض على الكرة المتحرّكة بالحركة الوضعية))^(٤).

وفي تعريف آخر قيل أن المدار هو: ((مَوْضِع الدّوران ومدار الأمر ما يجري عَلَيْهِ غالباً ومسير الكَوَاكِب السيارة حول الشَّمْس أو هُوَ مسير القَمَر حول الكَوَاكِب

(١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد، ١/ ٧٨٢ — ٧٨٦.

(٢) ينظر: العلاقة المتبادلة بين الكتاب والسنة، الدكتور علي نصيري، مؤسسة تحقيقات الثقافة والعقيدة الإسلامية، طهران، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ٤٦.

(٣) وهم الذين ينظرون في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيزة، وعلمهم يسمى (علم الهيئة)، ومن براهينه أن مركز الأرض مباين لمركز فلك الشمس بوجود حركة الإقبال والإدبار. { ينظر: مقدمة ابن خلدون، العلامة ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ — ٢٠٠٤م، ٢ / ٢٦٠. }

(٤) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ٢ / ١٤٩٨ — ١٤٩٩.

الَّذِي يَدُورُ الْقَمَرُ حَوْلَهُ وَ (مَدَارُ الْأَرْضِ) الْفَلَكُ الَّذِي تَدُورُ فِيهِ الْأَرْضُ حَوْلَ الشَّمْسِ))^(١).

ومن خلال ما تقدم يمكن أن يكون المركب الإضافي (محورية القرآن)، بمعنى أن القرآن هو الأساس وهو الأصل وهو الكل، وجعل الروايات في مستوى المدارية أي تدور مدار المحور، فالرواية لا بد أن تدور مدار القرآن، فهو القطب والمركز والروايات تدور حوله. أما المحورية والمدارية عند المفسرين فسنتوفي الحديث عنها في الفصل الأول من الأطروحة.

ثالثاً: المحورية والمدارية في الدراسات القرآنية المعاصرة

قبل البدء في بيان المحورية والمدارية في الدراسات القرآنية المعاصرة، لا بد أن نذكر المحورية والمدارية في بعديهما التفسيري، ثم نبين وظيفة الخطاب القرآني ووظيفة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، لما له من ارتباط في معرفة تقسيمات المحورية والمدارية، وأثره في تفسير القرآن الكريم.

١ - المحورية والمدارية في بعديهما التفسيري

إن العملية التفسيرية لا تقتصر على توضيح ألفاظ النص أو على عرض تفصيلات أجملها النص المفسر، بل محورها الحقيقي يدور حول بيان مقاصد النص على مستوى الظاهر، وهذا البيان يحتاج إلى عملية تثبت وتدقيق وتحقيق لا تفي بها النصوص الامتدادية، ولذلك ليس أمامنا سوى المحور القرآني، فالمحور يشكل الحجر الأساس في العملية التفسيرية^(٢).

أما المدارية في بعدها التفسيري، فإن النصوص فيها تحتاج إلى إلفات نظر أو تبين؛ لاحتمال وقوع الخطأ في تشخيص القارئ، كما في قوله تعالى: أأ □ □

(١) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ١/ ٣٠٣.

(٢) ينظر: منطق فهم القرآن - الأسس المنهجية للتفسير والتأويل في ضوء آية الكرسي، أبحاث السيد كمال الحيدري، بقلم الدكتور طلال الحسن، تدقيق ومراجعة: عبد الرضا عبد الحسين، دار فراق، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، ٢/ ٦٥.

□ □ □ {الفتح: ١٠}، فإن اليد لا يراد بها العضو الحسي؛ لأن الله تعالى وجود بسيط تام التجرد، وهذا واضح ولكنه يحتاج إلى تنبيه، وتارة يكون بحاجة إلى تبیین، كما هو الحال في تفصيل المجمل، كما في قوله تعالى: أَمْ يَحْزَنُونَ بِهِمْ نَحْنُ نَخْتَرُ لَهُمْ إِنْ يَكُنْ لَهُمْ شَاءُ مِنْ شَيْءٍ فَإِنْ عَلِمُوا بِمَقْصُودِ غَيْبِ وَجْهِ رَبِّهِمْ لَسَوْفَ لَكُمْ بِهِ عَذَابٌ آَلِيمٌ {آل عمران: ٩٧}، فإن مناسك الحج ومعنى الاستطاعة بحاجة إلى بيانات المعصوم (عليه السلام) (١).

٢ - وظيفة القرآن الكريم ووظيفة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلاقتهما بالمحورية والمدارية

لقد حدد الخطاب القرآني وظيفته وبيان طريق الحق في المعارف، والأحكام، والأخلاق. ويُعتقد أنّ للقرآن وظائف ثلاث: وظيفة معرفية، وأخرى روحية، وثالثة سلوكية، فالوظيفة المعرفية للقرآن هي أنّه مصدر للعقيدة، ومن المفترض أن نبني تصوراتنا الاعتقادية ورؤيتنا الكونية على أساس القرآن الكريم ومن وحي ما تضمنته آياته، ووظيفته الروحية، فباعتباره مصدرًا للبناء الروحي؛ لأن الإنسان لا يحتاج فقط إلى معارف عقلية، بل هو بحاجة إلى ما يملأ القلب والوجدان، وأما العملية والسلوكية للقرآن، فبِعَدِهِ كتاب الحياة، وكتاب التشريع والأخلاق، فسلوكنا وأخلاقنا وكل حياتنا لابد أن تتسجم مع القرآن وتستقي منه (٢).

□ □ □ وحدد وظيفة الرسول بالتبليغ وبيان الرسالة الإلهية بقوله تعالى: أَمْ يَحْزَنُونَ {النحل: ٤٤}. يرى الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) أنّ الذكر هو الذي شأنه أن يذكر: أي يتلى ويكرر، والذكر ما أنزل ليقرأه الناس ويتلوه تكررًا ليتذكروا ما اشتمل عليه. والتبيين: إيضاح المعنى. وإسناد التبيين إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) باعتباره مبلِّغًا لهذا البيان للناس كافة، واللام في (لتبيين) على هذا الوجه لذكر العلة الأصلية في إنزال القرآن. وإنما أتى بلفظه مرتين للإيماء إلى التفاوت بين الإنزالين، فإنزاله إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مباشرة، وإنزاله لإبلاغه إليهم. فالمراد بالتبيين على هذا النحو تبیین ما

(١) ينظر: منطق فهم القرآن، ٦٥ - ٦٦.

(٢) ينظر: حاكمية القرآن: دراسة تأصيلية حول علاقة السنة بالكتاب ودورها في تفسيره، حسين

أحمد الخشن، دار روافد للطباعة والنشر والتوزيع، ١٠ - ١١.

في القرآن من المعاني، وتكون اللام لتعليل بعض الأحكام الحافة بإنزال القرآن فإنّها كثيرة، فمنها أن يبينه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فتحصل فوائد العلم والبيان. وعطف (لعلهم يتفكرون) حكمة أخرى من حكم إنزال القرآن، وهي تهئية تفكر الناس فيه وتأمّلهم فيما يقربهم إلى رضى الله تعالى. فعلى الوجه الأول في تفسير (لتبين للناس) يكون المقصود: أن يتدبروا هم في معاني القرآن وفهم فوائده. وعلى الوجه الثاني: أن يتفكروا في بيانه ويعوه بأفهامهم^(١).

ويرى الشيخ ناصر الشيرازي أن وظيفة الأنبياء هي إبلاغ رسالة السماء والوحي الإلهي، وإيصال دعوة الله إلى الناس والسعي الحثيث لتحقيق أهداف الوحي، ولا يمكن استعمال قوى إلهية خارقة للسنن الطبيعية لإجبار الناس بقبول الدعوة وترك الانحرافات، وإلاّ فما كان هناك فخر للإيمان ولا كان هناك تكامل^(٢).

فبيان النبي (عليه الصلاة والسلام) على أقسام: منها بيان ما أنزل إليه الوحي من القرآن بظهوره على لسانه بعد أن كان خافياً على الحاضرين. ومنها بيان ما احتاج إليه المسلمون، كبيان الظلم الوارد في قوله تعالى: أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ يَتْلُو آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ {الأنعام: ٨٢}، بأنه الشرك. ومنها البيان بالفعل كما بيّن أوقات الصلاة للسائل. ومنها بيان ما سُئِلَ عنه من الأحكام التي لم يذكرها القرآن فنزل القرآن ببيانها كما سُئِلَ عن قذف الزوجة فجاء القرآن باللعان ونظائره، وغير ذلك من أقسام البيان^(٣).

(١) ينظر: التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ١٤ / ١٦٣ - ١٦٤.

(٢) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، طبعة جديدة منقحة مع إضافات، المكتبة الألكترونية - أهل البيت (عليهم السلام)، الإصدار الثاني، ٨ / ١٩٨.

(٣) ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ٢ / ٢٢٥.

مما سبق يتبين لنا أن إنزال الذكر إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وتنزيل الكتاب إلى الناس واحد بمعنى أن تنزيله إلى الناس ليأخذوا به، ويعملوا بشرائعه بعد بيان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) التدريجي إليهم، وهذا هو غرض الإنزال المصرح به في الآية رجاء أن يتفكروا فيما يبينه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لهم من المعارف والمصالح، ويتلقى الناس الذكر فيهدتوا به. فيكون المراد بالذكر المنزل لفظ القرآن الكريم، وبما نزل إليهم معاني الأحكام والشرائع والمعارف الإلهية، وأحوال التاريخ الإنساني، وأخبار المستقبل، وأنباء الآخرة. هذا كله في بيان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) المتلقى بالمشافهة، ومعايشة زمن التنزيل ومكانه، والحركة النبوية الملابسة لتنزيل الخطاب القرآني.

ومن الآيات القرآنية الكريمة التي حددت وظيفة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في تبليغ الرسالة، قوله تعالى: **أَأُبْرِئُكُمْ مِنْ أَنْ يَأْتِيَنَّكُمْ رَسُولٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يُذَكِّرُ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ كَانُمْرًا هَآمًا** {المائدة: ٦٧}، فإن الآية الكريمة تدل الآية على أن هناك أمرًا هامًا نزل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد أمره الله بتبليغه إلى الناس، وإن الله سبحانه وتعالى حثه على التبليغ حالاً، وهو سبحانه سيتولى حمايته وعصمته من كل مكروه^(١). فهذه الآية الكريمة هي من الآيات التي حددت وظيفة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في تبليغ الرسالة، وإن الله سبحانه وتعالى متكفل بحفظه وعصمته من أذى الناس.

٣- تقسيمات المحورية والمدارية في الدراسات القرآنية المعاصرة

هنالك العديد من الأقوال التي طُرحت حول المحورية والمدارية في تفسير القرآن، فالبعض يرى أن القرآن هو المحور، والبعض الآخر يرى أن السنة هي المحور، وبعضهم يرى أن كلاهما محور، ومنهم من يرى أن القرآن محور والسنة

(١) ينظر: التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ)، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠م، ٣ / ٩٧.

هي المدار^(١)، وقد ذكر السيد كمال الحيدري هذه الأقوال وحددها في أربعة أقسام^(٢)، وهي كالآتي:

أولاً: محورية القرآن، ويُراد بها تفسير القرآن بالقرآن دون الرجوع إلى أمر آخر، وأصحابها هم الذين يُصطلح عليهم قرآنيون^(٣).

ثانياً: محورية السنة، ويُراد بها تفسير القرآن بالسنة الشريفة فقط لا غير، وهؤلاء هم أنفسهم الذين أنكروا حجية ظواهر القرآن^(٤)، وهؤلاء المُسمَّون بالأخباريين^(٥) بفتح

(١) ينظر: نظرية السنة في الفكر الإمامي الشيعي - التكون والصيرورة، حيدر حب الله، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، ٣٠٠ - ٣٠١ .

(٢) ينظر: منطق فهم القرآن، ١ / ٥١ - ٥٢ هامش رقم (٤).

(٣) وهم الذين لا يأخذون إلا بالقرآن الكريم، ولا يحتجون بالسنة ولا يعملون بالأحاديث. { ينظر: حجية السنة ودحض الشبهات التي تثار حولها، أبو حفص محمود بن أحمد بن محمود طحان النعيمي، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة الرابعة - العدد الثالث، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، ٤٠ }.

(٤) ومعنى حجية ظواهر القرآن هي أن معانيه تُفهم من ظواهره، ولو كان القرآن من قبيل الأغاز لم تصح مطالبة العرب بمعارضته، ولم يثبت لهم إعجازه؛ لأنهم ليسوا ممن يستطيعون فهمه. { ينظر: البيان في تفسير القرآن، الامام الأكبر زعيم الحوزة العلمية السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت ١٤١٣هـ)، دار الزهراء، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، ٢٦٤ }.

(٥) هم فرقة من الفقهاء الإمامية، ذهبوا إلى القول بقطعية روايات الكتب الأربعة، وأنَّ أحاديثها مقطوعة الصدور عن المعصومين (عليهم السلام)، وهم يحرمون الاجتهاد، وسموا بالإخباريين لأنهم يقتصرون في معرفتهم للأحكام الشرعية على الأخبار أو الروايات الواردة عن أهل البيت (عليه السلام)، وأسقطوا الاستدلال بالمصادر الثلاثة الأخرى وهي القرآن والإجماع والعقل. فهم لا يستدلون بالقرآن بذريعة أن القرآن لا يفهمه سوى أهل البيت والواجب الرجوع إلى أحاديثه، ويُقال أن رئيسهم هو الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ). { ينظر: كليات في علم الرجال، الشيخ جعفر السبحاني، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، ٣٥. وأزمة الخلافة والإمامة وآثارها المعاصرة، أسعد وحيد القاسم، الناشر: الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ٢٧٥ }.

الهمزة كما هو الصحيح، وليس بكسرهما كما هو المشهور، والقرآن عندهم مُفسّر للقرآن ولكن شرط أن يكون المفسّر هو المعصوم عليه السلام، وما عداه ليس أمامه سوى السنّة.

ثالثاً: محورية القرآن والسنّة معاً، ويُراد بها اعتماد القرآن والسنّة الشريفة مصدرين أساسيين في العملية التفسيرية، فالسنّة ليست مؤكّدة ولا مُعمّقة فحسب وإنما هي مصدر تفسيريّ أساسي.

رابعاً: محورية القرآن ومدارية السنّة، ويُراد بها ما بيّنه السيد كمال الحيدري، وهذا القول الرابع هو القول المعتمد عند السيد الطباطبائي في الميزان، وعند السيد كمال الحيدري في كتاب منطق فهم القرآن، فلا الطباطبائي ولا ما عليه السيد الحيدري في كتابه قرآنيّين بحسب الاصطلاح، ولا هما إخباريان، ولا محوريان للقرآن والسنّة الشريفة معاً.

ونرى أن السيد كمال الحيدري في القسم الأول وهو محورية القرآن، قد جعل كل من يفسر القرآن بالقرآن هو من القرآنيين، ولكن عندما نطالع التفاسير المعاصرة نرى أن أكثر الذين يفسرون القرآن بالقرآن يرجعون إلى السنّة الشريفة ويستعينون بها في تفسير الآيات.

والذي يبدو أن الأصح هو الرأي الرابع الذي جعل المرجعية الدينية للقرآن الكريم، وله المحورية، مع ثبوت المدارية للسنّة الشريفة، فليست السنّة مصدرًا مستقلًا في قبال القرآن الكريم، فالمرجعية للقرآن الكريم، وعليه تدور السنّة. وسوف نفصّل في هذه التقسيمات أعلاه في الفصل الأول من الدراسة بحسب كل اتجاه مع زمرة ما يلحقه من تفاسير معاصرة.

المطلب الثاني: مفهوم المعاصرة في اللغة والإصطلاح

أولاً: المعاصرة في اللغة

ثانياً: المعاصرة في الاصطلاح

ثالثاً: الفرق بين المعاصرة والحدائثة

أولاً: المعاصرة في اللغة

يأتي الحديث هنا عن تعريف المصطلح الثالث في عنوان الأطروحة وهو (المعاصرة). فالمعاصرة من العصر، ويرى ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) أَنَّ الْعَصْرَ: الدهر، قال تعالى: أَلَمْ يَخْلُكْ لِي لِي لِي لِي {العصر: ١-٢} ^(١). وَالْعَصْرُ الدهر، أقسم الله تَعَالَى بِهِ ^(٢). وَالْجَمْع: أَعْصُر، وإِصْار، وعُصُور، وعُصْر. والعَصْر: اللَّيْلَةُ. وَالْعَصْر: الْيَوْمَ وَقِيلَ الْعَصْرَانِ: الْغَدَاةُ وَالْعَشِي، ومنه صلاة العصر، وَأَعْصَرْنَا: دَخَلْنَا فِي الْعَصْرِ ^(٣).

وقد ذكر الشيخ ناصر مكارم الشيرازي أَنَّ للمفسرين في معنى العصر احتمالات كثيرة، منها:

القول الأول: إِنَّه وقت العصر من النهار، بقرينة وجود مواضع أخرى أقسم الله فيها بأول النهار كقوله تعالى: (والضحى) أو (والصبح إذا أسفر)، وإِنَّمَا أقسم بالعصر لأهميته، إذ هو في وقت من النهار يحدث فيه تغيير في نظام المعيشة وحياة البشر. القول الثاني: قيل: إِنَّ الكلمة يراد بها صلاة العصر؛ لأهميتها الخاصة بين بقية الصلوات؛ لأنها (الصلاة الوسطى) التي أمر الله أن يحافظ عليها خاصة.

القول الثالث: قال البعض إِنَّه مقطع خاص من الزمان مثل عصر البعثة النبوية المباركة. أو عصر قيام المهدي المنتظر (عليه السلام)، وهي مقاطع زمنية ذات خصائص متميزة وعظمة فائقة في تاريخ البشر.

القول الرابع: قيل: إِنَّه كل الزمان وتاريخ البشرية المملوء بدروس العبرة، والأحداث الجسيمة. وهو لذلك عظيم يستحق القسم الإلهي ^(٤).

ويطلق العصر ويراد به الوقت، ويُقال أهل هذا العصر، كما يُقال أهل هذا الزمان، وعاصره معاصرة أي كان في عصره، أي زمن حياته ^(١).

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، ٤ / ٣٤٠ (عصر).

(٢) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٤ / ٥٧٥ (عصر).

(٣) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى (ت ٨٤٥هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ١ / ٤٢٨.

(٤) ينظر: الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ٢٠ / ٤٣٤.

ثانيًا: المعاصرة في الاصطلاح

ذُكرت لمصطلح المعاصرة تعريفات عدة، وقد اختلفت هذه التعريفات بناءً على ما بنى عليه القائلون بها من الأحكام والأسباب، ومنها:

١- ما يراه محمد علي قدس ((أنها الإبداع في الزمن الحاضر الذي نحياه ونعيشه دون أن نتخلى عن تراثنا وهو ما يسمى بحوار الأصالة مع المعاصرة))^(٢). فالأصالة ليست رصيّدًا تاريخيًا وحسب، وإنّما هي الإرادة والقدرة الذاتية على الإبداع، والمعاصرة ليست ذوبانًا في الراهن، وإنّما هي تفاعل مستديم مع مستجدات العصر.

٢ - وعرفها الشيخ يوسف القرضاوي (ت ١٤٤٤هـ) بقوله هي: ((أن يعيش الإنسان في عصره وزمانه، في أفكاره وقيمه وسلوكياته، في انتصاراته وهزائمه، في معمعة أحداثه، ومع أهله الأحياء المتحركين، يفكر كما يفكرون، ويعمل كما يعملون، لا يعيش في عصر مضى بما يحمل من تصورات وعقائد، ومن قيم ومفاهيم، ومن أخلاق وتقاليد ومن شعائر وشرائع، قد تكون صالحة للعصر وقد لا تكون، فجوهر المعاصرة هو معاشة الأحياء لا الأموات، والواقع الماثل لا الماضي الزائل، ولهذا مظاهره ودلائله، التي تقتضيها المعاصرة))^(٣). ووفق هذا التعريف يجب أن نعرف العصر الذي نعيش فيه معرفة دقيقة وصادقة؛ لأن الجهل بالعصر يؤدي إلى عواقب وخيمة.

(١) ينظر: الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ١ / ٢٧٢.

(٢) المعاصرة بين الرؤية والكلمات، محمد علي قدس، دار البلاد، جدة، ٤٠.

(٣) الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، يوسف القرضاوي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ٧٠.

٣- قال احمد قوشتي عبد الرحيم: ((وهو كون الشخصية التي ندرس آراءها، حال كونها على قيد الحياة))^(١). والواضح من هذا التعريف أنّ الباحث قصد به أنّ الشخصية التي يُراد دراستها يجب أن تكون على قيد الحياة.

٤- ما أورده طارق البشري من أنّ المعاصرة هي: المرحلة التاريخية التي نعيشها، وخاصة ما نعيشه من أوضاع الزمن الحاضر، وعندما يصف أحدنا الآخر بأنه عصري، إنما يعني الأخبار بأن الموصوف متلائم مع أوضاع المرحلة التاريخية العالمية الحاضرة، ومتجانس مع ظروفها^(٢).

ويرى الدكتور حيدر شوكان السلطاني أنّ تحديد المعاصرة زمنياً هو من الصعوبات التي يمكن حصرها بشكل دقيق؛ لأنها من الأمور النسبية التي تغيّرت القراءات والمواقف بشأنها، ونقل عدة أقوال في ذلك^(٣)، وهي على النحو الآتي:

١- إن المقصود من المعاصرة كل عالم عاش أثناء القرن الرابع عشر الهجري، وما يوازيه في التاريخ الميلادي أي (١٨٨٣ م - ١٩٧٩ م)^(٤).

٢- جعل بعض الأدباء بداية المعاصرة من القرن العشرين^(٥).

٣- إن تحديد المعاصرة يبدأ مع إطلالة الربع الثاني من القرن الرابع عشر الهجري حتى يومنا هذا أي (١٣٢٥ هـ - ١٤٤٥ هـ) إذ يقابله أوائل القرن العشرين الميلادي

(١) مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية بمصر في العصر الحديث، احمد قوشتي، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٤٢٣ هـ، ٣١.

(٢) ينظر: ماهية المعاصرة، طارق البشري، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م، ٤٩ - ٥٣ .

(٣) ينظر: فقه الجهاد في ضوء المتغيرات المعاصرة، د. حيدر شوكان السلطاني، دار الرافدين، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٧ م، ٤٣.

(٤) ينظر: جهود المعاصرين في خدمة السنة المشرفة، محمد عبد الله أبو صعليك، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ، ١١ .

(٥) ينظر: التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، د بدوي طبانة، الناشر: دار المريخ، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦ م، ٥ - ٧ .

إلى ربع القرن الحادي والعشرين الميلادي (١٩٠٧م - ٢٠٢٣م) فقد تشكلت في هذا العصر الاتجاهات الحديثة، بعد انهيار الخلافة العثمانية^(١).

٤- إنَّ المقصود بالمعاصرة هو نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، بعد أن استيقظ العالم الإسلامي على الاحتلال الأجنبي، وبدأت بعد ذلك عمليات النقل الثقافي من الغرب إلى الشرق^(٢).

٥- إنَّ المعاصرة تبدأ بالحرب العالمية الأولى (١٩١٤م)، حيث شهد المجتمع خلال سنوات الحرب تغييرات عديدة أفرزت الكثير من الظواهر الاجتماعية والسياسية والفكرية المختلفة التي طبعت المجتمع بطابع مميز^(٣).

وبناءً على ما تقدم ((فإن مصطلح المعاصرة الوارد في عنوان الدراسة، لا يقصد منه المعاصرة بالمعنى الحرفي الدقيق، وهي الفترة الزمنية التي نعيشها، بل المراد منه الفترة التي بدأت مع بروز الاتجاه العقلي الحديث^(٤) وإلى يومنا هذا، وإن

(١) ينظر: الاتجاهات المعاصرة في دراسة السنة النبوية في مصر وبلاد الشام، د محمد عبد الرزاق أسود، الناشر: دار الكلم الطيب، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، ٣٣.

(٢) ينظر: الإسلام المعاصر، د علي مراد، ترجمة محمود علي مراد، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٧.

(٣) ينظر: مناهج الاستدلال، احمد قوشتي عبد الرحيم، ٣١.

(٤) وهو اتجاه فكري عام يمجّد العقل الإنساني، ويحترم نتائجه، ويقدمه على النقل عند التعارض، ويدعو إلى التوفيق بين نصوص الشرع وبين الحضارة الإنسانية الحديثة، وذلك من خلال قراءة النصوص بما يتلائم مع روح العصر. وكانت لهم آراء كثيرة تخالف السلف. وقد غلبت النزعة الدفاعية على كثير من أصحاب هذا الاتجاه، ولا سيّما رواده الأوائل كالسيد جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده، إذ خصصوا جانباً كبيراً من جهودهم ومؤلفاتهم للرد على من هاجم الإسلام من المستشرقين وغيرهم. كما شغلوا بمحاولة تقديم الإسلام للغربيين في صورته المثلى. { ينظر: مدارس الفكر العربي الإسلامي المعاصر، تأملات في المنطق والمنصب، د عبد الرزاق قسوم، الناشر: دار علم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ٨١ - ٩٠.

والاتجاهات المعاصرة في دراسة السنة النبوية في مصر وبلاد الشام، د محمد عبد الرزاق، {٤٦٤.

كانت قابلة للتمفصل إلى مراحل^(١)، إلا أننا عندما نطلق مفردة المدونات التفسيرية المعاصرة فإنما نقصد المعنى المتقدم. فقد شهدت هذه الفترة ظهور مدونات تفسيرية جديدة ساهمت بتقديم معطى جديد لفهم النص القرآني. وسوف نذكر وندرس هذه المدونات التفسيرية وإشارتها إلى المحورية والمدارية في الفصل الأول من الدراسة.

ثالثاً: الفرق بين المعاصرة والحداثة

من السهل -على الأقل بالنسبة للقارئ الغير متخصص- الخلط بين الحداثة وبين العديد من المصطلحات المقاربة الأخرى، مثل المعاصرة والجدة والأصالة. وللتعرف على ذلك يجب أن نتكلم عن معنى الحداثة.

لغويًا الحداثة تأتي من الفعل ((حَدَّثَ الشَّيْءُ حُدُوثًا، وَحَدَاثَةً: نَقِيضُ قَدَمٍ))^(٢). واصطلاحًا هي ((محاولة صياغة نموذج للفكر والحياة، يتجاوز الموروث ويتحرر من قيوده، ليحقق تقدم الإنسان ورفقيه بعقله ومناهجه العصرية الغربية، لتطويع الكون لإرادته واستخراج مقدراته لخدمته))^(٣).

يرى عبد الله الغدامي أن الحداثة قد انفصلت تمامًا عن مفهوم التجديد والمعاصرة، وهو انفصال يتفق عليه كل من يجادل حول الحداثة؛ لأن الجميع يرضون بالتجديد، ويقبلون المعاصرة، ولكنهم يختلفون حول الحداثة. وبعد ذلك يقول الغدامي أن مفهوم الحداثة يتعدد بتعدد المتحاورين فيه، حتى الحداثيين أنفسهم يختلفون حول تعريف الحداثة. ففي المجتمعات المحافظة - كما يقول الغدامي - تكون مقبولة الحداثة الشكلية، أما حداثة الأنساق الذهنية^(٤) فتظل مرفوضة^(١).

(١) فقه الجهاد في ضوء المتغيرات المعاصرة، د. حيدر شوكان السلطاني، ٤٣ - ٤٤.

(٢) المعجم الوسيط، ابراهيم مصطفى وآخرون، ١ / ١٥٩ مادة (حدث).

(٣) الحداثة وموقفها من السنة، د. الحارث فخري عيسى عبد الله، دار السلام، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، ٣٣.

(٤) والمقصود بالنسق الذهني، هو الذي يجعل للعقل أو الذهن القدرة على الوصول إلى إجابات منطقية منضبطة، وتصورات قائمة على نهج علمي رصين.

فالمعاصر يرتبط بالعصر فيكون بذلك ذا دلالة زمنية، أما الجدة فلا ترتبط بالزمن إذ قد يكون الجديد في القديم كما يكون في الحديث، أما الحداثة فتعني لغويًا إيجاد ما لم يكن موجودًا من قبل و يظلّ هذا حديثًا ما بقي فتنيًا غير مألوف أي ما بقي في منأى عن فعل العادة^(٢).

وإن اختلف مفهوم الحداثة من مجال إلى آخر يبقى في الأخير يجتمع في نقطة ربما تكون هي الأساس التي تقوم عليها الحداثة ألا وهي مفهوم التجاوز ورفض التقليد وكلّ ما هو قديم، ((فإن الحداثة سمة للأقوال والأشياء غير المعروفة من قبل وبهذا المعنى لكل عصر حدائته))^(٣).

وبهذا يصبح مفهوم الحداثة مختلفًا عن المعاصرة والجدة منفصلًا عن الزمن متجاوزًا للعصر.

ومن الذين يميزون بين المعاصرة والحداثة، محمد هدار، فيرى ((أن المعاصرة تعني إحداث تغيير وتجديد في المفاهيم السائدة والمتراكمة عبر الأجيال نتيجة تغيير اجتماعي أو فكري أحدثه اختلاف الزمن، أما الحداثة فهي مذهب أدبي، بل نظرية فكرية لا تستهدف الحركة الإبداعية وحدها، بل تدعو إلى التمرد على الواقع بكل جوانبه السياسية والاجتماعية والاقتصادية))^(٤).

ويرى حنفي أن الحداثة رديفة للمعاصرة بقوله: أنّ ((المعاصرة إعطاء الأولوية للواقع على الفكر، حتى يصبح الفكر هو رؤية هذا الواقع نفسه، ويتم ذلك في قراءتنا

(١) ينظر: حكاية الحداثة في المملكة العربية السعودية، عبد الله محمد الغدامي، الناشر: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٥ م، ٧ وما بعدها.

(٢) ينظر: الحداثة في النقد العربي المعاصر، عبد المجيد زراقت، دار الحرف العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩١ م، ١٥.

(٣) النص القرآني وآفاق الكتابة، أدونيس، دار الآداب، بيروت - الطبعة الأولى، ١٩٩٣ م، ٩٦.

(٤) نقلًا عن: تقويم نظرية الحداثة، عدنان رضا النحوي، دار النحوي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٩٢ م، ٢٧.

للنصوص الدينية والتراث القديم، ثم فحص القديم وإخضاعه لمناهج التحليل العلمية^(١).

ويرى أبو المجد أن المعاصرة ((تقوم على عناصر أساسية تتمثل في عنصر زمني: وهو الارتباط بالحاضر دون التنازل عن الماضي، وعنصر يتعلق بالمضمون، ويفترض وقوع تغييرات نوعية ذات حجم هائل هي التي تفصل الحاضر عن الماضي، أو أن الارتباط به أكثر مشروعية وأكثر جدوى لكونه منطويًا على التقدم الذي ولدته حركة الاكتشاف المستمر والتجربة التاريخية المتراكمة^(٢).

كما يشير (محمد سبيلا) بأن الحداثة ((تحول جذري على كافة المستويات في المعرفة، في فهم الإنسان، في تصور الطبيعة، وفي معنى التاريخ، أنها بنية فكرية كلية، وهذه البنية عندما تلامس بنية اجتماعية وثقافية تقليدية فأنها تصدمها، وتكتسحها بالتدريج، ممارسة عليها ضربًا من التفكيك ورفع القدسية^(٣).

ومما تقدم يمكن القول، بأنه إذا كانت الحداثة لا تنفي القطيعة مع الماضي ولا ترفضه رفضًا مطلقًا فهي تكون أقرب إلى المعاصرة وبالتالي يفترض أن تسمى الحداثة وفق هذا المنطلق بالمعاصرة التي تزوج بين الماضي والحاضر ولا ترجح جانب على الآخر، أما عملية تفضيل الحاضر على الماضي ونبذ كل العادات والقيم القديمة فهو يقع في إطار الحداثة وليس المعاصرة.

(١) قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م، ٥٢.

(٢) المسألة السياسية: وصل التراث بالعصر والنظام السياسي للدولة، كتاب التراث وتحديات العصر في الوطن العربي (ندوة)، احمد كمال أبو المجد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م، ٣١.

(٣) الحداثة وما بعد الحداثة، محمد سبيلا، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، ٢٨.

المطلب الثالث: الجذور التاريخية لمصطلحي المحورية والمدارية

إنّ هذين المصطلحين لم يكونا معروفين بهذه التسمية في صدر الإسلام، ولكن كانت هناك إشارات إلى آراء وأفكار ومضامين تعطي معنى قريب من هذين المصطلحين في الوقت الحاضر. وسوف نستعرض الجذور التاريخية لها بقدر من الإيجاز غير المخل.

تعرض الاسلام إلى حملات شرسة من قبل أعدائه، فتعرض للكيد والتشكيك والمصادمة والتشويه، وذلك لتغيير مساره، وعرقلة طريقه، والانحراف به عن الوجهة الربانية المراد منه بلوغها.

ففي زمن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ظهرت أطراف مختلفة من أعدائه، فكانوا يبذلون الجهود الكبيرة، وي طرحون الشبهات الكثيرة، لعرقلة مسيره، وإطفاء نوره، فكانت تلك الشبهات والاعتراضات التي طُرحت هي البذور الأولى لما جاء بعدها من الفرق والضلالات، كما قرره الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)، حيث قال: ((وكما قررنا أن الشبهات التي وقعت في آخر الزمان هي بعينها تلك الشبهات التي وقعت في أول الزمان، كذلك يمكن أن نقرر في زمان كل نبي ودور صاحب كل ملة وشريعة: أنّ شبهات أمته في آخر زمانه، ناشئة من شبهات خصماء أول زمانه من الكفار والملحدين وأكثرها من المنافقين. وإن خفي علينا ذلك في الأمم السالفة لتمادي الزمان، فلم يخف في هذه الأمة أن شبهاتها نشأت كلها من شبهات منافقي زمن النبي (عليه السلام)، إذ لم يرضوا بحكمه فيما كان يأمر وينهى، وشرعوا فيما لا مسرح للفكر فيه ولا مسرى، وسألوا عما منعوا من الخوض فيه، والسؤال عنه، وجادلوا بالباطل فيما لا يجوز الجدل فيه))^(١).

(١) الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)، الناشر: مؤسسة الحلبي، المقدمة الرابعة، ١ / ١٩.

وقد ظهرت الإشارات الأولى لمعنى محورية القرآن منذ زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد ظهر من ينكر السنة أو يعارضها أو يردّها بمحض رأيه، واتباعاً لنفسه وهواه، فقد جاء عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: ((لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته، يأتيه الأمر مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا أدري. ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه))^(١). إذ ظهر في الأمة من ينكر السنة كلها أو بعضها، بدعوى الاستغناء عنها بالقرآن الكريم.

وقد نقل صالح الكرياسي في دراسة له أن الانطلاقة الأولى لفكرة الاستغناء عن السنة والإكتفاء بالقرآن ترجع جذورها إلى عصر الرسالة، وهذه تُعرف تاريخياً برزية يوم الخميس، والذي يراه وعلى وفق ما ذكر في المصادر أنهم – القرآنيون الأوائل – هم الذين رفعوا شعار (حسبنا كتاب الله) في وجه النبي (صلى الله عليه وآله) وهو في مرض الموت، فمنعوه بذلك من أن يكتبَ ما أراد واهتمَّ به، فهم البذرة الأولى لفرقة القرآنيين، وهم الذين نجدهم وراء عملية منع الحديث كتابةً وتدويناً، بل، ونقلًا وتحديثاً، إلى نهاية القرن الأول الهجري^(٢). والذي يبدو أن هذا الأمر وما يتعلق

(١) سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، ١ / ٦ باب تعظيم حديث رسول الله (حديث رقم ١٣) . وسنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ٤ / ٢٠٠ حديث رقم (٤٦٠٥). والجامع الكبير - سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨ م، ٤ / ٣٣٤ حديث رقم (٢٦٦٣).

(٢) ينظر: شبكة الانترنت، موقع ما الحاجة إلى السنة النبوية الشريفة وكتاب الله موجود بأيدينا <https://www.islam4u.com/ar/almojib> وتم زيارة الموقع بتاريخ ١٢ / ٣ / ٢٠٢٢

بمقولة (حسبنا كتاب الله)، هي من الجوانب السياسية، وليس لها علاقة بمحورية القرآن من الناحية المعرفية. كما أنّ عملية منع تدوين الحديث سنذكرها باختصار.

يُذكر أنّ عمر بن الخطاب قد منع تدوين وبث أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد جاء في تذكرة الحفاظ ((... وقد كان عمر من وجهه أن يخطئ صاحب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمرهم أن يقلوا الرواية عن نبيهم ولئلا يتشاغل الناس بالأحاديث عن حفظ القرآن))^(١). وقد روى شعبة (ت ١٦٠هـ) وغيره، عن بيان الشعبي (ت ١٠٣هـ)، عن قرظة بن كعب (ت ٥٠هـ)، قال: ((لما سیرنا عمر إلى العراق مشى معنا عمر، وقال: أتدرون لم شيعتكم؟ قالوا: نعم، تكربة لنا، قال: ومع ذلك انكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلهم جردوا القرآن وأقلوا الرواية عن رسول الله وأنا شريككم فلما قدم قرظة بن كعب، قالوا: حدثنا، فقال: نهانا عمر))^(٢).

وعن السائب بن يزيد^(٣)، أنه سمع عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة: لتتركن الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لألحقنك بأرض دوس، وقال لكعب: لتتركن الأحاديث أو لألحقنك بأرض القردة^(٤).

(١) تذكرة الحفاظ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ١ / ١١ - ١٢.

(٢) المصدر نفسه، ١ / ١٢.

(٣) السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة الكندي، أبو عبد الله، وأبو يزيد الكندي، المدني، ابن أخت نمر، وذلك شيء عرفوا به. وكان جده سعيد بن ثمامة حليف بني عبد شمس. وحج به أبيه مع النبي - صلى الله عليه وسلم - هو ابن سبع سنين. { ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م، ٣ / ٤٣٧ }.

ثم جاء أبو بكر (رض) بعد ارتحال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فنأدى بعدم التحدث بسنة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والاكتفاء بالقرآن، بحجة الوقاية من حصول الاختلاف، فمنع الناس من تحديث الناس بأحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله، وحرّموا حرامه، فقد جاء في تذكرة الحفاظ: ((أن الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم، فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشدّ اختلافًا، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئًا. فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله، وحرّموا حرامه))^(١).

وقد تذكر المصادر أنّ الذين منعوا كتابة الحديث كانت لهم أدلة خاصة بهم، فأبي بكر وعمر (رض)، ومن تبعهم من علماء مدرسة الصحابة استدلوا بروايات رويها عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومنها: ((لا تكتبوا عني إلّا القرآن فمن كتب عني شيئًا فليمحّه))^(٢). كما أنّ هناك أسباب ذكرت لمنع تدوين الحديث، ومنها خوف اختلاط الحديث بالقرآن، أو انشغال الناس بالحديث وترك القرآن، أو لجهل البعض بالكتابة وغيرها.

ولكن هناك من الدلائل ما يشير إلى أن الأحاديث كانت تكتب في عصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومنها ما كتبت من الصحف، مثل صحيفة علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وصحيفة سعد بن عباد، وما كتبه (صلى الله عليه وآله)

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء، ٢ / ٦٠٠-٦٠١.

(٢) تذكرة الحفاظ، الذهبي، ١ / ٩. وينظر: كشف اليقين، العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق: حسين الدركاهي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، ١١.

(٣) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن عبد التميمي أبو حاتم، الدارمي البستي (ت ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ١ / ٢٦٥.

إلى أمرائه وعماله، وغيرها. وأيضاً هناك أحاديث نُقلت عن النبي (عليه الصلاة والسلام) تؤكد كتابة الحديث، منها ما روي أنه كان ((رجلاً من الأنصار يجلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيسمع من النبي صلى الله عليه وسلم الحديث فيعجبه ولا يحفظه، فشكى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال يا رسول الله إني لأسمع منك الحديث فيعجبني ولا أحفظه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: استعن بيمينك، وأوماً بيده للخط))^(١). وغيرها من الأحاديث التي تؤكد ذلك.

ويبدو أن الحكام من الخلفاء والولاة، وحتى بعض الصحابة، وكذلك أجهزة الدولة، هم جميعاً وراء منع الحديث تدويناً ونقلًا، تطبيقاً لمقولة (حسبنا كتاب الله) وسيراً وراء من أطلقها وأعلنها أول مرة في محضر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٢).

ثم ظهر هذا الرأي في عصر الصحابة، وذلك من خلال مواقف بعض الأفراد، ولكن لم يكتب لهذا الرأي الانتشار والظهور، وقد دلّ على ظهور بوادر هذا الرأي في زمن الصحابة دلائل ، إلا أنها لم تأخذ المنحى الفكري الموجه، بل كانت عبارة عن شبهات عارضة، سرعان ما رجع أصحابها، منها: ((إن رجلاً قال لعمران بن الحصين ما هذه الأحاديث التي تحدثونها وتركتم القرآن؟ قال رأييت لو أبييت أنت وأصحابك إلا القرآن من أين كنت تعلم أن صلاة الظهر عدتها كذا وكذا وصلاة العصر عدتها كذا وحين وقتها كذا وصلاة المغرب كذا والموقف بعرفة ورمى الجمار كذا واليد من أين تقطع أمن ههنا أم ههنا أم من ههنا؟ ووضع يده على مفصل الكف ووضع يده عند المرفق ووضع يده عند المنكب اتبعوا حديثنا ما حدثناكم والّا

(١) سنن الترمذي، ٤ / ٣٣٦، باب ما جاء في الرخصة فيه، حديث رقم (٢٦٦٦).

(٢) ينظر: دفاع عن القرآن الكريم الجامع لكلمة المسلمين على التوحيد، محمد رضا الحسيني الجليلي، منشورات دليل ما، الطبعة الأولى، ١٣٨٥ هـ ش، ٢٢.

والله ضللتكم))^(١). والواضح من كلام الرجل أنه يريد التمسك بالقرآن الكريم دون الأحاديث التي كان الصحابة يحدثون الناس بها.

ثم ظهرت هذه الفكرة عند الخوارج^(٢)، إذ قالوا: ((لا حجة إلا القرآن، وأن السنة الصادرة عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ليست حجة))^(٣).

وفي زمن التابعين أتى من يحاول رد السنة النبوية بحجة أن في القرآن ما يخالفها، فعن سعيد بن جبير أنه حدّث يوماً بحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال رجل: في كتاب الله ما يخالف هذا. فقال: ((لا أراني أحدثك عن رسول

(١) الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق: أحمد عمر هاشم، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ٣١. وتدوين السنة الشريفة، السيد محمد رضا الجليلي، الناشر: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٨ هـ، ٣٥١.

(٢) وهم الطائفة التي خرجت على علي بن أبي طالب في صفين يوم التحكيم حيث كرهوا الحكم والتحكيم ثم كفّروه وكفّروا معاوية وكل من رضي بالتحكيم. وكبار الفرق منهم: المحكمة، والأزارقة، والنجدات، والبيهسية، والعجاردة، والثعالبة، والإباضية، والصفرية، والباقون فروعهم. ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي، ويقدمون ذلك على كل طاعة، ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك، ويكفرون أصحاب الكبائر ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة: حقاً واجباً. وقد قاتلهم الإمام علي عليه السلام في النهروان وهزمهم شر هزيمة ولم ينج من القتل منهم إلا عدد قليل { ينظر: الممل والنحل، الشهرستاني، ١ / ١١٥. وأزمة الخلافة والإمامة وآثارها المعاصرة، أسعد وحيد القاسم، ٢٧٦ }.

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨ هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية، ١٨٤.

الله صلى الله عليه وسلم وتُعرض فيه بكتاب الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم بكتاب الله منك))^(١).

ونرى أنَّ أغلب الباحثين لم يذكروا هذه الأحداث في الحديث عن القائلين بمحورية القرآن، بل ذكروا تاريخهم، منذ القرن الثاني للهجرة، يقول خادم حسين إلهي بخش - الباحث المحدث - : ((إنَّ إنكار السنَّة من مصدرية التشريع في الإسلام يعود تاريخه إلى القرن الثاني الهجري، غير أنَّ مصادر التاريخ لا تحدَّثنا عن أفراد أو جماعات تنسب إلى الإسلام ودعت إلى نبذ السنَّة بعد ذلك القرن))^(٢). وعلى ما يبدو أن عدم ذكر هذه الأقوال كان سببه هو أنَّ هذه الأحداث كلها تخص الجانب السياسي، وليس لها علاقة بالجانب المعرفي. فالقضية المعرفية بدأت في القرن الثاني الهجري.

فمن أقدم المؤشرات الذي يلمح إلى هذا الموضوع هو ما ذكره الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، إذ عقد في كتاب الأم فصلاً حمل عنوان (باب حكاية قول الطائفة التي ردت الأخبار كلها)، وهو يتحدث عن حوار بينه وبين أحد الأشخاص حول قبول الأخبار المروية، فيسأل الشخص الشافعي كيف لكم أن تقبلوا هذه الأخبار وأنتم تكذبون بعضها وتصدقون بعض، وتقيمون هذه الأخبار مقام كتاب الله، ويجب

(١) مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م ١ / ٤٧٥ ، باب: السنة قاضية على كتاب الله تعالى، حديث رقم (٦١٠).

(٢) القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، خادم حسين إلهي بخش، الناشر: مكتبة الصديق، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ٨.

الشافعي بأن كتاب الله دلّ على قبول أخبار الصادقين^(١). وهذا مما يدل على وجود اتجاه يُنكر السنة في عصره.

وفي القرن الثاني للهجرة ظهر من ينصب العداء للسنة، ومن هؤلاء ثمامة بن أشرس^(٢)، وبشر المريسي^(٣)، فقد كانا آفة على السنة وأهلها^(٤).

وفي القرن الرابع الهجري ظهر من يحمل العداء للسنة النبوية، ويحاول أن يظهر بين الناس أن هنالك تعارضاً بين القرآن الكريم والسنة النبوية، فكان ممن أشار

(١) ينظر: الأم أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلب القرشي المكي الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ٧ / ٢٨٧ - ٢٨٨.

(٢) ثمامة بن أشرس النميري، البصري، أبو معن، من كبار المعتزلة، وأحد الفصحاء البلغاء المقدمين. قال الصفدي: كان جامعاً بين سخافة الدين، والخلاعة، له أتباع يسمون (الشمامية) نسبة إليه. { ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٠ / ٢٠٣. والوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ١١ / ١٦. }

(٣) بشر بن غياث بن أبي كريمة عبد الرحمن المريسي، فقيه معتزلي، اشتغل بالكلام، وجرّد القول بخلق القرآن، وحكي عنه أقوال شنيعة، ومذاهب مستتكرة، فرمي بالزندقة، (ت ٢١٨هـ)، { ينظر: تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ٧ / ٥٣١. ومعجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م، ٥ / ١١٨. ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٠٠م، ١ / ٢٧٧. }

(٤) ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، ٥ / ٢٨٦.

إلى هذه الفرقة وبين خطرهما الآجري^(١) في كتابه الشريعة، حيث عقد باباً في هذا الكتاب محدّراً منهم، فقال: ((باب التحذير من طوائف يعارضون سنن النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب الله تعالى، وشدة الإنكار على هذه الطبقة))^(٢). فهو في هذا الحديث ينبه العلماء على خطر فكرهم، وإن من يحمل هذا الفكر فهو رجل سوء.

وفي القرن الخامس الهجري ظهر من يُنكر الأحاديث النبوية، فيذكر البزدوي^(٣) في أصوله، وهو يتحدث في بيان أقسام السنة، بيان المتواتر، أنّه وجد من الناس من ينكر الأخبار، فقال: ((وهذا القسم - أي المتواتر - يوجب علم اليقين بمنزلة العيان

(١) محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر الآجري، فقيه شافعي محدث، نسبته إلى آجر (من قرى بغداد)، ولد فيها، وحدث ببغداد، قبل سنة ٣٣٠هـ، ثم انتقل إلى مكة، وتوفي فيها سنة (٣٦٠هـ)، له تصانيف كثيرة منها: أخلاق حملة القرآن، الشريعة، أخلاق العلماء، وغيرها. { ينظر: سير أعلام النبلاء، ١٢ / ٢١١ . ووفيات الأعيان، ٤ / ٢٩٢ }.

(٢) الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجريّ البغدادي (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي، دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ١ / ٤١٠.

(٣) علي بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم، أبو الحسن، شيخ الحنفية، البزدوي، فقيه أصولي، ولد بحدود سنة (٤٠٠هـ)، وتوفي سنة (٤٨٢هـ)، من سكان سمرقند، له تصانيف عديدة منها: المبسوط، كنز الوصول، وغيرها. { ينظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (ت ٧٧٥هـ)، الناشر: مير محمد كتب خانة، كراتشي، ١ / ٣٧٢ . وتاج التراجم، أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن فطّوبغا السودوني (نسبة إلى معتق أبيه سودون الشيوخوني) الجمالي الحنفي (ت ٨٧٩هـ)، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، ٢٠٥ . وسير اعلام النبلاء، ١١ / ٤٩١ }.

علمًا ضروريًا، ومن الناس من أنكر العلم بطريق الخبر أصلاً، وهذا رجل سفيه لم يعرف نفسه، ولا دينه، ولا دنياه، ولا أمه، ولا أباه مثل من أنكر العيان^(١).

وفي القرن الثامن ظهر من يدعو إلى الاختصار على القرآن وترك السنة، فأدرك الشاطبي خطر هذا المنهج في فهم القرآن ومعرفة شرائع الاسلام، فرد عليهم مقالهم، حيث فارقوا السنة والاعتماد عليها في بيان القرآن، وأوضح أن هذا المنهج القائم على ((الإِقْتِصَارَ عَلَى الْكِتَابِ رَأْيُ قَوْمٍ (لَا خَلْقَ لَهُمْ)، خَارِجِينَ عَنِ السُّنَّةِ؛ إِذْ عَوَّلُوا عَلَى مَا بَنِيَتْ عَلَيْهِ مِنْ أَنَّ الْكِتَابَ فِيهِ بَيَانُ كُلِّ شَيْءٍ، فَاطَّرَحُوا أَحْكَامَ السُّنَّةِ فَأَدَّاهُمْ ذَلِكَ إِلَى الْإِنْخِلَاعِ عَنِ الْجَمَاعَةِ وَتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ عَلَى غَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ))^(٢). والواضح أن هدفهم من ذلك هو إنكار السنة النبوية.

وفي القرن العاشر نجد أن لفكر هذه الطائفة ظهورًا، فقام بالرد عليها السيوطي في كتاب سماه (مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة)، وبيّن في مقدمته سبب تأليفه لهذا الكتاب، فقال: ((اعلموا - يرحمكم الله - أن من العلم كهيئة الدواء. ومن الآراء كهيئة الخلاء. لا تذكر إلا عند داعية الضرورة، وأن مما فاح ريحه في هذا الزمان وكان دارسًا بحمد الله تعالى منذ أزمان، وهو أن قائلًا زنديقًا أكثر في كلامه أن

(١) أصول البزدوي - كنز الوصول إلى معرفة الاصول، علي بن محمد البزدوي الحنفي (ت ٤٨٢هـ)، وبهامشه تخريج أحاديث أصول البزدوي للحافظ قاسم ابن قطلوبغا، الناشر: مير محمد كتب خانة، كراتشي، ١٥٠.

(٢) الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ٤ / ٣٢٥ - ٣٢٦.

السنة النبوية والأحاديث المروية - زادها الله علوًا وشفاءً - لا يحتج بها، وأن الحجة في القرآن خاصة^(١).

ونرى أن هذه الأفكار التي أطلقها الأوائل تجددت على مرّ العصور حتى ظهرت مرة أخرى في القرن الثالث عشر في مصر، ثم ترعرعت في الهند على يد سير أحمد خان، ومولوي چراغ علي، و مولوي عبد الله بكرلوي، ثم أحمد النبيّ أمرتسري، و مولانا أسلم، و أخيرًا تولّى رئاستها غلام أحمد بيروز، وما هذه الأفكار إلا امتداد لأفكار أولئك الأوائل الذين مرّ ذكرهم^(٢).

ويتبين لنا من ذلك أن القول بالمحورية ليس وليد اليوم، فقد بدأ قديمًا، ومحورية القرآن طرحت في صدر الاسلام، وحجتهم عدم الاختلاط بين الكتاب والسنة. ولكن لا يمكن القول بأن محورية القرآن لها عمقٌ تاريخيٌّ واضح. نعم من الممكن أن تجد أفرادًا لها من هنا وهناك، لكنّها ليست ظاهرة واسعة على الإطلاق. ثم ظهرت في القرن الثالث عشر الهجري وأدلتهم كل ما يحتاج إليه المسلم موجود في الكتاب. وإن السنة المحكية غير معلومة الصدور من النبي. (صلى الله عليه واله وسلم).

أما مصطلح المدارية فلم يكن معروفًا سابقًا كما هو اليوم، لكن هنالك دلائل وإشارات تؤكد وجوب الاهتمام بالسنة في فهم القرآن الكريم. ومن هذه الدلائل آيات الدعوة للإيمان والتصديق بالرسالة، ومنها قوله تعالى: أأ

(١) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ٥.

(٢) ينظر: دفاع عن القرآن الكريم الجامع لكلمة المسلمين على كلمة التوحيد، محمد رضا الجليلي، ٢٢.

□ □ □ □ □ {التغابن: ٨}، وآيات تفسيرية السنة، أو كون السنة مفسرة
للكتاب^(١).

ويصرح الله عز وجل في القرآن الكريم بلزوم رجوع الناس في فهم معاني الآيات
المتشابهة والتي تحتاج إلى التفسير والشرح والبيان إلى رسول الله (صلى الله عليه
 وآله وسلم) حيث هو المعلم الأول للقرآن، فيقول: ^أ له جـ حـ مـ نـ جـ نـ نـ
نـ نه □ هم □ يج □ { النحل: ٦٤ }، ويقول عز وجل ^أ □ □ □ □
□ يم □ ي □ □ □ □ { النحل: ٤٤ } . فالآيتان دالتان على أن وظيفة
الرسول شرح القرآن وبيانه وإيضاحه، وهذا ما لا يكون إلا عبر السنة، فالنبي (صلى
الله عليه وآله وسلم) يقوم بهذه المهمة باستخدام سنته الشريفة^(٢).

وهذه الآيات صريحة في لزوم الرجوع إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)
في فهم القرآن الكريم ولمعرفة تفاصيل الشريعة الإسلامية التي ترك القرآن تبينها
للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، فكم من حكم شرعي لم يذكر القرآن تفصيله
ثم بيّنه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للمسلمين بعد ذلك، وأبرز أمثلة ذلك
فريضة الصلوات الواجبة والتي منها الصلوات اليومية، فإننا قد نعرف وجوبها عن
طريق القرآن، لكن عدد ركعاتها وغيرها من التفاصيل لا نهتدي إليها إلا عن طريق
النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي هو المعلم الأول للقرآن والإسلام، ومن

(١) ينظر: حجية السنة في الفكر الاسلامي قراءة وتقويم، حيدر محمد كامل حب الله، مؤسسة
الانتشار العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ٦٣ ، ٦٦.

(٢) ينظر: حجية السنة - سلسلة قضايا الفكر الاسلامي، العلامة الدكتور، عبد الغني عبد
الخالق، الناشر: مطابع دار الوفاء، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م،
٢٩٥ - ٢٩٦.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا هي أن الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السّلام)
أوصى إلى عبد الله بن العباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج أن يخاصمهم
بالسنة وليس بالقرآن، وذلك لعلمه (عليه السّلام) بأن السنة لا تدع لهم مجالاً
للتأويل والتفسير لأنها صريحة، فقال (عليه السّلام) : ((لَا تُخَاصِمُهُمْ بِالْقُرْآنِ، فَإِنَّ
الْقُرْآنَ حَمَالٌ دُوَّ وَجُوهٍ، تَقُولُ وَيَقُولُونَ، وَلَكِنْ حَاجِبُهُمْ بِالسُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا
مَحِيصاً)) (٢).

وقد ذكرت أحاديث أهل البيت (عليهم السلام)، محورية القرآن ومدارية السنة في عدة مواضع، منها: ما ورد عن عبد الأعلى مولى آل سام، قال: ((قلت لأبي عبد الله عليه السلام عثرت فانقطع ظفري فجعلت على أصبعي مرارة، فكيف أصنع بالوضوء؟ قال: يعرف هذا وأشباهه من كتاب الله عز وجل. قال الله تعالى: أَأَ □

بج بـ به تجز^(٣)، امسح عليه))^(٤). وهذا استدلال من الأئمة (عليهم السلام) بظواهر القرآن لتعليم الإمامية والمسلمين أن ظواهر القرآن يأخذ بها حتى بعد ألف سنة؛ لأن القرآن ليس خطاباً لأهل زمانه وإنما قصد به الخطاب لكل من

<https://www.islam4u.com/ar/almojib> بأيدينا

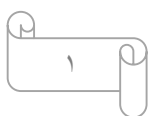
(٣) الحج / ٧٨.

(٤) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الفقيه المحدث الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، الناشر: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث بقم المشرفة، مهر - قم، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، ١ / ٤٦٤.

يصل إليه القرآن، ولذلك ورد عن الأئمة (عليهم السلام) الأمر بعرض الأخبار والروايات على كتاب الله فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه، ولا يمكن للمسلمين عرض الروايات على الكتاب إلا إذا كان ظاهر الكتاب حجة يمكن الاستفادة منه وإلا فلم يتمكنوا من عرض الروايات على الكتاب. والاعتقاد بحجية ظواهر القرآن يعني أن المحورية للقرآن الكريم في بيان المعاني.

وبهذا نتبين منزلة السنة ومكانتها في الشريعة، وأنه لا يمكن الاستغناء عنها بحال من الأحوال، بل لا يمكن أن يفهم الكتاب بمعزل عن السنة فهي تدور مدار القرآن، فهي مبيّنة وموضحة للقرآن الكريم ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر. أما المحورية والمدارية عند المفسرين المعاصرين، فإننا سوف نستوفي الحديث عنهما في الفصل الأول من الأطروحة.

المقدمة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله حمد الشاكرين، حمد الذاكرين، حمداً يليق بجلاله، وعظمته، الحمدُ لله على تمام فضله، وإكرامه، الحمد لله على سابغ إحسانه، وإنعامه، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وبعد ...

إنّ كتاب الله هو المصدر التشريعي الأول في الإسلام، والسُّنة هي المصدر الثاني بعد الكتاب المجيد، تبين أحكامه وتوضح مجمله، وهي تطبيق عملي لأوامر الله، على يد خاتم النبيين (عليه الصلاة والسلام)، وقد تكفل الله تعالى بحفظ كتابه من التحريف والتبديل، والزيادة والنقصان، ليكون دستوراً خالداً على مر الدهور والأَيّام، كما وفق الله علماء الأمة من الصحابة والتابعين، من المحدثين والفقهاء بحفظ بيان هذا الدستور، بما نُقِلَ عن المعصوم (عليه السلام)، فدان المسلمون لأحكامه إلى جانب أحكام القرآن، من بعثة النبي محمد (صلى الله عليه وآله) إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فالسُّنة قرينة القرآن في بيان شرع الله، والمفسرة له، فهما متلازمان إلى يوم القيامة.

أما مشكلة البحث فهي تكمن في الكشف عن المسائل التي وقع الخلافُ فيها حول طبيعة العلاقة بين القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فإذا كان كلاهما حجة، فهل المحورية للقرآن الكريم أم للسنة؟ لذلك تعد هذه الأسئلة مهمة وملحة للغاية، لما لها من نتائج وآثار تلقي بظلالها على أكثر من ميدان من ميادين المعارف الدينية، كالتفسير والعقيدة والفقه والأخلاق. وكذلك إعادة قراءة مضامين وأسس مصادر المعرفة الدينية، وعدم الإكتفاء بالوضع المتوارث عبر الأجيال.

وكان السبب في اختار الموضوع هو لأهمية التفسير المعاصرة، وما تعالجه هذه التفسير من مشكلات العصر المتجددة، وبيان موقف هذه التفسير من محورية القرآن

ومدارية السنّة، ثم برغبةٍ يشوبها ميل ممدوح، وجهها الأستاذ الدكتور محمد الحسيني،
ترسم للباحث دراسة موضوع (محورية القرآن ومدارية السنّة في التفاسير المعاصرة).

وقد قامت فرضية الدراسة على عدة تساؤلات منها: هل محورية القرآن هي نفسها
مقولة (حسبنا كتاب الله)؟ وهل أنّ القائلين بمحورية القرآن هم أنفسهم القرآنيين؟ وهل أنّ
القائلين بمحورية القرآن ينكرون السنّة؟ وهل هناك ضوابط لمحورية القرآن ومدارية السنّة؟
وما رؤية المفكرين المعاصرين لطبيعة العلاقة بين خطاب الوحي ومدارية التراث
التفسيري؟

ومن الدراسات السابقة التي اطلع الباحث عليها، والتي سبقت هذه الدراسة هي:

- ١- إسلام القرآن وإسلام الحديث، السيد كمال الحيدري
- ٢ - حجية السنة في الفكر الإسلامي قراءة وتقويم، حيدر حب الله
- ٣ - نظرية السنة في الفكر الإمامي الشيعي التكون والسيروية، حيدر حب الله
- ٤ - القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير دراسة نقدية، جمال بن محمد بن أحمد
- ٥ - القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، خادم حسين إلهي بخش
- ٦ - من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث النشأة المستأنفة، جورج طرابيشي

ولكن هذه الدراسات لم تخصص دراستها في التفاسير المعاصرة، فكانت دراستي
مخصصة لبيان محورية القرآن ومدارية السنّة في التفاسير المعاصرة.

وتكمن أهمية الدراسة في أنها تُطلعنا على شكل العلاقة بين القرآن الكريم والسنة
المطهرة. كما أنّ هذه الدراسة تُعرِّفنا على شكل العلاقة بين منظومة المعارف الموجودة
في القرآن الكريم، ونظيرتها الموجودة في السنّة، وهل كل منظومة مستقلة عن الأخرى أم
هناك ترابط بينهما. وتكمن أهمية تفسير القرآن الكريم في الوقت الحاضر في العديد من

النواحي، من أهمها: أن القرآن الكريم كلام الله -عزّ وجلّ- وخطاب الله لعباده بما اشتمل عليه من أوامرٍ ونواهٍ، ودستور المسلمين الخالد الذي لا يعتريه التغيير والتبديل، الذي لا بدّ من فهمه؛ للتمكّن من العمل بما نصّ عليه. كما أنّ الهدف من فهم القرآن يكمن بالعمل به، فالعمل هو الثمرة العظيمة، فقراءة القرآن يترتّب عليها عظيم الثواب والأجر والفضل الكبير، إلّا أنّ الثمرة الأعظم تكمن بالعمل. من جانب آخر حاجة الأمة لفهم القرآن، والاهتداء به للتعامل مع الآخرين على اختلافهم، وتحذيرهم ممّا حذّر الله منه، ووعيدهم لمن خالف أمر الله بالعقوبة والعذاب الشديد.

كما أنّ للدراسات المعاصرة المحمودة أهمية كبيرة؛ لأن الأيام مليئة بالأحداث تأتي كل يوم بما هو جديد؛ ولأن علاقة الإنسان بالإنسان والكون وبالحياة، تتطور تبعاً لتطور التفكير الإنساني. وتكمن أهمية هذه الدراسات في أنّ البحث فيها يبرهن على صدق الإسلام وخلوده وصلاحيته للقيادة والريادة في هذه الحياة. كما أنها تبيّن ما يمتاز به الفقه الإسلامي عن غيره من التشريعات البشرية بثروته الهائلة، وتنوعه الشامل، وقواعده المحكمة وعطائه المتواصل مما يستوجب الاهتمام به علماً وعملاً، دراسةً و تطبيقاً. ثم أن بحثها يعطي إمكانية الاطلاع على الجهود العظيمة في كل عصر من العصور الإسلامية والتي واجهت كل طارئٍ وجديد، وكيف أن الإسلام نجح في مواجهة تلك الإشكالات الواقعية، الميدانية، في حياة الناس اليومية، وأنه لم يقف يوماً جامداً عاجزاً عن مواجهة تطورات الحياة ومشاكلها. فالقرآن الكريم كتاب يتجاوز حاجز الزمان والمكان بدعوته وبأعجازه وعالميته، ولا يختصّ بزمان دون زمان، ولا يُعنى بمشكلات قوم دون سواهم، بالعمل به والتحاكم إليه فهو كلام الله أأ □ □ □ □ □ □ □ □

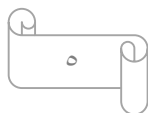
□ □ ٤٢ {فصلت: ٤٢}، وهو دين ذو قوانين تسري على الأفراد على اختلافهم في العنصر، والوطن، واللسان، والآيات القرآنية في عالميته كثيرة وعديدة منها قوله سبحانه: أ □ □ □ □ □ □ □ □ ب ج ب ب ب ب {سبا: ٢٨}، وكما

قال الإمام الرضا (عليه السلام): ((لَأَنَّ الله تعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كلِّ زمان جديد، وعند كل قوم غرض إلى يوم القيامة))^(١).

أما خطة البحث فقد اقتضى المنهج العلمي الأكاديمي للدراسة أن تنتظم الأطروحة على: مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة ثم ثبت بالمصادر والمراجع. فكان التمهيد حاملاً في طياته مقاربات اصطلاحية وكلّيات عامة في عنوان الأطروحة، وتكون من ثلاثة مباحث. الأول بيّن المفاهيم الاعتبارية للمحورية والمدارية عند العلماء، وكان الثاني حول معنى المعاصرة في اللغة والاصطلاح، أما الرابع فبيّن الجذور التاريخية لمصطلحي المحورية والمدارية.

وجاء الفصل الأول بعنوان (اتجاهات المفسرين المعاصرين في القول بمحورية القرآن ومدارية السنة)، وقد انتظم في خمسة مباحث، الأول أورد الحديث عن المفسرين القائلين بمحورية القرآن الكريم، إذ بيّن أدلة القرآنيين وأفكارهم، ثم عرض التفسير التي تبنت محورية القرآن. أما المبحث الثاني فقد كان الحديث فيه عن المفسرين القائلين بمحورية السنة الشريفة، مبيّناً حجية السنة ومجالات خدمتها للقرآن الكريم، ثم التفصيل في التفسير القائلة بمحورية السنة. وفي المبحث الثالث جاء الحديث عن القائلين بمحورية القرآن والسنة معاً، فكان العرض فيه للتفسير المعتمدة محورية القرآن والسنة معاً. وخصّص المبحث الرابع للحديث عن التفسير المعاصرة التي اعتمدت محورية القرآن ومدارية السنة. وتضمن المبحث الخامس، الرأي الراجح في محورية القرآن ومدارية السنة.

(١) الأمالي، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ،



وتضمن الفصل الثاني (ضوابط محورية القرآن ومدارية السنّة وتطبيقاتها في التفاسير المعاصرة)، وانتظم الفصل في مبحثين، الأول عن الضوابط المنهجية في محورية القرآن ومدارية السنّة، والثاني عن الضوابط المعرفية (الفكرية) في محورية القرآن ومدارية السنّة، مع التطبيقات الخاصة بهذه الضوابط.

وجاء الفصل الثالث مختصًا بدراسة (أبعاد محورية القرآن ومدارية السنّة في التفاسير المعاصرة)، وانتظم الفصل في أربعة مباحث، الأول للبعد العقدي، والثاني للبعد التشريعي، والثالث للبعد الأخلاقي، فيما كان الرابع للأبعاد الأخرى، الاجتماعي والعلمي والسياسي.

أما الفصل الرابع فكان بعنوان (رؤية المفكرين المعاصرين لطبيعة العلاقة بين خطاب الوحي ومدارية التراث التفسيري)، وقد انتظم الفصل في ثلاثة مباحث، درس الأول مفهوم التراث، وبيّن الثاني رأي المفكرين المعاصرين الذين يرون أنّ خطاب الوحي جزء من التراث، أما الثالث فذكرنا فيه رأي المفكرين المعاصرين في عدم ادخال خطاب الوحي في مسمى التراث.

والفصل الخامس والأخير كان الحديث فيه عن (السمات المميزة لمحورية القرآن ومدارية السنّة في التفاسير المعاصرة)، وانتظم الفصل في خمسة مباحث، كل مبحث لسمّة من السمات التي تميز محورية الخطاب القرآني ومداريته، فالأول عن عالمية هذا الخطاب، والثاني عن حاكميته، والثالث كان عن هدايته، والرابع عن رسالة القرآن، والخامس عن تكامل القرآن وشموليته.

وذكرت في الخاتمة النتائج التي توصل إليها الباحث خلال رحلته البحثية. ثم قائمة ضمت المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها هذه الدراسة.

أما حدود الدراسة فكانت مخصصة في التفسير المعاصرة، والتي تم اختيارها بناءً على المدة الزمنية التي تم تحديدها في مدخل هذه الدراسة، والتي تتراوح بين سنة ١٣٣٠هـ وإلى عصرنا هذا، وكانت التفسير المختارة هي تفسير مدرسة الصحابة (رض)، وتفسير مدرسة أهل البيت (عليهم السلام). وكان المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج التحليلي، الذي قام بتحليل آراء المفسرين المعاصرين حول محورية القرآن ومدارية السنة، وضوابط هذه المحورية والمدارية وأبعادها في تفاسيرهم، كما قام بتحليل أقوال المفكرين المعاصرين حول طبيعة العلاقة بين الوحي ومدارية التراث التفسيري. فكان الهدف من هذه الدراسة هو النظر في التفسير المعاصرة للفريقين، ومعرفة المنهج الذي اعتمده المفسر لمحورية القرآن ومدارية السنة.

وقد كانت المصادر والمراجع الحاضرة في الدراسة هي تفسير القرآن، وكذلك كتب علوم القرآن، بالإضافة إلى كتب الفقه وأصوله، والمعاجم اللغوية، وكتب الفكر الإسلامي والفلسفة، وكتب الدراسات المعاصرة، وذلك لتنوع مجال الدراسة الفكري. وفي الختام أشكر الله العليّ القدير على توفيقه لي لإتمام هذه الدراسة التي أردت بها خدمة كتاب الله الكريم والتقرب منه عز وجل، ولا أدعي لها الكمال؛ لأنها جهد بشري والقصور هو ديدن البشر، وكل جهد بشري عرضة للزلل والخطأ، فالكمال لله تعالى وحده.

الباحث

والحمد لله رب العالمين

محورية الخطاب القرآني ومداريتها في المدونات التفسيرية المعاصرة

التمهيد: مقاربات اصطلاحية في عنوان الأطروحة

المبحث الأول: المفاهيم الاعتبارية للمحورية والمدارية عند العلماء

المطلب الأول: المحورية في اللغة والاصطلاح

أولاً: المحورية في اللغة

ثانياً: المحورية في الاصطلاح

المطلب الثاني: المدارية في اللغة والاصطلاح

أولاً: المدارية في اللغة

ثانياً: المدارية في الاصطلاح

المطلب الثالث: الفروق المنهجية بين المحورية والمدارية عند المفسرين

أولاً: المحورية والمدارية في بعدهما التفسيري

ثانياً: وظيفة الخطاب القرآني ووظيفة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

وعلاقتهم بالمحورية والمدارية

ثالثاً: تقسيمات المحورية والمدارية في الدراسات القرآنية المعاصرة

المبحث الثاني: مفهوم الخطاب القرآني في اللغة والاصطلاح

المطلب الأول: الخطاب لغةً

المطلب الثاني: الخطاب اصطلاحاً

المطلب الثالث: الخطاب عند الأصوليين

المبحث الثالث: مفهوم المعاصرة في اللغة والاصطلاح

المطلب الأول: المعاصرة في اللغة

المطلب الثاني: المعاصرة في الاصطلاح

المطلب الثالث: الفرق بين المعاصرة والحداثة

المبحث الرابع: الجذور التاريخية لمصطلحي المحورية والمدارية

الفصل الأول: اتجاهات المفسرين المعاصرين في محورية الخطاب القرآني ومداريته

توطئة

المبحث الأول: القائلون بمحورية القرآن

توطئة

المطلب الأول: أدلة القائلين بمحورية القرآن

المطلب الثاني: المدونات التفسيرية التي اعتمدت محورية القرآن

المبحث الثاني: القائلون بمحورية السنة الشريفة

توطئة

المطلب الأول: حجية السنة ومجالات خدمتها للقرآن الكريم
أولاً: حجية السنة النبوية

ثانياً: مجالات خدمة السنة للقرآن الكريم
المطلب الثاني: المدونات التفسيرية القائلة بمحورية السنة
المبحث الثالث: القائلون بمحورية القرآن والسنة معاً
توطئة

المطلب الأول: المدونات التفسيرية المعتمدة محورية القرآن والسنة معاً في القرن
الرابع عشر الهجري
المطلب الثاني: المدونات التفسيرية المعتمدة محورية القرآن والسنة معاً في القرن
الخامس عشر الهجري

المبحث الرابع: القائلون بمحورية القرآن ومدارية السنة

المبحث الخامس: الرأي الراجح في محورية القرآن ومدارية السنة
توطئة

المطلب الأول: رأي المفسرين تجاه السنة والروايات
المطلب الثاني: القرآن الكريم هو المرجع العام للرسالة الإسلامية

الفصل الثاني: ضوابط وآليات محورية ومدارية الخطاب القرآني

توطئة

المبحث الأول: الضوابط والآليات المنهجية في محورية ومدارية الخطاب القرآني

المطلب الأول: الابتعاد عن الاسرائيليات

المطلب الثاني: مراعاة السياق

السياق لغة:

والسياق اصطلاحًا:

مفهوم السياق القرآني:

أهمية السياق القرآني في بيان المعنى المراد:

المطلب الثالث: الابتعاد عن تفسير القرآن الكريم بغير الأصول المعتمدة

أولاً: التكلم بالقرآن بالرأي

ثانيًا: ضرب القرآن بعضه ببعض

المطلب الرابع: الاستفادة من تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة

أولاً: المقدرة على تفسير القرآن بالقرآن.

ثانيًا: إمكانية تفسير القرآن من السنة النبوية الشريفة

المبحث الثاني: الضوابط والآليات المعرفية (الفكرية) في محورية ومدارية الخطاب
القرآني

المطلب الأول: الضوابط العقديّة

أولاً: العقيدة السليمة

ثانيًا: التجرد من الهوى والتعصب المذهبي المذموم

ثالثًا: الاتصاف بالورع والتقوى

المطلب الثاني: الضوابط النفسية

١ - الموضوعية في البحث

٢ - الفهم الشمولي

٣ - الموهبة

٤ - التدبر والتفكر

المطلب الثالث: الضوابط الاجتماعية

أولاً: معرفة علوم اللغة العربية

١ - علم معاني المفردات

٢ - علم النحو

٣ - علم الصرف والاشتقاق

٤ - علوم البلاغة

ثانياً: معرفة علوم القرآن الكريم

ثالثاً: معرفة علوم الشريعة

١ - علوم الحديث:

٢ - علم أصول الفقه:

٣ - علم الفقه:

٤ - علم الكلام:

رابعاً: الوعي بمشكلات العصر وأزماته

المطلب الرابع: العناية بالقواعد الأصولية

أولاً: قاعدة العناية بالمطلق والمقيّد

ثانيًا: قاعدة العناية بالعام والخاص
ثالثًا: قاعدة العناية بدلالة المجمل والمبين

المبحث الثالث: الجهد التفسيري للضوابط والآليات المنهجية والمعرفية وأثره على
المحورية والمدارية في المدونات التفسيرية المعاصرة

المطلب الأول: مفهوم الجهد التفسيري في اللغة والاصطلاح
المطلب الثاني: الجهد التفسيري للضوابط والآليات المنهجية في المدونات
التفسيرية المعاصرة

أولًا: عدم الأخذ بالاسرائيليات

ثانيًا: السياق وأثره في المدونات التفسيرية المعاصرة

ثالثًا: جهود المفسرين المعاصرين في الابتعاد عن تفسير القرآن بغير الأصول
المعتمدة

المطلب الثالث: الجهد التفسيري للضوابط المعرفية في المدونات التفسيرية
المعاصرة

أولًا: الجهد التفسيري للضوابط العقدية

العقيدة السليمة

التجرد من الهوى والتعصب المذهبي

ثانيًا: الجهد التفسيري للضوابط النفسية

الفهم الشمولي
التدبر والتفكر

ثالثاً: الجهد التفسيري للضوابط الاجتماعية

- ١ - علوم اللغة العربية
 - ٢- علوم القرآن الكريم وأثرها في المدونات التفسيرية المعاصرة
 - ٣- علوم الشريعة وأثرها في المدونات التفسيرية المعاصرة
 - ٤- الجهد التفسيري للوعي بمشكلات العصر في المدونات التفسيرية المعاصرة
- رابعاً: الجهد التفسيري للقواعد الأصولية

الفصل الثالث: أنساق محورية ومدارية الخطاب القرآني في المدونات
التفسيرية المعاصرة

توطئة

المبحث الأول: النسق العقدي

توطئة

المطلب الأول: الأسماء والصفات

١- الرؤية

٢ - القدرة

المطلب الثاني: النبوة

المطلب الثالث: الامامة

المطلب الرابع: العصمة

المطلب الخامس: القضاء والقدر

المبحث الثاني: النسق التشريعي

توطئة

المطلب الأول: العبادات

الصلاة الوسطى

المطلب الثاني: العقود

النكاح

المطلب الثالث: الايقاعات

الأيمان

المطلب الرابع: الأحكام

الأطعمة والأشربة

المبحث الثالث: النسق الأخلاقي والسلوكي

المبحث الثالث: النسق الأخلاقي والسلوكي

توطئة

المطلب الأول: الممدوح من الأخلاق

أولاً: الصدق

ثانياً: الصبر

ثالثاً: الايثار

المطلب الثاني: المذموم من الأخلاق

أولاً: الكذب

ثانياً: التكبر

ثالثاً: الخيانة

المبحث الرابع: أنساق أخرى (اجتماعي، علمي، سياسي)

المطلب الأول: النسق الاجتماعي

المطلب الثاني: النسق العلمي

المطلب الثالث: النسق السياسي

الفصل الرابع: رؤية المفكرين المعاصرين لطبيعة العلاقة بين خطاب
الوحي ومدارية التراث التفسيري

توطئة

المبحث الأول: مفهوم التراث

المطلب الأول: التراث لغة

المطلب الثاني: التراث اصطلاحاً

المطلب الثالث: مفهوم التراث في الفكر العربي المعاصر

المبحث الثاني: إن خطاب الوحي جزء من التراث

توطئة

المطلب الأول: أسس هذا الاتجاه والقائلون به

أولاً: أسس هذا الاتجاه

ثانياً: القائلون بهذا الاتجاه

المطلب الثاني: القرآن في ميزان النقد عند محمد أركون

المطلب الثالث: خطاب الوحي (الكتاب والسنة) جزء من التراث مع لزوم العصمة

للوحي بخلاف مكونات التراث

المبحث الثالث: عدم ادخال خطاب الوحي في مسمى التراث

توطئة

المطلب الأول: أسس هذا الاتجاه

المطلب الثاني: القائلون بهذا الاتجاه

الفصل الخامس: السمات المميزة لمحورية ومدارية الخطاب القرآني في
المدونات التفسيرية المعاصرة

توطئة

المبحث الأول: عالمية الخطاب القرآني

توطئة

المطلب الأول: معنى عالمية الخطاب القرآني وأهميتها

أولاً: معنى عالمية الخطاب القرآني

ثانياً: أهمية عالمية الخطاب القرآني

- ١ - بيان أن الخطاب القرآني من الله تعالى مع تكفل الله بحفظه.
- ٢ - عالمية الخطاب القرآني معصومة من أي اختلاف
- ٣ - عالمية الخطاب القرآني بريئة من التحيز والهوى

المطلب الثاني: المجالات المعاصرة لعالمية الخطاب القرآني

أولاً: المجال الأسري

ثانياً: مجال المعاملات المالية

ثالثاً: المجال القضائي

المبحث الثاني: حاكمية الخطاب القرآني

المطلب الأول: معنى الحاكمية في اللغة والاصطلاح

أولاً: الحاكمية في اللغة

ثانياً: الحاكمية في الاصطلاح

المطلب الثاني: معاني الحاكمية في القرآن الكريم

المطلب الثالث: رأي المفسرين المعاصرين في حاكمية الخطاب القرآني

المبحث الثالث: هداية الخطاب القرآني

توطئة

المطلب الأول: التفسير وتجليه هداية القرآن

المطلب الثاني: الهداية ومراتبها في القرآن الكريم

أولاً: الهداية العامة

ثانياً: هداية الدعوة والإرشاد والبيان

ثالثاً: هداية التوفيق والإلهام وخلق المشيئة المستلزمة للفعل

رابعاً: الهداية إلى طريق الجنة

المبحث الرابع: رسالة الخطاب القرآني

توطئة

المطلب الأول: رسالة الخطاب القرآني في السياسة

المطلب الثاني: رسالة الخطاب القرآني في المعاشرة

المطلب الثالث: ايجابية رسالة الخطاب القرآني

المبحث الخامس: جامعية الخطاب القرآني وشموليته

المطلب الأول: خلود الخطاب القرآني

أدلة خلود القرآن الكريم

١ - حفظ الله للقرآن الكريم :

٢- استمرار معجزة القرآن الكريم

المطلب الثاني: كمال الخطاب القرآني

المطلب الثالث: شمولية الخطاب القرآني

المطلب الرابع: حكومة القرآن الكريم على سائر الكتب السماوية الأخرى

المطلب الخامس: الآيات المبيّنة لجامعية القرآن الكريم

الفصل الأول: اتجاهات المفسرين المعاصرين في القول بمحورية القرآن ومدارية السنة

توطئة

المبحث الأول: القائلون بمحورية القرآن الكريم

المبحث الثاني: القائلون بمحورية السنة الشريفة

المبحث الثالث: القائلون بمحورية القرآن والسنة معًا

المبحث الرابع: القائلون بمحورية القرآن ومدارية السنة

المبحث الخامس: الرأي الراجح في محورية القرآن ومدارية
السنة

توطئة

اختلفت اتجاهات المفسرين في مدوناتهم التفسيرية المعاصرة في طريقة تفسيرهم للخطاب القرآني على عدة اتجاهات، وسيحاول البحث في هذا الفصل أن يعرض هذه الاتجاهات بعد أن صنّف المدونات التفسيرية، على حسب الإتجاه الذي اعتمده صاحب التفسير، فبرزت لنا عدة اتجاهات، منها القائلون بمحورية القرآن الكريم، والاتجاه الآخر القائلون بمحورية السنة الشريفة، واتجاه ثالث القائلون بمحورية القرآن والسنة معاً، والاتجاه الرابع القائلون بمحورية القرآن ومدارية السنة.

وقد اختار البحث المدونات التفسيرية المعاصرة بناءً على المدة الزمنية التي تم تحديدها في مدخل هذه الدراسة، والتي تتراوح بين سنة ١٣٣٠هـ وإلى عصرنا هذا، وكانت التفاسير المختارة هي تفاسير مدرسة الصحابة (رض)، وتفسير مدرسة أهل البيت (عليهم السلام).

وقد بيّن البحث اتجاه المفسر في مدونته التفسيرية اعتماداً على ما ذكره المفسر نفسه في مقدمة تفسيره، أو من خلال الاطلاع على تفسير السور القرآنية الكريمة ومعرفة اتجاه المفسر، مع ذكر الأمثلة للبعض منها لعدم إطالة الفصل.

وتعتمد دراسة هذه التفاسير على السبق الزمني لوفاء المفسر، مبتدئاً بتفسير مدرسة الصحابة، ثم تفاسير مدرسة الإمامية، مختاراً هذه التفاسير بحسب أهميتها وشهرتها.

المبحث الأول: القائلون بمحورية القرآن الكريم

المطلب الأول: القرآنيون وأفكارهم

المطلب الثاني: التفاسير المعاصرة التي تبنت محورية
القرآن عند مدرسة الصحابة

المطلب الثالث: التفاسير المعاصرة التي تبنت محورية
القرآن عند مدرسة الإمامية

المطلب الأول: القرآنيون وأفكارهم

أولاً: القرآنيون

يرى القرآنيون أن تفسير القرآن يكون بالقرآن نفسه دون الرجوع إلى أمر آخر. فقد ذهب بعض العلماء إلى القول بالقرآن الكريم وحاكميته على السنة، وبالأخص في تفسير القرآن الكريم. ويعطي أصحاب هذا الاتجاه القرآن الدور المحوري والوحيد كمصدر للمعارف الإسلامية ويرفضون أي دور للحديث. لا لأنهم يرفضون سنة رسول الله (عليه الصلاة والسلام)، بل لكون هذا الحديث منقول عن الرسول وآل بيته (عليهم السلام)، وغير مؤكد الصدور عنهم نتيجة ما أصاب الحديث من وضع وتحريف - على حد زعمهم - .

ويؤكد هؤلاء أن الكثير من الحديث قد يكون مُختلَقًا بسبب عوامل متعددة، منها تأخر تدوين الحديث والتأثيرات السياسية. إذ أن الأحاديث كتبت بعد حوالي قرنين من وفاة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلا يمكن - حسب زعمهم - أن يكون لها نفس وضع القرآن. كما يستدلون بكون القرآن هو الكتاب الوحيد الذي أجمع المسلمون كافة على صحته، بينما الأحاديث فيها اختلاف كثير على صحتها بين الفرق الإسلامية المتعددة.

فهؤلاء هم الذين يعتمدون على القرآن فقط في مرجعيتهم الإسلامية؛ لأن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يبلغ إلا القرآن فقط، وأن الأوامر بالإيمان لم تأت إلا بالقرآن فقط^(١).

(١) ينظر: صحيفة الاهرام، د عثمان أحمد، العدد ٣٨٤ ، ١٤٢٤ هـ .

ويرى هؤلاء أنَّهم يتبعون القرآن وحده؛ لأنه المصدر الوحيد للشريعة الإسلامية - حسب زعمهم - محتجين بقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَتَهْتَدُونَ جَمْعًا حَمَلًا خَمَلًا﴾ {العنكبوت: ٥١}، وأن القرآن لم يفرط في شيء يحتاج إليه المسلمون، و أنه نزل تبيانًا لكل شيء؛ لأنه سنة الله الذي كان خاتم النبيين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مأمورًا بإتباعه وحده. كما يعتقد هؤلاء أنَّ رسالة الله في القرآن واضحة وكاملة كما هي. وبذلك يمكن فهمها تمامًا دون الرجوع إلى مصادر أخرى كالحديث.

كما ادعى أصحاب هذا الرأي أنَّ الشريعة لا تؤخذ إلا من القرآن، وأنَّ المسلمين ليسوا بحاجة إلى السنة^(١).

والواضح أنَّ هؤلاء يرون أن الرجوع يكون للقرآن الكريم وحده وكفى، فلا حاجة لشيء غيره وسواه؛ لأنَّه يلبي كافة الاحتياجات البشرية، ويحقق الرغبات الانسانية، وهو المنهج لكل شيء، ومن الواضح، أنَّ البناء على النظرية المذكورة يلغي دور السنة تمامًا، فلا تصلح أن تكون مرجعًا، بل ولا مبيِّنًا لشيء من القرآن الكريم. فهؤلاء هم الذين يطلق عليهم قرآنيون، أو هم أنفسهم أصحاب مقولة (حسبنا كتاب الله).

أما الاتجاه القائل بمحورية القرآن فإنَّه قد يبدو موافقًا للوهلة الأولى للمقولة التاريخية القائلة (حسبنا كتاب الله)، وهي المقولة التي نرفضها جملةً وتفصيلاً. ولكن بعد البحث والتدقيق يتبيَّن أنَّ الاتجاه القائل بمحورية القرآن إنَّما يُنكر السنَّة المحكيَّة لا السنَّة الواقعية، في حين إنَّ أصحاب مقولة (حسبنا كتاب الله) أو القرآنيون ينكرون السنَّة الواقعية، بمعنى أنَّها إقصاء تام للسنَّة الشريفة، فقد قيلت هذه الكلمة في حضرة

(١) ينظر: أفعال الرسول ودلالاتها على الأحكام الشرعية، محمد سليمان الأشقر، ٢١ / ١.

النبي ولم يكن هدفها التشكيك بالسنة المحكية عن رسول الله بل التشكيك والطعن في نفس السنة الواقعية^(١).

ثانيًا: أفكار القرآنيين

للقرآنيين مجموعة من الأفكار، ومن أهم هذه الأفكار:

١ - الدعوة إلى الاعتماد على القرآن الكريم وحده

رفع منكر السنة النبوية شعارًا لدعوتهم، وأساسًا لفكرهم، ينطلقون من خلاله في التعامل مع الشريعة الإسلامية، وهو قولهم، القرآن وكفى مصدرًا للشريعة الإسلامية، أو حسبنا كتاب الله^(٢)، وأرادوا بذلك أن الدين كله جاء مفصلاً في القرآن الكريم، ولا يحتاج معه إلى السنة النبوية^(٣)، وتتكروا لمصادر الدين الإسلامي الأخرى، وهذا مما لا يقبل به المسلمون، كونه يُبعد السنة الشريفة من ساحة التفسير، مما يؤدي إلى تلبيس وإيهام لكثير من إحكام الدين الإسلامي، فهي ((كلمة حق أريد بها باطل))^(٤)، إذ حاولوا أن يجعلوا أن القرآن فيه تبيانًا لكل شيء، ولا تحتاج الأمة إلى غيره من مصادر التشريع الأخرى^(٥).

(١) ينظر: اسلام القرآن و اسلام الحديث، ملخص المشروع الاصلاحى للسيد كمال الحيدري، بقلم الدكتور طلال الحسن، ٦٨

(٢) ينظر في كتبهم على سبيل المثال: القرآن وكفى مصدرًا للتشريع الاسلامي، أحمد صبحي منصور، الناشر: مؤسسة الانتشار العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، ١٣. والاسلام والايمان منظومة القيم، الدكتور محمد شحرور، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ٥١.

(٣) ينظر: القرآن وكفى، أحمد صبحي منصور، ١٣ - ١٤.

(٤) رويت هذه العبارة عن الامام علي (عليه السلام) في: صحيح مسلم، ٢ / ٧٤٩ حديث رقم (١٠٦٦). وشرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، الطبعة الأولى، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م، ٢ / ١٠٤.

(٥) ينظر: البرهان من السنة والقرآن في الرد على صاحب البيان، رمضان جمعة البركي، دار الحكمة، طرابلس - ليبيا، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ١ / ١٢.

وهم في دعوتهم هذه، يزعمون الاعتماد على القرآن الكريم، وهم في الحقيقة يرفضون العمل بأوامر القرآن، وكيف يمكنهم العمل بالقرآن الكريم وقد نزعوا منه أرسخ دعائمه وأمنتها، ألا وهي السنة النبوية، التي عليها مدار فهم آياته، فمنها تعرف معانيه، ويوقف على أحكامه وحكمه^(١). فالقرآن وإن حوى أصول الدين وقواعد الأحكام العامة، ونص على بعض الجزئيات، إلا أنه محتاج إلى السنة النبوية لبيان باقي التفاصيل التشريعية الواردة فيه^(٢).

وقد وصفهم الشاطبي بالخروج عن السنة، والانخلاع عن الجماعة بقوله: ((إنَّ الإقتصار على الكتاب رأي قوم (لا خلاق لهم)، خارجين عن السنة؛ إذ عولوا على ما بنيت عليه من أن الكتاب فيه بيان كل شيء، فاطرحوا أحكام السنة فأداها ذلك إلى الانخلاع عن الجماعة وتأويل القرآن على غير ما أنزل الله))^(٣). فهؤلاء يعلمون أن الأحكام الشرعية تعتمد على السنة أكثر مما تعتمد على القرآن، فأرادوا التخلص من تلك الأحكام بإقصائهم للسنة النبوية.

٢ - التكرار للسنة النبوية

قامت دعوة القرآنيين على التكرار للسنة النبوية وطرحها، والإعراض عما جاء فيها من تشريعات وأحكام، وتفسير للقرآن الكريم، وهم يصرحون بذلك في أغلب كتاباتهم، ويزعمون أن السنة ليست من الدين الاسلامي في شيء، ولا يجوز نسبتها

(١) ينظر: السنة النبوية المطهرة قسم من الوحي الالهي المنزل، الشيخ محمد علي الصابوني، كتاب شهري يصدر عن رابطة العالم الاسلامي، العدد (١٧٠)، النسخة الخامسة عشرة، صفر ، ١٤١٧ هـ، ٥٩.

(٢) ينظر: السنة في مواجهة الأباطيل، محمد طاهر بن حكيم غلام رسول، الناشر: دعوة الحق (سلسلة شهرية تصدر مع مطلع كل شهر عربي - السَّنة الثانية: ١٤٠٢ هـ ربيع الأول العدد (١٢) (مطبوعات رابطة العالم الإسلامي)، ١٠١.

(٣) الموافقات، ٤ / ٣٢٥ - ٣٢٦.

إلى دين الله تعالى^(١)، ومنهم من عدّها من كلام رسول الله (عليه الصلاة والسلام) وكلامه مثل كلام جميع الناس، فهو ليس مشرّعاً^(٢)، وهم يعدّونها تاريخ بشري للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس إلّا^(٣).

٣- تقديس العقل وتقديمه على نصوص الكتاب والسنة

خلق الله - جلت قدرته - العقل في الانسان، وهياًه ليقوم بوظيفته التي خصه الله تعالى بها، وجعل له حدوداً تتحصر في فهم شريعة الله واستتباط الأحكام منها، والإيمان والعمل بها^(٤)، ولكنه لا يستقل بذلك ((بل هو غريزة في النفس وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين؛ فإن إتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار. وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها وإن عزل بالكلية: كانت الأقوال والأفعال مع عدمه: أموراً حيوانية))^(٥).
وقد لعبت أفكار المدرسة العقلية القديمة والحديثة، دوراً مؤثراً في الحياة الفكرية والمنهجية للقرآنيين في مكانة العقل عندهم، ذلك لأنهم تلقوا أفكار تلك المدرسة

(١) ينظر: تجفيف منابع الارهاب، محمد شحرور، الناشر: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، سورية - دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، ٢٧ - ٢٨.

(٢) ينظر: الحديث والقرآن، ابن قرناس، الناشر: منشورات الجمل، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، ١٣ - ١٤.

(٣) ينظر: السنة الرسولية والسنة النبوية، محمد شحرور، دار الساقى، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، ٩٦ - ٩٩.

(٤) ينظر: اتجاهات الفكر الاسلامي المعاصر في مصر، الدكتور حمد بن صادق الجمل، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ١ / ٢١٠.

(٥) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ٣ / ٣٣٩.

وتبنوها، وأشادوا بها وساروا على منوالها في كثير من أفكارهم، فهم يرون أن رجال تلك المدرسة هم أصحاب الفكر المستنير، وهم من أقام للعقل صرحاً مشيداً^(١).

٤ - الدعوة إلى التجديد في تفسير القرآن المجيد

يحاول منكرو السنة إظهار أنفسهم أنهم يسعون إلى التجديد في التفسير، من خلال الدعوة إلى التخلص من الأفكار التي تشكل حاجزاً أمام فهم القرآن الكريم، فيرى محمد شحرور أن هناك ((ضرورة ملحة لتقديم قراءة تحرر التنزيل الحكيم من هذه التلبسات الإيديولوجية والثقافية التي منعت من أداء دوره التصحيحي والمعرفي))^(٢).

ويسعى منكرو السنة النبوية في تجديدهم هذا إلى الخروج عن أصول التفسير التي اعتمدها المفسرون، ورجعوا إليها عند تفسير كتاب الله، من أمثال السنة النبوية التي تعتبر المصدر الأساس في التفسير، فهم يرفضون الرجوع إلى السنة النبوية كمصدر للتفسير؛ لأنّها في نظرهم مفهوم ((لا تتجاوز ما حصل في الجيل الأول، فهو مفهوم مبني على كون دلالات كتاب الله تعالى لا تتجاوز ما أدركه رجاله الأجيال الأولى، وبالتالي نرى أن المنظرين لهذا المفهوم يحاربون كل جديد مهما كان هذا الجديد))^(٣). فهؤلاء أرادوا أن يبعدوا السنة من ساحة التفسير.

المطلب الثاني: التفاسير المعاصرة التي تبنت محورية القرآن عند مدرسة الصحابة
سوف نذكر في هذا المطلب التفاسير التي حوت بداخلها على إشارات لمحورية القرآن، والتي بدأنا بها من سنة (١٣٧٦ هـ) وتحديداً من تفسير السعدي.

(١) ينظر: تفسير القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، جمال البنا، الناشر: كتب عربية للنشر والتوزيع الإلكتروني، ١٣٧ - ١٣٨.

(٢) القصص القرآني، محمد شحرور، دار الساقى، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠١٢م، ١ / ١٦٥.

(٣) محطات في سبيل الحكمة الفارق بين السنة الشريفة وروايات الأحاديث، عدنان الرفاعي، الناشر: مركز الذكر للدراسات الإسلامية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ٨١.

١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (١٣٧٦هـ)

صاحب التفسير هو عبد الرحمن بن ناصر السعدي^(١)، وهو من التفاسير التي أشارت إلى محورية القرآن، فهو يركز عليها من خلال النظر لسياق الآيات الذي هو من أحد طرق تفسير القرآن بالقرآن، فيقول: ((فينظر في سياق الكلام، وما سيق لأجله، ويقابل بينه وبين نظيره في موضع آخر؛ ويعرف أنه سيق لهداية الخلق كلهم، عالمهم وجاهلهم، حضريهم وبدويهم، فالنظر لسياق الآيات... من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه))^(٢). فهو يجعل معرفة كتاب الله تعالى، وفهم المراد منه مرتبط بسياق الآيات ومقابلة بعضها ببعض الآخر.

ومن الأمثلة على ذلك تفسيره لقوله تعالى: أَّا جُرْجُرْجُمٌ مِّمَّ جُرْجُرْجُمٍ {الإسراء: ٢٧}، فهو يرى أن الشيطان يدعو الإنسان إلى البخل والإمساك فإذا عصاه، دعاه إلى الإسراف والتبذير. ولكن الله تعالى يأمر بأعدل الأمور وأقسطها ويمدح عليه، لقوله تعالى: أَّا جُرْجُرْجُمٌ مِّمَّ جُرْجُرْجُمٍ {الفرقان: ٦٧}^(٣).

وأيضاً في تفسير قوله تعالى: أَّا جُرْجُرْجُمٌ مِّمَّ جُرْجُرْجُمٍ {الإسراء: ٣٤}، فهو يرى أن هذا لطف ورحمة باليتيم الذي فقد والده وهو صغير غير عارف بمصلحة نفسه ولا قائم بها، فيجب حفظه

(١) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السَّعْدِي التَّمِيمِي: مفسر، من علماء الحنابلة، من أهل نجد. مولده ووفاته في عنيزة (بالقصيم) وهو أول من أنشأ مكتبة فيها (سنة ١٣٥٨هـ) له نحو ٣٠ كتاباً، منها: (تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن)، و(تيسير اللطيف المنان في خلاصة مقاصد القرآن)، و(القواعد الحسان في تفسير القرآن)، و(طريق الوصول إلى العلم المأمول من الأصول)، و(الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين)، وغيرها. { ينظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م، ٣ / ٣٤٠}.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ٣٠.

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ٤٥٦.

وحفظ ماله وإصلاحه، وعدم تعريضه للأخطار، والحرص على تنميته، لوقت بلوغه ورشده، فإذا بلغ أشده زالت عنه الولاية وصار ولي نفسه ودفع إليه ماله، كما في قوله تعالى: أ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ {النساء: ٦} ^(١). فهو يقابل الآية بنظيرتها ويستعين بالآيات الكريمة بعضها البعض في التفسير.

٢- التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب (ت بعد ١٣٩٠هـ)

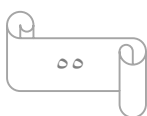
صاحب التفسير هو عبد الكريم بن محمود بن يونس الخطيب^(٢)، ومنهجه في تفسيره هذا كان يعتمد على جمعه للقضايا والمضامين المتشابهة، ووضعها إلى جانب بعضها اعتماداً على منهجية تفسير القرآن بالقرآن، وكان يعتمد العلم والعقل، كما أنه كان معروفاً بتجاهله لتفسير المتقدمين والمتأخرين^(٣).

وقد أشار في مقدمة التفسير إلى محورية القرآن، فهو يرى أنّ فهم التشريعات الإسلامية لا يتحقق إلّا بالفهم الصحيح والسليم لكتاب الله تعالى، وهذا الفهم لا يتحقق إلّا بتدبر آياته وتذوق أساليب بيانه، فيقول: ((ولا يستقيم هذا القول، الذي نقوله في القرآن - بأنه مصدر التشريع الإسلامي - إلّا بفهم سليم صحيح لكتاب الله،

(١) ينظر: المصدر نفسه، ٤٥٧.

(٢) عبد الكريم بن محمود بن يونس بن أحمد بن حسن الخطيب، الباحث والمفكر الاسلامي والمفسر، ولد في قرية الصوامعة غرب التابعة لمركز طهطا بمدرية جرجا بصعيد مصر، وتخرج بمدرسة المعلمين بسوهاج فعمل بالتعليم والتحق بدار العلوم فلما تخرج بها عمل بالمدارس الثانوية، ثم التحق بوزارة الأوقاف، فأخذ يتدرج في المناصب حتى وصل إلى منصب مدير مكتب وزير الأوقاف، وقد تم إخراجة من الوظيفة بسبب بعض مواقفه الصلبة المساندة للحق، ومن أبرز أعماله كتابه: التفسير القرآني للقرآن، وكتابه قضية الألوهية بين الفلسفة والدين، والحدود في الإسلام، ومسلمون وكفى، والقضاء والقدر، النبي محمد انسان الانسانية، وعلي بن أبي طالب بقية النبوة وخاتم الخلافة، وغير ذلك من المؤلفات العديدة التي أشرى بها المكتبة الإسلامية والعربية. { ينظر: تنمة الأعلام للزركلي، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ١ / ٣١٧ - ٣١٨ }.

(٣) ينظر: التفسير والتفاسير الحديثة، بهاء الدين خرمشاهي، راجعه: عصام حسن، دار الروضة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م - ١٤١١هـ، ٢٨ - ٢٩.



ثم يعلن صراحةً أنه يجعل المحورية للقرآن فقط في تفسيره هذا، ولا يعتمد على أي شيء غير القرآن، فيقول: ((ومن أجل هذا كانت صحبتنا هذه لكتاب الله، على هذا الوجه، الذي لا ننظر فيه إلى غير كتاب الله، وإلى تدبر آياته، بعيداً عن طنين المقولات الكثيرة التي جاءت إلى القرآن من كل صوب، وكادت تخفت صوته، وتغيم على الأضواء السماوية المنبعثة منه! إنما في صحبتنا هذه للقرآن، لا نقيم نظرننا على غير كلماته وآياته، ولا نخط على هذه الصفحات غير ما يسمح لنا به النظر في كلماته وآياته))^(٢). وهذا الكلام يدل دلالة واضحة على اعتماده لمحورية القرآن في التفسير .

ومثال على ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿أُتِيَ الْبُرْجَانَيْنِ مِنْ قِبَلِهِمَا الْمَلَائِكَةُ وَقَالَتَا لِمَ تُؤْمِنُونَ بِهِ دُونَ اللَّهِ أَلَمْ يَأْتِكُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالْحَقِّ فِي الْوَيْلَةِ الَّتِي أَنْتُمْ فِيهَا تُلَاقُونَ﴾ {آل عمران: ١٩}، فهو يرى أن ذلك الدين هو (الإسلام) الذي حمله رسل الله، إلى عباد الله، من آدم إلى محمد، عليهم جميعاً الصلاة والسلام. ويستشهد بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ سُلَيْمَانَ وَدَاوُدَ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا عَادِينَ لِلْعَذَابِ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَمُونِ﴾ {النساء: ١٦٣}، فيرى أنّ الذي أوحاه إلى رسله، هو دينه الذي ارتضاه لعباده، وهو الإسلام. ويؤكد ذلك بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ مَا كَانَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْ يُعْتَبَرُوا بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ {الشورى: ١٣}{^(٣)}، فهو يجعل القرآن الكريم محوراً في تفسيره للآيات القرآنية الكريمة.

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة، ١ / ١١.

(٢) المصدر نفسه، ١ / ١١.

(٣) التفسير القرآنى للقرآن، ٢ / ٤١٩ - ٤٢٠.

٣ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)

[illegible]

(١) هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد، نوح بن محمد بن أحمد بن المختار من أولاد أولاد الطالب أوبك الجكنيين، ويرجع نسب قبيلته إلى حمير، ولد في (شنقيط)، وهي من الجزء الشرقي من موريتانية، الواقعة شرق المحيط الأطلسي، جنوب مراكش والجزائر، وشمال السنغال، عالماً بالأدب نزل بالقاهرة وتوفي فيها، وقد أتم حفظ القرآن وهو ابن عشر سنوات. من كتبه: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، والدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع، والمعلقات العشر وأخبار قائلها، وغيرها. { ينظر: الأعلام، الزركلي، ١ / ١٠١. والتفسير والمفسرون في العصر الحديث، عبد القادر محمد صالح، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٣م، ١٨٠. }

(٢) ينظر: التفسير والمفسرون في العصر الحديث، ١٨٣.

إيضاح الحق^(١). فهذا المعنى استخلصه من خلال جمع مجموعة من الآيات التي هي في موضوع واحد، وهذا هو الدور المحوري للقرآن في تفسير آياته.

٤- أوضح التفاسير لمحمد بن الخطيب (ت ١٤٠٢هـ)

هذا التفسير لمؤلفه محمد بن الخطيب^(٢)، فهو قد أشار إلى محورية القرآن في تفسيره، وذلك في تفسير كثير من الآيات القرآنية، فمثلاً في تفسير قوله تعالى من سورة البقرة أَّا نِي َ ير َ َ َ {البقرة: ٢٦}، يرى أنهم الكافرون؛ لأن الله تعالى لا يضل مؤمناً بدليل قوله تعالى: أَّا َ َ َ َ َ َ َ َ {التوبة: ١١٥}، وإثماً إضلال الله تعالى يقع عقوبة لمن يصر على الكفران، وبأبى داعي الإيمان^(٣).

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ١ / ١٠.

(٢) محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب. ولد في القاهرة، وفيها توفي. عاش في مصر ولبنان والسعودية. حفظ القرآن الكريم صغيراً، ثم التحق بمدرسة الحسين الابتدائية، فحصل على شهادتها مكتفياً بها ليعكف على تنقيف نفسه وفق منهج متكامل، حتى أصبح واحداً من علماء عصره في التفسير وعلوم القرآن الكريم، وغير ذلك من العلوم الإسلامية. عمل منذ صغره في مطبعة والده (المطبعة المصرية) التي تخصصت في طباعة القرآن الكريم، ثم توسع في أعماله الطباعة والفنية. كان عضواً في العديد من الجمعيات والنقابات، منها: نقابة الأشراف، جماعة القرآن الكريم، وجماعة الإخوان المسلمين، و المجلس الصوفي الأعلى وجماعة شعراء العروبة، والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. له عدد من المؤلفات في مجال التفسير والفكر الإسلامي، منها: الفرقان في جمع وتدوين القرآن، المرأة في شتى العصور، هذا هو الحق، وأوضح التفاسير، وله منظومتان في الانتاج الشعري: الإمام أبي عبد الله الحسين، وأسماء الله الحسنى {ينظر: معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين (محذوف الأشعار)، محمد خير الله رمضان يوسف، ١٤٣٢هـ، ٦٠٤٨}.

(٣) ينظر: أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (ت ١٤٠٢هـ)، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة السادسة، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م. ١ / ٦.

وأيضاً في قوله تعالى: ﴿أَ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السَّبِيلَ﴾ {البقرة: ٢٧}، يرى أن المراد بناقضي العهد: المنافقين، أو الكفار جميعاً، أو هم أحبار اليهود، بدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَلْعَنُوا لِمَ لِي يَأْتِيَنَّكَ السَّاعَةُ﴾ {آل عمران: ١٨٧} (١). وهو يستعمل هذه الطريقة في كل تفسيره، ولا نجد للروايات دوراً واضحاً في تفسيره هذا.

٥- التيسير في أحاديث التفسير للناصري (ت ١٤١٤هـ)

ومن الذين أشاروا لمحورية القرآن هو محمد المكي الناصري (٢)، في تفسيره (التيسير في أحاديث التفسير)، حيث يرى أن الله تعالى جعل كتابه تبياناً لكل شيء، فوضح لنا فيما وضح ما هي رسالة القرآن، بأعجز وأوجز بيان، فقال تعالى: ﴿أَبْرَهُمْ بِهَاجِرَاتِهِمْ﴾ {الأعراف: ٢٠٣}. وقال تعالى: ﴿أَبْرَهُمْ بِهَاجِرَاتِهِمْ﴾

(١) ينظر: المصدر نفسه، ١ / ٧ .

(٢) عالم مغربي، رئيس رابطة العلماء وعضو مجلس الوصاية، ولد بمدينة الرباط سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وألف، انتقل في مطلع الثلاثينات إلى مصر ودرس بكلية الآداب التابعة لجامعة القاهرة، ثم انتقل إلى باريس ودرس علوم التربية، ثم درس القانون الدولي في جامعة جنيف. كان عضواً مؤسساً وعاملاً في لجنة تحرير المغرب العربي التي أنشأها محمد عبد الكريم الخطابي بالقاهرة، تفرس بالقرآن الكريم قراءةً وتجويداً، تلقياً وتلقيماً، دراسةً وتدریساً، وأخذ علم التفسير على شيوخ كبار من المغرب والمشرق. من مؤلفاته: التيسير في أحاديث التفسير، ومحاضرات منها: المنهج العلمي لتفسير القرآن، دستور العمل في شريعة القرآن، إعجاز القرآن على ضوء العلم الحديث، وغيرها. { ينظر: التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، محمد بن رزق بن طرهوني، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، ١ / ٣٥٩ - ٣٦٠ }.

فأحاديث التفسير تدور في فلك هذه الآيات البينات، والتي حددت بمنتهى الدقة والوضوح رسالة القرآن الأصلية، كما أنّ أحاديث التفسير هذه تقدم للجمهور المسلم معاني القرآن، خالصة من جميع الشوائب التي تتنافى مع روح القرآن، ولتُبَرِّئ ساحة القرآن من كل ما لا يمت بسبب ولا نسب إلى القرآن، وَلِتُسْتَعِنَ على بسط ما هو مجمل، وتقيد ما هو مطلق، وتخصيص ما هو عام، وتوضيح ما قد يعرض في فهمه إشكال أو غموض، بمقارنة الآيات القرآنية الواردة في كل موضوع موضوع وكل ميدان ميدان، فكتاب الله من بدايته إلى نهايته كتاب واحد يفسر بعضه بعضاً، ويكمل بعضه بعضاً، وهو بمجموعه وبكافة سورهِ يُكوِّن وحدة متلاحمة لا تقبل التناقض ولا تعرف الاختلاف. قال تعالى: ﴿

هذا التفسير لمحمد متولي الشعراوي^(٣)، وقد استغرق هذا التفسير جل عمر المؤلف، وقد أعطى عمله من الوقت والجهد الكثير، وحسب المؤلف أنّ الجهد

(٢) ينظر: التيسير في أحاديث التفسير، ١ / ٧ - ٨.

(٣) ولد محمد متولي الشعراوي في بلدة دقادوس (مركز ميت غمر - محافظة الدقهلية - مصر)، وتوفي في القاهرة. عاش في مصر والمملكة العربية السعودية والجزائر. حفظ القرآن الكريم في كتاب القرية، وعمره أحد عشر عامًا، ثم ألحقه أبوه بالمعهد الابتدائي الأزهري في الزقازيق عام ١٩٢٦، فحصل على شهادته عام ١٩٣٢م، التحق بعد ذلك بالقسم الثانوي في معهد الزقازيق، وحصل على شهادته عام ١٩٣٦م ليلتحق بكلية اللغة العربية في جامعة الأزهر محرزًا إجازتها العالية عام ١٩٤١م، وفي عام ١٩٤٣م حصل على إجازة في التدريس. عمل - عقب تخرجه - مدرسًا في معهد طنطا الأزهري فمعهد الإسكندرية الأزهري، ثم معهد الزقازيق، وفي عام ١٩٥١ رحل إلى المملكة العربية السعودية، ليعمل مدرسًا للتفسير والحديث في كلية

والوقت العظيمين لم يذهبا سدى، إنما بُذِلَا في أكرم موضوع ألا وهو فهم الكتاب الكريم، فقد قال في مقدمة تفسيره: ((فهذا حصاد عمري العلمي، وحصيلة جهادي، الاجتهاد شرفي فيه أنني عشت كتاب الله وتقانيت لاستقبال فيض الله ولعلي أكون قد وفيت حق إيماني، وأديت واجب عرفاني))^(١).

وقد أشار إلى محورية القرآن في تفسيره المسمى بـ (الخواطر)، فعند مطالعة التفسير نرى أنه كثيراً ما كان يستعين بالآيات القرآنية في فهم بعضها البعض، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ اتَّقَاةِ﴾ {إبراهيم: ١}، فهو في هذه الآية الكريمة يثبت أن القرآن الكريم نزل للناس كافة وليس للعرب فقط كما قال البعض، وذلك من خلال اعتماده على الآيات القرآنية الأخرى لإثبات ذلك. فهو يرى أن القرآن نزل للناس كافة، كما أن الله سبحانه لم يخاطب الرسل السابقين بما خاطب به النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، بأن رسالاتهم عامة، حيث كانت رسالة أي واحد منهم محددة بقومٍ معيَّنين، وذلك باعتداده على الآيات القرآنية الكريمة، مثل قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُ أَنْبِيَآءٍ مِّن قَبْلِهِ﴾ {الأعراف: ٦٥}. وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُ أَنْبِيَآءٍ مِّن قَبْلِهِ﴾ {الأعراف: ٨٥}. وكذلك قوله لموسى: ﴿أَمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُ أَنْبِيَآءٍ مِّن قَبْلِهِ﴾ {آل عمران: ٤٩}^(٢).

الشرعية بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة. عُيِّنَ وكيلاً لمعهد طنطا الأزهرى في عام ١٩٦٠م، وفي عام ١٩٦١م تولى منصب مدير الدعوة الإسلامية في وزارة الأوقاف، وفي العام الذي يليه عُيِّنَ مفتشاً للعلوم العربية بالأزهر. وفي عام ١٩٦٤م اختاره الإمام الأكبر حسن مأمون شيخ الأزهر مديراً لمكتبه. رحل إلى الجزائر على رأس البعثة الأزهرية عام ١٩٦٦م عقب الاستقلال، وأشرف هناك على وضع مناهج دراسية جديدة للغة العربية، وفي عام ١٩٦٧م عاد إلى القاهرة ليعمل مرة أخرى مديراً لمكتب الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر. له العديد من المؤلفات في مجالات التفسير والدعوة منها: الإسلام حدثاً وحضارة، وتفسير الشعراوي، وأخبار اليوم، ومعجزة القرآن. { ينظر: معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، محمد خير الله رمضان يوسف، ، ٦٧٧٥}.

(١) تفسير الشعراوي - الخواطر، محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار

اليوم، ١٩٩٧م، ٩ / ١.

(٢) ينظر: تفسير الشعراوي، ١٢ / ٧٤٢٣.

فهكذا كان كل رسول إنما يبعثه الله إلى بقعة خاصة، وإلى أناس بعينهم، وفي زمن خاص، إلا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد بعثه الله إلى الناس كافة. فقلوه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَاءْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَالْحَقُّ لَا يَأْتِي الْبَاطِلَ وَمَا نَحْنُ بِمُتَحَدِّثِينَ﴾ {إبراهيم: ١} دليل على عمومية الرسالة، ويعززها أيضاً قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَاءْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَالْحَقُّ لَا يَأْتِي الْبَاطِلَ وَمَا نَحْنُ بِمُتَحَدِّثِينَ﴾ {الأعراف: ١٥٨}. وبذلك تبطل حجة من قال أن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، هو نبيٍّ مرسلٌ إلى العرب فقط^(١).

٧ - التفسير البياني للقرآن الكريم لعائشة عبد الرحمن (١٩٤١هـ)

مؤلف التفسير هي عائشة عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ^(٢)، فقد أشارت في مقدمة تفسيرها إلى محورية القرآن الكريم في التفسير، فكانت تحكم القرآن نفسه في تفسيرها للآيات الكريمة، فتقول: ((وما أعرضه هنا، ليس إلا محاولة في هذا التفسير البياني للمعجزة الخالدة، حرصت فيها - ما استطعت - على أن أخلص لفهم النص القرآني فهماً مستشفاً روح العربية ومزاجها، مستأنسة في كل لفظ، بل في كل حركة ونبرة، بأسلوب القرآن نفسه، ومحتكمة إليه وحده، عندما يشتجر الخلاف، على هدى التتبع الدقيق لمعجم ألفاظه، والتدبر الواعي لدلالة سياقه، والإصغاء المتأمل، إلى إحياء التعبير في البيان المعجز))^(٣). فكانت تعتمد القرآن الكريم نفسه

(١) ينظر: المصدر نفسه، ١٢ / ٧٤٢٣ - ٧٤٢٤.

(٢) عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، مفكرة وكاتبة مصرية، وأستاذة جامعية، وباحثة، وهي من الباحثين المحدثين الذين نحو إلى إبراز الجانب الفني من الأسلوب القرآني، نشأت في بيت علم والدها الشيخ محمد علي عبد الرحمن، ودرست على نخبة من الأساتذة الأجلاء وعلى رأسهم الشيخ أمين الخولي الذي أولته المزيد من الاحترام لجزيل فضله، دونما نسيان لفضل والدها. [ينظر: شخصيات ومواقف عربية ومصرية، محمد سليم العوا، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٤م، ٣٥٨. والتفسير والمفسرون في العصر الحديث، عبد القادر محمد صالح، ٢٨١].

(٣) التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (ت ١٩٤١هـ)، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السابعة، ١ / ١٧.

في إيضاح مدلولاته معتمدةً على سياق الآيات الكريمة ودلالة الألفاظ، فكانت تقابل الآيات بعضها ببعض لتصل إلى المعنى المراد.

ومن الأمثلة على ذلك في تفسيرها لقوله تعالى: أَّا □ □ سمَّ {العاديات: ٥}، فإنَّ عند تدبر كلمة (جمعاً)، تلمح دلالتها البيانية، فتذكر أنَّ هذا اللفظ يأتي كثيراً في القرآن، للحشد الكاثر في المعركة، ومع مظنة القوة والغلبة، وتحشُّد الآيات القرآنية الكريمة التي تدل على هذا المعنى، ومنها قوله تعالى: أَّا □ □ □ □ □ {القمر: ٤٤}، وقوله تعالى: أَّا □ □ □ □ □ {آل عمران: ١٧٣}، وغيرها من الآيات الكريمة^(١). فهي تعتمد هذه الطريقة في أكثر تفسيرها، وهي طريقة تعطي الدور الأساس والمحوري للقرآن الكريم في تفسير معاني الآيات الكريمة.

٨ — التفسير الوسيط للزحيلي

هذا التفسير لمؤلفه وهبة الزحيلي^(٢)، وهذا التفسير يقع في ثلاثة مجلدات، صدر عن دار الفكر بدمشق، ويتميز هذا التفسير أنَّ فيه زيادة تفسير لبعض الآيات عمّا هو مذكور في التفسير المنير للمؤلف نفسه. كما فيه أيضاً إيضاح لمعاني الكلمات الغامضة، واحتوى على مقدمة لكل مجموعة آيات تُولف مع بعضها موضوعاً واحداً^(٣).

(١) ينظر: التفسير البياني للقرآن، ١ / ١٠٩ — ١١٠.

(٢) الدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، المولود في دير عطية قرب دمشق، واحد من العلماء والمفكرين الذين عُرفوا بغزارة انتاجهم العلمي، ذلك الانتاج الذي غطى قطاعات واسعة من قطاعات الثقافة الإسلامية في الفقه وعلوم التفسير وأصول الفقه والعقيدة. شغل مراكز علمية في جامعة دمشق، كما أنه مارس التدريس في كليتي الشريعة والحقوق، ودرّس في جامعات عربية أخرى. له العديد من المؤلفات منها: التفسير المنير، والتفسير الوسيط، والتفسير الوجيز، وأصول الفقه، وغيرها. {ينظر: التفسير والمفسرون في العصر الحديث، عبد القادر محمد صالح، ١٥٠}.

(٣) ينظر: التفسير والمفسرون في العصر الحديث، ١٥٠ — ١٥١.

وهو ممن أشاروا إلى محورية القرآن، فكان يعتمد الآيات القرآنية في تفسير المعنى المراد، فمثلاً في تفسير قوله تعالى: أَّا خ م □ □ □ سم □ □ □ {البقرة: ٢٨}، فإنه يذكر مناقشة القرآن الكريم أولئك الكفار الذين أنكروا ربوبية الله تعالى مرة بعد مرة؛ لأن موقفهم وحالهم مدعاة للعجب والاستغراب، والله تعالى يريد أن يرشدهم إلى سواء الصراط، ويدلهم على طريق النجاة، وطريق الإقناع بسيط مادي محسوس، مأخوذ من الواقع القريب المشاهد، ومن التأمل في وضع الإنسان ومراحل تغيره وانتقاله من عالم إلى عالم آخر. ثم يذكر تفسير الإمامة والإحياء في الآية الكريمة فيقول: كنتم أمواتاً معدومين قبل أن تخلقوا، ثم خلقتم وأخرجتم إلى الدنيا، فأحياكم، ثم أماتكم الموت المعهود، ثم يحييكم للبعث يوم القيامة. فهناك إمامتان، وإحياءان، الإمامة الأولى قبل الوجود في الدنيا، والإمامة الثانية بعد الحياة، والحياة الأولى بعد الولادة، والحياة الثانية بعد البعث يوم القيامة، ويستشهد بقوله تعالى: أَّا تن تن تي □ □ □ □ □ □ □ {غافر: ١١} (١). فهو في تفسير الإمامة يعتمد على مقابلة الآيات بعضها ببعض الآخر.

المطلب الثالث: التفاسير المعاصرة التي تبنت محورية القرآن عند مدرسة الإمامية
سوف نذكر في هذا المطلب التفاسير التي حوت بداخلها على اشارات لمحورية القرآن عند مدرسة الإمامية، والتي بدأنا بها من سنة (١٣٥٢هـ) وتحديدًا من تفسير آلاء الرحمن للبلاغي.

١- آلاء الرحمن في تفسير القرآن للبلاغي (ت ١٣٥٢هـ)

هذا التفسير لمحمد جواد البلاغي (٢)، فهو في تفسيره هذا يشير إلى أن القرآن الكريم هو المحور في عملية التفسير، إذ يقول: ((اقتضت الحكمة الإلهية ولله

(١) ينظر: التفسير الوسيط، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر - دمشق، الأولى، ١٤٢٢ هـ، ٢٠ / ١.

(٢) محمد جواد بن حسن بن طالب بن عباس البلاغي النجفي الربيعي، باحث إمامي، من علماء النجف في (العراق) من (آل البلاغي) وهم أسرة نجفية كبيرة، وله مشاركة في حركة العراق

الحكمة البالغة أن يكون القرآن الكريم هو المعجز المعنون والذي عليه المدار في الحجة لرسالة خاتم النبيين وصفوة المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين^(١). فهو يجعل القرآن الكريم هو المحور وهو الذي عليه المدار في إثبات رسالة وسنة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

ويرى أن للتدبر في أسلوب القرآن الكريم وموارد استعماله دخلاً كبيراً في التفسير. وأما محض الركون الى آحاد اللغويين تعبدًا بكلامهم وتقليدًا لآرائهم فذاك مما لا مساغ له. وأن الأغلب مما يستندون إليه في أقوالهم هو الاعتماد على ما حصلونه بحسب إفهامهم، وتتبعهم لموارد الاستعمال مع الخلط للحقيقة بالمجاز، ويذكر أن من الشواهد على ذلك هو الاضطراب في معنى التوفي وما استعمل في لفظه المتكرر في القرآن الكريم. فالكثير من المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿ □ □ □ □ يم ي □ □ {آل عمران: ٥٥}، قالوا أي مميتك. وقال بعض: مميتك حتف أنفك. وقال بعض: مميتك في وقتك بعد النزول من السماء وكأنهم لم ينعموا الالتفات الى مادة التوفي واشتقاقه ومحاورات القرآن الكريم والقدر الجامع بينها. وإلى استقامة التفسير لهذه الآية الكريمة واعتقاد المسلمين بأن عيسى (عليه السلام) لم يمت ولم يقتل قبل الرفع إلى السماء كما صرح به القرآن. ولم يفطنوا الى أن معنى التوفي والقدر الجامع المستقيم في محاورات القرآن فيه وفي مشتقاته إنما هو الأخذ والاستيفاء وهو يتحقق بالإماتة وبالنوم وبالأخذ من الأرض وعالم البشر إلى عالم السماء. وإن محاورات القرآن الكريم بنفسها كافية في بيان ذلك كما في قوله

الاستقلالية، وثورة عام ١٩٢٠ م. له تصانيف منها: (الهدى إلى دين المصطفى) و (أنوار الهدى في إبطال بعض شبه الملحدين) و (نصائح الهدى) في الرد على البابية، و (التوحيد والتثليث) و (آلاء الرحمن في تفسير القرآن) طُبع الجزء الأول والثاني منه. وكان يجيد الفارسية، ويحسن الإنجليزية. { ينظر: الأعلام، الزركلي، ٦ / ٧٤ }.

(١) آلاء الرحمن في تفسير القرآن، محمد جواد البلاغي النجفي (ت ١٣٥٢هـ)، مطبعة العرفان، صيداء، ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م، ١ / ٥.

ويرى البلاغي أنه لا يستقيم الكلام إذا قيل الله يميت الأنفس حين موتها وكيف يصح أن التي لم تمت يميتها في منامها. وكما في قوله تعالى: أَلَمْ يَكُنْ لِي بِيَوْمِ الْمَوْتِ شَهِيدًا ۖ وَجَدْتُكُمْ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٦٠﴾ {الأنعام: ٦٠}،

فيرى البلاغي أن توفي الناس بالليل إنما يكون بأخذهم بالنوم ثم بيعتهم الله باليقظة في النهار ليقتضوا بذلك آجالهم المسماة ثم إلى الله مرجعهم بالموت والمعاد. وكما في قوله تعالى: أَأَنْتُمْ أَنْبَاءُ الْفَجْرِ ﴿١٥﴾ {النساء: ١٥}، فإنه لا يستقيم الكلام إذا قيل يميتهنّ الموت، وحاصل الكلام أنّ معنى التوفي في موارد استعماله في القرآن وغيره إنما هو أخذ الشيء وافياً أي تاماً كما يقال درهم وافٍ وهذا المعنى ذكره اللغويون للتوفي في معاجمهم وقالوا أنّ توفاه واستوفاه بمعنى واحد^(٢). وهذا يدل على أنّه يستعين بالآيات القرآنية بعضها ببعض والتي تكون في معنى واحد في تفسير المفردات القرآنية، أي أنه يشير إلى محورية القرآن في التفسير.

هذا التفسير للسيد محمد محمد صادق الصدر^(٣)، وهو من الذين أكدوا على محورية القرآن في تفاسيرهم، وقد ذكر ذلك في مقدمة تفسيره عند الحديث عن

(٣) هو المرجع الديني آية الله العظمى السيد مُحَمَّد بن مُحَمَّد صادق بن محمد مهدي بن إسماعيل الصدر، وُلِدَ في مدينة الكاظمية المقدسة في ٢٣ آذار لعام ١٩٤٣م من أسرة آل الصدر العربية العلمية الدينية العريقة. ترعرع في أجواء العلم وحفظ القرآن والدراسة الحوزوية في النجف الأشرف، وقد عُرِفَتْ عائلة آل الصدر بتحديثها للأنظمة الحاكمة ومقارعتها، وتجلّى هذا التحدي عند السيد محمد صادق الصدر بإقامته (قدس سره) صلاة الجمعة وتصديه بنفسه لإمامتها في مسجد الكوفة، وتعميم إقامتها بمختلف المحافظات، وهو تحدٍ لم يشهد له مثيل في تاريخ العراق منذ حقبة طويلة، واتخذ السيد الصدر من هذه الحركة الفريدة والنوعية منبراً لتوعية

روايات أسباب النزول، فقد قال: ((ومما ينبغي الإلماع عليه، أنني بطبعي لا أميل إلى الأخذ بروايات موارد النزول وأسبابه، فإنها جميعاً ضعيفة السند وغير مؤكدة الصحة، بالرغم من اهتمام بعض المؤلفين بها))^(١). فهو يرى أنّ هذه الروايات لا يمكن الاعتماد عليها لضعفها.

ثم يبيّن منهجه الذي يعتمد عليه فيقول: ((المهم في نظري، كما ينبغي أن يكون المهم في نظر الجميع، أنّ كل آية من آيات الكتاب الكريم تعد قاعدة عامة ومنهج حياة وأسلوب سلوك، قابل للانطباق على جميع المستويات وعلى جميع المجتمعات. بل على جميع الأجيال بل كل الخلق أجمعين. فإن القرآن هو خلاصة القوانين والمعارف المطبقة فعلاً في الكون ... وهذا واضح من جميع القرآن، وظهور القرآن حجة))^(٢). فهو يؤكد حجية القرآن الكريم، كونه الأساس والأصل في المعارف في شتى أساليب الحياة وعلى جميع المستويات، وعلى مر العصور.

ومما يؤكد اعتماده القرآن كمحور في التفسير هو اهتمامه بالسياق، فيقول: ((إنه باب مهم من أبواب فهم اللغة عموماً، والقرآن الكريم خصوصاً، وقد استخدمناه في كثير من أبحاثنا هذه))^(٣). فاعتماده السياق في كثير من أبحاثه هو دليل على اهتمامه بمحورية القرآن الكريم.

أبناء الأمة وكذلك لإشهار سخطه من السياسة المحلية والدولية. { شبكة الأنترنت موقع (الشهيد السيد محمد صادق الصدر مسيرة جهاد هزت عروش الأنظمة الاستبدادية) على الرابط www.ina.iq.

(١) منة المنان في الدفاع عن القرآن، الشهيد السيد محمد صادق الصدر (ت ١٤١٩هـ)،

دار الأضواء، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ٢١

(٢) المصدر نفسه، ٢١

(٣) منة المنان في الدفاع عن القرآن، ٢٨

عن اللغوية، يتعين ألا تكون (ما) موصولة، ومعه لا معنى لاستعمال (من) بدلاً عنها^(١)، ومن هذا الحوار يتبين مذهب السيد الصدر في فهم القرآن. فالقرآن نزل لهداية الناس، ولا يمكن لهذه الهداية أن تتحقق إذا لم يكن القرآن مفهوماً، وإذا كان هناك خلاف بين المفسرين فهو ليس في كون القرآن مفهوماً أو غير مفهوم، بل في معنى هذه الآية أو تلك، والاختلاف في المعنى يفترض مسبقاً أن ثمة نص له معنى. كل ما هنالك أنه حمال أوجه، وهذا لا يعني ضياع المعنى، بقدر ما يعني اتساعه وانفتاحه على الزمان، وقدرته على أن يحاكي مختلف الأذواق والإفهام، وفي ذلك توسعة على البشر في عقولهم ومعاشهم. فهو يؤكد على وجوب فهم القرآن؛ لأن القرآن متسع ومنفتح لجميع الأذوا وعلى مر العصور، وبهذا يكون الدور المحوري للقرآن في فهم القرآن نفسه.

٣ — تفسير من هدى القرآن للمدرسي

هذا التفسير للسيد محمد تقي المدرسي^(٢)، وهو من التفاسير التربوية التحليلية، لم توجد فيه المَعَمَّعات الجدلية، ولا الخرافات الإسرائيلية، معتمداً شرح الآيات وذكر مقاصدها العالية وأهدافها السامية، ومعالجة أدواء المجتمع معالجة ناجعة موقفة^(١).

(١) ينظر: منة المنان، ١٠٨

(٢) هو السيد محمد تقي المدرسي، من العلماء والباحثين والكتّاب المعاصرين من الشيعة الاثني عشرية. ولد في مدينة كربلاء المقدسة في العراق سنة ١٣٦٦ هـ في بيت العلم والفقاهة. وتابع دراساته الدينية على أيدي علمائها الكبار منهم خاله آية الله السيد محمد الشيرازي، وآية الله الشيخ يوسف الخراساني، ولم يقتصر على دراسة العلوم الدينية، بل اهتم بالعلوم الأخرى أيضاً. وكان المفسر من دعاة الإصلاح الاجتماعي، وله عقائد في العلوم الانسانية والفلسفة والعرفان، ونقد الثقافة الغربية، وله أبحاث ودراسات ومقالات كثيرة نشرت في المجالات العربية في العراق وايران ولبنان. وعمل على تطوير الحوزات العلمية عن طريق تنظيمها وتحديث برامجها وفق الحاجات الراهنة. من مؤلفاته: تفسير من هدى القرآن، والمنطق الإسلامي أصوله ومناهجه، والفكر الإسلامي مواجهة حضارية، والإمام الحسن قذوة وأسوة، وغيرها، { ينظر: المفسرون

وقد أشار إلى محورية القرآن في تفسيره هذا، فقد قال: ((واعتمدت فيه على منهج التدبر المباشر، انطلاقاً مما بيّنته في التمهيد، أي منهج الاستلزام مباشرة من الآيات، والعودة إلى القرآن ذاته، كلما قصرنا عن فهم بعض آياته وفق المنهج الذي علّمنا إيّاه الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأئمّة أهل البيت عليهم السلام، حيث أمرونا بتفسير القرآن ببعضه))^(٢). فهذا يدل على اتباعه محورية القرآن في تفسير الآيات الكريمة.

وهو لا يعتمد على نقل آراء الآخرين، إنما يتدبر بشكل مستقل في الآيات الكريمة، معتمداً على فهم السياق القرآني، وعلى الرغم من اعتماده على تفسير القرآن بالقرآن، واعتماده على فهم السياق، إلا أنه يرجع إلى الأحاديث المروية عن الرسول وآل بيته (عليهم السلام)، عند مواجهة أية مشكلة^(٣). فالمحورية عنده للقرآن الكريم في تفسير الآيات.

ومن الأمثلة على ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَنْ يَكُونَ مِنَ الْفَاسِقِينَ﴾^(١) في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَأْكُلْ آيَاتِنَا أَنْتُمْ وَالْغَافِلُونَ﴾^(٢)، فيرى أنّ الآية التالية شرحت من هم الفاسقون، فهم الذين ينقضون العهد، فهم لا يحترمون عهد الله أأ^(٣) ولا يؤدّون حقوق الناس من القربى واليتامى والمساكين، ولا يحترمون حرّات الناس،

حياتهم ومنهجهم، محمد علي إيازي، الناشر: مركز القائمية، إشراف: آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي، أصفهان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، ٧٦٩.

(١) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، الأستاذ المحقق محمد هادي معرفة، الناشر: الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، مشهد، الطبعة الثانية مزيّدة ومنقّحة، ١٣٨٤ش. ٢ / ١٠٢٨.

(٢) من هدى القرآن، آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي، إخراج وتنسيق: زكي حسن احمد، دار الكتاب العربي — دار القارئ، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ — ٢٠٠٨م، ١ / ٢٥.

(٣) ينظر: من هدى القرآن، ١ / ١٣.

ويسعون وراء مصالحهم ^١بج بـ به تج تح ٢. ولا يحترمون الحياة أبدًا، فهم يأنسون بضرر غيرهم ^٢أتح تم تهـ ٣ {البقرة: ٢٧} (١).
وخلاصة القول أنه على الرغم من إشارة هذه التفسير إلى محورية القرآن، والعمل بها، إلا أنها لم تغفل السنة، فنرى أن هذه التفسير تستشهد بالروايات في تفسير الآيات الكريمة، وإن كان ايراد هذه التفسير للروايات قليل، إلا أنها احتاجت لها وأوردتها (٢)، وهذا يدل على أهمية السنة في التفسير.

المبحث الثاني: القائلون بمحورية السنة الشريفة

توطئة

-
- (١) ينظر: من هدى القرآن، ١ / ١٦٦ - ١٦٩.
(٢) ينظر على سبيل المثال: تفسير ابن باديس، ٥٢ وتفسير السعدي، ٤٢ والتفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ١٦ / ١٥٩٣ وأضواء البيان، الشنقيطي، ١ / ١٥ وأوضح التفسير، محمد بن عبد اللطيف الخطيب، ١ / ٦٢ والتيسير في أحاديث التفسير، الناصري، ١ / ٦٦ وتفسير الشعراوي، ١ / ٥٣.

المطلب الأول: حجية السنة ومجالات خدمتها للقرآن الكريم

**المطلب الثاني: التفاسير المعاصرة القائلة بمحورية السنة
عند مدرسة الصحابة**

**المطلب الثالث: التفاسير المعاصرة القائلة بمحورية السنة
عند مدرسة الامامية**

توطئة

يذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى أنّ تفسير القرآن يكون بالسنة الشريفة. وأدلتهم أنّ القرآن يبيّن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى المسلمين الأخذ بقول النبي أو آل بيته (عليهم السلام)، فالسنة النبوية هي شرح وتفصيل للقرآن الكريم. ولا يرى هؤلاء صواب تفسير القرآن بغير رجوع إلى الأخبار ويرون أنه لا يجوز لأحد تفسير شيء من القرآن وإن كان عالماً أديباً متسعاً في معرفة الأدلة، والفقه،

ويتمسك هؤلاء بعدد من الأدلة منها: دلالة القرآن على أن السنة وحيٌّ من الله لقوله تعالى: أأَ □□□□□□□□□□ نِ □□□□□□□□□□ {النجم: ٣-٤}. وهذا لا يعني أنهم يرفضون محورية القرآن، واعتماد الآيات القرآنية في تفسير بعضها البعض، ولكن الطابع الغالب في تفاسيرهم هو الاعتماد على السنّة في التفسير.

وستتناول في هذا المبحث أهم المدونات التفسيرية المعاصرة التي ركّزت على محورية السنة في تفسير الآيات القرآنية الكريمة، بعد بيان حجبة السنة ومجالات خدمتها للقرآن الكريم. وهذه المدونات التفسيرية مقسمة على مطلبين: الأول مخصص للتفاسير من مدرسة الصحابة، والثاني لتفاسير مدرسة الامامية، مع مراعاة سبق الزمنى فيها.

حجية السنة تعني أنها دليل على حكم الله، يفيدنا العلم أو الظن به، ويظهره ويكشفه لنا، فإذا علمنا أو ظننا الحكم بواسطته، وجب علينا الإمتثال والعمل به، فحجية السنة وجوب العمل بمقتضاها^(٢).

(٢) ينظر: حجية السنة، الدكتور عبد الغني عبد الخالق، ، ٢٤٣.

وقد أمرنا القرآن الكريم في كثير من آياته باتباع سنة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم)، منها قوله تعالى: أَأَبَىٰ بِي بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي مَعَهُمْ عَلَيْهِمْ سَوَاقِمْ أَتَدْعُهُمْ إِيَّاهُ يَعْبُدُوا وَإِنَّ اللَّهَ يُدْعَىٰ بِالْحَقِّ يَوْمَ الْقِيَامِ ۚ فَمَنْ تَدْعُو ۚ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ قُلْ إِنِّي خَشِيتُ الْمَظْهَبَ الَّذِي كُنْتُمْ تُدْعَوْنَ إِلَيْهِ فَإِن كُنْتُمْ تَهْتَكُونَ فَمَا عَسَىٰ لَكُم مِّنْ مُّجْرَمٍ ۚ ﴿١٣٢﴾ {آل عمران: ٣٢}، وقوله تعالى: أَأَمَرْتُ بِهِمْ أَن يَدْعُوا إِلَّاهَ سِوَايَ اللَّهِ الَّذِي كُنْتُمْ تُدْعَوْنَ إِلَيْهِ فَإِن كُنْتُمْ تَهْتَكُونَ فَمَا عَسَىٰ لَكُم مِّنْ مُّجْرَمٍ ۚ ﴿٧١﴾ {الأحزاب: ٧١}، ففي هذه الآيات الكريمة أمرنا باتباع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن خلال ذلك يلزمنا طاعته عملاً بالآيات المذكورة أعلاه، وذلك هو الأخذ بالسنة.

وورد في كتاب الله تعالى أمره لنا باتباع نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتعليق فلاحنا على ذلك، وجعله مقتضى محبتنا الله، ومقتضى لمحبة الله لنا. فقد قال تعالى: أَأَمَرْتُ بِهِمْ أَن يَدْعُوا إِلَّاهَ سِوَايَ اللَّهِ الَّذِي كُنْتُمْ تُدْعَوْنَ إِلَيْهِ فَإِن كُنْتُمْ تَهْتَكُونَ فَمَا عَسَىٰ لَكُم مِّنْ مُّجْرَمٍ ۚ ﴿٧١﴾ {الأحزاب: ٧١}، وقال: أَأَمَرْتُ بِهِمْ أَن يَدْعُوا إِلَّاهَ سِوَايَ اللَّهِ الَّذِي كُنْتُمْ تُدْعَوْنَ إِلَيْهِ فَإِن كُنْتُمْ تَهْتَكُونَ فَمَا عَسَىٰ لَكُم مِّنْ مُّجْرَمٍ ۚ ﴿٧١﴾ {الأحزاب: ٧١}، وإذا ثبتت مشروعية اتباعه (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإن الاتباع هو سلوك السبيل الذي سلكه المتبوع. وسبيل النبي محمد (عليه الصلاة والسلام) هي سنته، وهو المطلوب.

بل قد ورد في القرآن الكريم بيان أن تعليم السنة، بالإضافة إلى تعليم الكتاب، هو مهمة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). قال الله تعالى: أَأَمَرْتُ بِهِمْ أَن يَدْعُوا إِلَّاهَ سِوَايَ اللَّهِ الَّذِي كُنْتُمْ تُدْعَوْنَ إِلَيْهِ فَإِن كُنْتُمْ تَهْتَكُونَ فَمَا عَسَىٰ لَكُم مِّنْ مُّجْرَمٍ ۚ ﴿٧١﴾ {الأحزاب: ٧١}، {والحكمة} السنة^(١). ومما يؤكد هذا المعنى أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتعلمون السنة كما يتعلمون القرآن، فقد جاء في الصحيح من سيرة النبي الأعظم

(١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، ٣ / ٣٩. والجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، ١٨ /

(صلى الله عليه وآله وسلم) أَنَّ أَنَسًا جَاءُوا إِلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقالوا: ابْعَثْ معنا رجالاً يعلموننا القرآن والسنة^(١).

وقد شهد المسلمون أَنَّ مُحَمَّدًا (صلى الله عليه وآله وسلم) هو رسول الله حقًا، بدلالة المعجزات التي أجراها الله على يديه، وهذا يقتضي الإيمان بعصمته من الكذب فيما يبلغنا إياه عن ربه عز وجل، وما جاء به من أمر الدين.

وقد صح عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض. وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما))^(٢). وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): ((تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ))^(٣). فأخبر أَنَّ في التمسك بالسنة، كالكتاب، أمانًا من الضلال. وهذا يقتضي أنها حق ودليل صحيح على الأحكام.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((ألا أني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا أني قد أوتيت القرآن ومثله ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السباع ولا لقطة من مال معاهد إلا أن يستغنى عنها صاحبها))^(٤). ومعنى قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((ألا وأنني أوتيت القرآن ومثله معه) أي أوتيت القرآن وأوتيت مثله من السنة التي لم ينطق بها

(١) ينظر: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)، السيد جعفر مرتضى العاملي، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ - ١٣٨٥ ش، ٨ / ٢٦٧.

(٢) سنن الترمذي، ٦ / ١٣٣ باب مناقب أهل بيت النبي حديث رقم (٣٧٨٨). وينظر: كتاب سليم بن قيس، سليم بن قيس الهلالي الكوفي، تحقيق: محمد باقر الأنصاري الزنجاني، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ - ١٣٨٠ ش، ١٧٧.

(٣) الموطأ، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت ١٧٩هـ)، المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي - الإمارات، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ٥ / ١٣٢٣.

(٤) الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي، ٢٣.

القرآن. وكمثال على ذلك نذكر أن الله تعالى آتى نبيه تحريم الخبائث، فُصِّل بعضها في القرآن، كالميتة والدم ولحم الخنزير وبعضها بالسنة، كما ذكر في هذا الحديث، كلحوم الحمر الأهلية ولحوم السباع.

ثانيًا: مجالات خدمة السنة للقرآن الكريم

من الأمور التي وضّحت مدارية السنة النبوية للقرآن الكريم، هي مجالات خدمة السنة النبوية للقرآن، ومن هذه المجالات التي تخدم فيها السنة القرآن الكريم نذكر الآتي:

١- المِجْمَل والمبِين: فقد جاءت كثير من أحكام القرآن العملية مجملة، فبيّنت السنة إجمالها، ومن ذلك أنّ الله أمر بأداء الصلاة من غير بيان لأوقاتها وأركانها وركعاتها وغير ذلك، فبيّنت السنة كل ذلك بفعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتعليمه لأصحابه كيفيتها، وأمره لهم بأدائها كما أداها، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): ((صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي))^(١)، وفرض الله الزكاة من غير بيان لمقاديرها وأوقاتها وأنصبتها، وما يزكّي وما لا يزكّي، فجاءت السنة ببيان كل ذلك وتفصيله، وأحكام الطهارة والذبائح والصيد، وأحكام البيوع والجنایات والحدود، وغير ذلك مما وقع مجملاً في القرآن وفصله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

٢- العام والخاص: فقد وردت في القرآن أحكام عامة جاءت السنة بتخصيصها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أُفٍّ أٌفٍّ أٌفٍّ أٌفٍّ أٌفٍّ أٌفٍّ أٌفٍّ أٌفٍّ أٌفٍّ أٌفٍّ﴾ {النساء: ١١}، فقد

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ١ / ١٢٨ باب الأذان للمسافر حديث رقم (٦٣١). وبحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، تحقيق: محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان السيد إبراهيم الميانجي، محمد الباقر البهبودي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية المصححة، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ٨٢ / ٢٧٩.

سوف نذكر في هذا المطلب التفاسير القائلة بمحورية السنة عند مدرسة الصحابة، والتي بدأنا بها من سنة (١٣٩٤هـ)، وتحديدًا من تفسير زهرة التفاسير لأبي زهرة.

١- زهرة التفاسير لأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ)

هذا التفسير لصاحبه محمد أبي زهرة^(١)، فهو في تفسيره هذا يعطي الدور الأساس والمحوري للسنة النبوية، فيقول: ((فنحن نعد المفسر الأول للقرآن هو الرسول - صلى الله عليه وسلم -، فهو المفسر لأحكامه المبيّن لحقائقه، كما قال تعالى: ﴿أَوَّلُ مَا بَيَّنَّا لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ يَفْصِلُ مَجْمَلَهُ، وَيَبَيِّنُ مَا يَعْلُو عَلَى مَدَارِكِ النَّاسِ، وَإِنْ كَانَ فِي ذَاتِهِ مَبِيتًا، وَلَا يَصِحُّ أَنْ نَفْتَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ فَنَرُدَّ قَوْلًا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَا دَامَ الْقُرْآنُ يَتَسَعُّ لِمَدْلُولِهِ، وَلَا نَقْدَمُ عَلَيْهِ أَحْتِمَالًا آخَرَ مَهْمَا تَكُنْ مَكَانَةً قَائِلُهُ مِنَ الْفَقْهِ وَالْبَيَانِ، فَإِنَّهُ مَهْمَا يَكُنْ لَا

(١) محمد أحمد مصطفى أحمد المعروف بأبي زهرة، عالم ومفكر وباحث وكاتب مصري، ولد في مارس سنة ١٨٩٨م في مدينة المحلة الكبرى إحدى مدن محافظة الغربية. حفظ القرآن الكريم في صدر حياته في الكتّاب، إذ هو من أسرة دينية تنتسب إلى ولي من أولياء الله هو الشيخ مصطفى أبو زهرة الشهير بالششتاوي. بعد حفظ القرآن الكريم تعلم مبادئ العلوم المدنية كالرياضيات، التي كان شديد الولع بها، والجغرافية والفلسفة مع العلوم العربية. التحق في سنة ١٩١٦م بمدرسة القضاء الشرعي بعد امتحان مسابقة كان فيه من الأوائل. أخذ دبلوم دار العلوم من الخارج سنة ١٩٢٧م وفي هذه السنة عُيّن مدرسًا للشريعة واللغة العربية بتجهيزية دار العلوم والقضاء الشرعي لمدة ثلاث سنين، وقد تولى التدريس في كلية المعاملات والإدارة بجامعة الأزهر سنة ١٩٦٣م وكذلك معهد الخدمة الاجتماعية وغيره من المعاهد. ومن أشهر مؤلفاته: الخطابة وتاريخ الجدل، وتاريخ الديانات القديمة، ومحاضرات في النصرانية، والجريمة في الفقه الإسلامي، والمعجزة الكبرى (القرآن)، وتفسير القرآن الكريم (زهرة التفاسير). ينظر: زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، ١ / ٣ - ١٠.

(٢) النحل / ٤٤.

يناهد مقامه مقام مبلّغ الرسالة في الأحكام، ولا مقامه في البيان، وإدراك معاني القرآن، ولذا نعد السنة النبوية هي المفسر الأول^(١).

وفي موضع آخر وتحت عنوان (تفسير القرآن بالرواية) يرى أنه لا شك أن تفسير القرآن بالرواية عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر مقرر ثابت؛ لأن القرآن الكريم بيانه أولاً للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولكن يجب تحري السنة الصحيحة، وعدم اتباع إلا الصحيح منها^(٢). وهو بهذا يؤكد الدور المحوري للسنة النبوية، لكن مع وجوب التحري عن صحتها.

٢ – موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور لحكمت بن ياسين

ومن القائلين بمحورية السنة هو حكمت بن ياسين^(٣)، فهو يعطي السنة الصحيحة الدور المحوري في التفسير، فيقول: ((فإن قيل كيف السبيل إلى معرفة ما ذكرت من معاني كتاب الله عز وجل ومعالم دينه؟ قيل: بالآثار الصحيحة عن

(١) زهرة التفاسير، أبي زهرة، ١ / ٢٤ – ٢٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ١ / ٢٨.

(٣) حكمت بن بشير بن ياسين الموصلي، أستاذ التفسير في كلية القرآن الكريم والدراسات العليا – الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، من مؤلفاته: موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، ولد سنة ١٩٥٥م في مدينة الموصل بالعراق، المؤهل العلمي: دكتوراه في الشريعة الإسلامية – فرع الكتاب والسنة، عمل أستاذًا مساعدًا في كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية وأمينا لقسم التفسير مدة سنتين ودرس التفسير في عدة كليات، ثم رقي إلى درجة أستاذ مشارك سنة ١٤١٠هـ، ثم عمل أستاذًا مشاركًا في الدراسات العليا ومشرفًا على رسائل الماجستير والدكتوراه بالجامعة نفسها، ثم رقي إلى درجة أستاذ من الجامعة نفسها عام ١٤١٥هـ. {شبكة الأنترنت: الموقع، حكمت بشير، الرابط / <https://www.ektab.com> }.

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن أصحابه النجباء الألباء الذين شهدوا التنزيل وعرفوا التأويل رضي الله عنهم))^(١).

ثم قال في موضع آخر ((من أجل هذا المنطلق جاءت فكرة تصنيف هذا الكتاب حيث قررت أن أجمع كل ما صح إسناده من التفسير بالمأثور؛ لأن الرواية التفسيرية الصحيحة تتقبلها النفوس -إن كانت صادقة- بكل اطمئنان وتأخذها بقوة وجدية، وخصوصاً إذا كانت الرواية من الصحيحين أو على شرطهما أو على شرط أحدهما، أو صح تلك الرواية بعض النقاد المعتمدين))^(٢). فهو يرى أن الطريق الصحيح لمعرفة تفسير الآيات الكريمة هي الأخبار الصحيحة عن النبي وأصحابه، وقد صنّف تفسيره هذا بناءً على تلك الأخبار، شريطة أن تكون هذه الروايات صحيحة وعلى شرط الصحيحين أو أحدهما. وبهذا فإنه يعطي السنة الدور المحوري في تفسيره المذكور.

ونرى أنّ أكثر الآيات الكريمة يفسرها عن طريق الروايات، ومن الأمثلة على ذلك تفسيره لقوله تعالى: أَّا لِرَّحْمٰنٍ عِزِّ مَجْدٍ {آل عمران: ٣٧}، ففسر الرزق بالعنب وجده زكريا عند مريم، مستنداً إلى رواية عن مجاهد^(٣). وفي قوله تعالى: أتن تي تي □ □ □ □ □ {إبراهيم: ٣٧}، فعن قتادة أن الوادي: مكة لم يكن بها زرع يومئذ^(٤). وهذه الطريقة يتبعها في أكثر تفسيره.

المطلب الثالث: التفاسير المعاصرة القائلة بمحورية السنة عند مدرسة الامامية
سوف نذكر في هذا المطلب التفاسير القائلة بمحورية السنة عند مدرسة الامامية، والتي بدأنا بها من سنة (١٣٥٣هـ) وتحديداً من تفسير مقتنيات الدرر للحائري.

١- تفسير مقتنيات الدرر للحائري (ت ١٣٥٣هـ)

(١) موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، حكمت بن بشير بن ياسين، الناشر: دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ١ / ٤ .

(٢) المصدر نفسه، ١ / ٦ .

(٣) ينظر: موسوعة الصحيح المسبور، ١ / ٤١٣ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ٣ / ١٤١ .

صاحب التفسير هو السيد علي الحائري الطهراني^(١)، وهو من القائلين بمحورية السنة في التفسير، إذ يرى السيد الحائري أنّ التفسير يجب أن يؤخذ من أهل بيت الوحي، فيقول: ((فقد بذل علماء الإسلام قديماً وحديثاً جهودهم في تفسير علوم القرآن، وتبيين لغاته ومشكلاته، ففريق فسّروا ألفاظه وبيّنوا حقائقه من مجازيه، وجمع جمعوا أحكامه وبيّنوا حلاله وحرامه، وطائفة كشفوا عن تأويله قناعه، وكيفما كان ما وصلوا إلّا إلى مبلغ علمهم ومنتهى همهم، وأتى لهم الوصول إلى حقائق التنزيل ودقائق التأويل؟ لأن القرآن هو النور الذي أنزله الله على قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وآله. إلّا ان المتمسكين بولاء أهل بيت الوحي، المستضيئين بنور علمهم، المأمورين بالتمسك بهم في حديث الثقلين، قد اغترفوا من بحار علوم أهل بيت النبي غرّاً وغاصوا فيها واقتنوا منها درراً^(٢))).

وهذا ما نلمسه بوضوح في تفسيره للسور القرآنية، فنرى في تفسيره لفاتحة الكتاب، فإنه يروي عن رسول الله وعن أمير المؤمنين والإمام الباقر وعن الأمام الصادق والإمام الرضا (عليهم السلام).

فمثلاً في تفسيره لكلمة (رب) في قوله تعالى: أأ □ □ {الفاتحة: ٢}، فهو يرى أن الرب السيد المالك، لقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((اللهم لا تجعل لفاجر عليّ يداً ولا منة^(٣)))، فهو بيان برهان على استحاقه تعالى الحمد بقوله مربي العالمين بإيجادهم وتربية أسباب وجوده^(٤).

(١) هو الحاج مير سيد علي بن الحسين بن يونس اللاريجاني الحائري من علماء الامامية، كان عالماً جليلاً، و مفسراً بارعاً. ولد في كربلاء في حدود سنة (١٢٧٠هـ)، و قرأ على علماء كربلاء والنجف الاشرف مدة طويلة، وقرن العلم بالعمل، وفاز منهما بالحظ الأوفى، وهبط سامراء، فحضر بها على المجدد الشيرازي مدة، وهبط طهران بإذن منه في سنة ١٣١٢هـ، وقبل وفاته بفترة وجيزة، ولم يتصد للزعامة، مع أنه كان اهلاً لها لشدة تقواه وورعه وزهده. { ينظر: المفسرون حياتهم ومنهجهم، محمد علي إيازي، ٦٥٩}.

(٢) تفسير مقتنيات الدرر، مير سيد علي الحائري الطهراني (ت ١٣٥٣هـ)، الناشر: الشيخ محمد الآخوندي مدير دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٣٧ ش، ١ / ٢ .

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ٨٣ / ١٨٧.

(٤) ينظر: تفسير مقتنيات الدرر، الطهراني، ١ / ١٣.

٢ - التفسير الكاشف لمحمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ)

أما محمد جواد مغنية^(١)، فهو أيضاً من القائلين بمحورية السنة، وذلك من موقفه إزاء نصوص النبي وأهل بيته فقد أيد أخذها مرجعاً تفسيريّاً، وظهرت في تفسيره (الكاشف) موارد عديدة تمسّك أو استشهد فيها بروايات عنهم لصالح تفسير معين للآية، كما ذكر في مقدمة تفسيره فقال: ((اعتمدت - قبل كل شيء - في تفسير الآية وبيان المراد منها - على حديث ثبت في سنة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ لأنها ترجمان القرآن، والسبيل إلى معرفة معانيه: أأ □ □ ير □ □ ين □ □ □ □))^(٢) ^(٣). فهو يعتمد أولاً على سنة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإن لم يجد فيعتمد ظاهر الآية، وبهذا فإنه يجعل الدور المحوري في التفسير للسنة الشريفة.

فمثلاً في تفسير قوله تعالى: أ □ □ □ □ □ □ □ □ {البقرة: ١٠٥}، فإنه فسر الرحمة في هذه الآية بقول أمير المؤمنين (عليه السلام)، بأنها النبوة^(٤).

(١) محمد جواد مغنية العاملي، مفسر من علماء الشيعة الإمامية، ولد في طبردبا (قضاء صور) ببلبنان، وتعلم بالنجف. وعاد فسكن بيروت، وشارك في النهضة الاسلامية الثقافية، مات ببيروت ودفن بالنجف، من أشهر آثاره (التفسير الكاشف)، و (التفسير المبين). { ينظر: معجم المفسرين من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ٢ / ٥١٠ }.

(٢) الحشر / ٧

(٣) التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، ١ / ١٥.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ١ / ١٦٧.

المبحث الثالث: القائلون بمحورية القرآن والسنة معًا

توطئة

المطلب الأول: التفاسير المعاصرة القائلة بمحورية القرآن
والسنة معًا عند مدرسة الصحابة

المطلب الثاني: التفاسير المعاصرة القائلة بمحورية القرآن
والسنة معًا عند مدرسة الإمامية

توطئة

محورية القرآن والسنة معًا، يراد بها اعتماد القرآن والروايات الواردة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام)، كمصدرين أساسيين في العملية التفسيرية، وعلى هذا فلا ينحصر دور النصوص الروائية في كونها مؤكدة ومعمقة فحسب، وإنما هي مصدر تفسيري أساسي.

ونرى في بعض المدونات التفسيرية المعاصرة من يستخدم محورية القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة معًا في عملية تفسير كتاب الله تعالى، إذ يُعطي الدور الرئيسي لكليهما في التفسير، فيستشهد بالآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة. ومحورية الكتاب والسنة معًا تعني أن كل من الكتاب والسنة أصل بذاته وكلاهما منبع للاستدلال وكلُّ له دوره في استنباط الأحكام الإسلامية.

ويرى أصحاب هذا الرأي أن الاعتماد على القرآن وحده دون الاعتماد على الروايات، لا يزيل الخلاف كونه حمال ذو وجوه، فيبقى الخلاف قائم، ما لم يكن الاعتماد عليهما معًا.

وسنتناول في هذا المبحث المدونات التفسيرية المعتمدة على محورية القرآن والسنة معًا، مقسمةً على مطلبين: الأول يختص بتفاسير مدرسة الصحابة، والثاني

مخصص لتفسير مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، أما اختيار هذه التفسير فكان على ضوء أهميتها وشهرتها، مراعين سبقها الزمني.

المطلب الأول: التفسير المعاصرة القائلة بمحورية القرآن والسنة معًا عند مدرسة الصحابة

سوف نذكر في هذا المطلب التفسير القائلة بمحورية القرآن والسنة معًا عند مدرسة الصحابة، والتي بدأنا بها من سنة (١٣٣٢هـ) وتحديدًا من تفسير محاسن التأويل للقاسمي.

١- محاسن التأويل للقاسمي (ت ١٣٣٢هـ)

هذا التفسير لمؤلفه جمال الدين القاسمي^(١)، وهو من أصحاب المدونات التفسيرية الذين اعتمدوا محورية القرآن والسنة معًا في تفسيره محاسن التأويل، فهو

(١) جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي، الحلاق، إمام الشام في علوم الدين وفنون الأدب، مولده ووفاته في دمشق، كان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد، اشتغل بإلقاء الدروس العامة في المدن والقرى السورية لمدة أربع سنوات، رحل إلى مصر، وزار المدينة. ولما عاد اتهمه حسدته بتأسيس مذهب جديد في الدين، سموه (المذهب الجمالي) فقبضت عليه الحكومة (سنة ١٣١٣هـ) وسألته، فرد التهمة فأخلي سبيله، واعتذر إليه والي دمشق، فانقطع في منزله للتصنيف وإلقاء الدروس الخاصة والعامة، في التفسير وعلوم الشريعة الإسلامية والأدب. من آثاره القيمة: محاسن التأويل، الفتوى في الإسلام، موعظة المؤمنين، وإصلاح المساجد من البدع والعوائد،

وَقَوْلُهُ عِنْدَ تَفْسِيرِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: أَجْزَأُ بِكَ مِنْ بَعْضِ مَا يَخْتَلِفُ فِيهِ قَوْلُكَ وَتَهْتَمُّ بِهِ
 جـ □ ح □ خ □ □ □ {البقرة: ١٦٧} أَي تَذْهَبُ وَتَتَضَمَّلُ كَمَا قَالَ
 تَعَالَى: أَوَّاهٌ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ {الفرقان: ٢٣} (٢).

۲۔ تفسیر المنار لمحمد رشید رضا (ت ۱۳۵۴ھ)

(٣) ينظر: المصدر السابق، ٤ / ٤١٣.

مؤلف هذا التفسير هو محمد رشيد رضا^(١)، وهو من أصحاب المدونات التفسيرية المعاصرة الذين يقولون بمحورية القرآن والسنة معاً، أي يجعلون الدور المحوري لكليهما في فهم النص القرآني، فمن اعتماده محورية القرآن، يقول في تفسيره: ((أن يفسر القرآن بحسب المعاني التي كانت مستعملة في عصر نزوله. والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه بأن يجمع ما تكرر في مواضع منه وينظر فيه، فربما استعمل بمعان مختلفة، ... ويحقق كيف يتفق معناه مع جملة معنى الآية فيعرف المعنى المطلوب من بين معانيه، وقد قالوا: إنَّ القرآن يفسر بعضه ببعض، وإنَّ أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقته لما سبق من القول، واتفاقه مع جملة المعنى، وانتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته))^(٢). كما أنَّ محمد رشيد رضا كان يلجأ في تفسيره للآيات الكريمة إلى القرآن الكريم نفسه أولاً، مؤكداً أنَّ ((الآيات يفسر بعضها بعضاً إذا نحن أخذنا القرآن بجملته كما أمرنا))^(٣).

(١) هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب، ولد ونشأ في القلمون في بلاد الشام، أحد دعاة الإصلاح، عالم بالحديث الشريف والأدب والتاريخ والتفسير، رحل إلى مصر في عام ١٣١٥هـ، فلازم الشيخ محمد عبده وتلمذ له، بثَّ آراءه في مجلته المنار، حاول فيها التوفيق بين الإسلام والحياة العصرية، كان يشارك في النشاطات الوطنية في بدء الإحتلال الفرنسي، إذ ترأس المؤتمر السوري الذي دعا إلى حرية الوطن السوري ووحدته واستقلاله. وخلال وجوده في سورية اعترض عليه أحد المقاومين للإصلاح فعاد إلى القاهرة ومات فيها، وفيها دفن. ومن أشهر آثاره مجلة المنار أصدر منها (٣٤) مجلداً، وتفسير القرآن الكريم اثنا عشر مجلداً، ولم يكمله، وتاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، ونداء للجنس اللطيف، والوحي المحمدي، ويسر الإسلام وأصول التشريع العام، والخلافة. { ينظر: الأعلام، الزركلي، ٦ / ١٢٦. والتفسير والمفسرون في العصر الحديث، عبد القادر محمد صالح، ٢١٧ }.

(٢) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا، ١ / ٢٠.

(٣) المصدر نفسه، ٢ / ٢٠٧.

أما اعتماده محورية السنة، فقد ذكر ذلك بقوله: ((هذا وإنني لما استقلت بالعمل بعد وفاته^(١) خالفت منهجه - رحمه الله تعالى - بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة، سواء كان تفسيراً لها أو في حكمها))^(٢).

٣- تفسير (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) لابن باديس (ت ١٣٥٩هـ)

هذا التفسير لمؤلفه عبد الحميد بن باديس^(٣)، فهو من التفاسير القائلة بمحورية القرآن والسنة معًا، فقوله بمحورية القرآن هو اعتماده في تفسيره على بيان القرآن بالقرآن حتى ينجلي المعنى، ويزول الشك والغموض، وقد صرح بذلك عند تفسيره لقوله تعالى: أأخم خم □ □ □ سم {الفرقان: ٧٦}، وفي هذه الآية الكريمة يتبادر السؤال إلى الأذهان، وهو من سيتلقى عباد الرحمن بالتحية والسلام، يجيب ابن باديس على هذا السؤال قائلًا: ((وقد بين من يتفاهم بذلك في قوله تعالى: أأسم □ □ □ □ □ □ □))، فالملائكة هم الذين يتلقونهم في السلام، والدعاء لهم

(١) فهو يقصد وفاة شيخه محمد عبده.

(٢) تفسير المنار، ١ / ١٦.

(٣) عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي ابن باديس، مؤسس الحركة الإصلاحية السنية في الجزائر، من كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، والزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، ورئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ بدء قيامها سنة ١٩٣١م إلى وفاته. ولد بمدينة قسنطينة لأسرة مشهورة بالعلم والثراء والجاه، وتعلم بمسقط رأسه ثم بتونس حيث أتم دراسته في جامع الزيتونة وتخرج بشهادة التطويع (سنة ١٩١١ - ١٩١٢ م). وعاد إلى بلده. من آثاره (مجالس التذكير) في التفسير، اشتغل به تدريجاً زهاء ١٤ عاماً، و(العقائد الإسلامية)، و(جواب سؤال عن سوء مقال) في الرد على أحمد بن عليوه الصوفي. { ينظر: مُعْجَمُ أعلام الجزائر - مِنْ صَدَرِ الْإِسْلَامِ حَتَّى الْعَصْرِ الْحَاضِرِ، عادل نويهض، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، ٢٩}.

(٤) الزمر / ٧٣

وعلى سبيل المثال أيضاً في تفسير قوله تعالى: أَلَمْ يَلِدْ وَلاً لِّىَ يَكْفُرْ بِالَّذِى هُوَ مُوَطَّقُ بِهِ، وَأَهُلٌ لِّمَا هُوَ حَقُّقٌ {الإسراء: ١٨- ١٩}، وتحت عنوان (مرید الدنیا وجزاؤه)، يرى أنّ منهم من يريد بأعماله هذه الدار العاجلة والحياة الدنيا، عليها قصر همه، وعلى حظوظها عقد ضميره، وجعلها وجهة قصده، ونصبها غاية سعيه، لا يرجو وراءها ثواباً، ولا يخاف عقاباً، فهو مقبل عليها بقلبه وقالبه، معرض عن غيرها بكليته، فلا يجيب داعي الله بترغيب ولا ترهيب، ولا يتقيد في سلوكه بشرائع العدل والإحسان. فمن كانت هذه إرادته، ولهذا عمله، عجل الله له في الدنيا ما مضى في مشيئته تعالى أن يعجله له، إن كان ممن أراد التعجيل لهم، ثم إذا قدم على الله في الآخرة جعل له وحضر له جهنم دار العذاب، واضطره إلى دخولها^(٣).

(١) تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (ت ١٣٥٩هـ)، علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ٢٤٢ - ٢٤٣

(۴) ينظر: تفسير ابن باديس، ۴۹ - ۵۰.

بهذا يجمع الآيات الكريمة التي تكون في معنى واحد لفهم الموضوع المراد تفسيره، وهي إشارة إلى أنه يعتمد القرآن الكريم نفسه في التفسير.

أما اعتماده محورية السنة في التفسير، فكان يلجأ إلى بيان القرآن الكريم بسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) الصحيحة، وقد صرح إلى أنه: ((ما أحسن التفسير عندما تعضده الأحاديث الصحاح))^(١). ويقول أيضاً: ((عندما يختلف عليك الدعاة، الذين يدعي كل منهم أنه يدعوك إلى الله تعالى، فانظر من يدعوك بالقرآن إلى القرآن، ومثله ما صح من السنة لأنها تفسيره وبيانه، فاتبعه لأنه هو المتبع للنبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - في دعوته وجهاده بالقرآن))^(٢). ولأجل ذلك يلاحظ أنه كان يُكثر من إيراد الأحاديث التي رواها البخاري ومسلم. وهذا يدل على اعتماده السنة في التفسير، ومن خلال ما تقدم يتبين أنه من القائلين بمحورية القرآن والسنة معاً في التفسير.

٤- تفسير المراغي للمراغي (ت ١٣٧١هـ)

هذا التفسير لمؤلفه احمد مصطفى المراغي^(٣)، فهو أيضاً يشير إلى الدور الأساسي والمحوري للقرآن والسنة في تفسير الآيات الكريمة في تفسيره هذا، فمثلاً عند تفسير قوله تعالى: أَمْ يَمُنُّ بِإِيمَانِهِمْ بِالْآيَاتِ الْكُرَامِ {البقرة: ٤}، فإنه يستشهد بمجموعة من الآيات القرآنية لتفسير قوله (بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ)، فيرى أنه هو القرآن الذي يُتلى، والوحي الذي لا يُتلى، وهو ما بيّنه النبي صلى الله عليه وسلم

(١) المصدر نفسه، ١٨٧

(٢) المصدر السابق، ١٨٩

(٣) هو أحمد بن مصطفى المراغي، مفسر مصري. ولد بالمراغة من أعمال مديرية جرجا في الصعيد في سنة ١٣٠٠هـ، ونشأ بها، وتعلم بالقاهرة. تخرج بدار العلوم سنة ١٩٠٩م، ثم كان مدرّس الشريعة الإسلامية بها. وولي نظارة بعض المدارس. وعين أستاذاً للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم. كان لامع الذكاء منذ طفولته، وعظيم الشخصية، من أساتذته الأستاذ محمد عبده، وأحمد الرفاعي الفيومي، ومحمد بخيت المطيعي، وتوفي بالقاهرة سنة ١٣٧١هـ. له كتب، منها (الحسبة في الإسلام) و(الوجيز في أصول الفقه) مجلدان، و(تفسير المراغي) ثمانية مجلدات، و(علوم البلاغة). { ينظر: الأعلام، الزركلي، ١ / ٢٥٨ . والمفسرون حياتهم ومنهجهم، محمد علي إيازي، ٣٥٨ }.

ومثال تأكيده على محورية السنة في التفسير، هو استشهاده بأحدِيث الرسول (عليه الصلاة والسلام) فمثلاً في تفسير قوله تعالى: أَلَمْ يَلِدْ وَلِيًّا ۚ ﴿٣١﴾ {الأعراف: ٣١}. فيرى أنّ المراد بالزينة هي الثياب الحسنة، واستدل بذلك بما روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: ((إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَلْبَسْ ثَوْبِيهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحَقُّ أَنْ يُزِينَ لَهُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ ثَوْبَانِ فَلْيَأْتِرْ إِذَا صَلَّى وَلَا يَشْتَمَلْ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ اشْتِمَالَ الْيَهُودِ))^(٢)، وهذا الأمر بالزينة أصل من الأصول الدينية^(٣).

مؤلف التفسير هو سيد قطب^(٤)، وهو من التفسير التي تعتمد محورية القرآن والسنة معاً، ففي مقدمة تفسيره يقول محدداً أسلوبه في التفسير ومعتماً فيه على

91

القرآن نفسه: ((وكل ما حاولته ألا أُغرق نفسي في بحوث لغوية أو كلامية أو فقهية تحجب القرآن عن روحي وتحجب روحي عن القرآن، وما استطردت إلى غير ما يوحيه النص القرآني ذاته من خاطرة روحية أو اجتماعية أو إنسانية وما أحفل القرآن بهذه الإيحاءات))^(١).

ويذكر أيضاً أنه حاول أن يعبر عما خالج نفسه من احساس بالجمال العجيب في هذا الكتاب المعجز، ومن شعور بالتناسق في التعبير والتصوير^(٢).

وقد اتبع طريقة في تفسيره، حيث أنه في أوائل السور كان يعطي فكرة عامة عن السورة المراد تفسيرها، ثم يقسم السورة إلى مقاطع ودروس بحسب تسلسل الآيات، ويجمع أهم الآيات التي تتحدث عن موضوع معين ويعلق عليها بأسلوب سهل ممتنع، وبكلمات قليلة معبرة بعد أن يقدم لها بما يربط بينها وهو بهذا يقرب المعنى في الأذهان، ويجعل الآيات تشترك في تقديم صورة متكاملة.

ولعل اتباعه لهذه الطريقة أنه يؤمن أن السورة القرآنية ذات وحدة موضوعية متكاملة وآياتها دائماً تدور حول هذا الموضوع.

والملاحظ بشكل عام أنه اتبع طريقة ظاهرة في كتابه، وهي أنه كان يأتي في أول كل سورة يحدد ملامحها العامة ويستعرض مع كل ملمح أهم الآيات المتعلقة به فكانت هذه الآيات تتعاون لتعطي معنى واحداً وإن لم تأت في المصحف على

وعُين مدرساً للعربية، فموظفاً في ديوان وزارة المعارف، ثم (مراقباً فنياً) للوزارة. وأوفد في بعثة لدراسة (برامج التعليم) في أميركا ١٩٤٨ م، ولما عاد انتقد البرامج المصرية وكان يراها من وضع الإنجليز، وطالب ببرامج تتمشى والفكرة الإسلامية. وبنى على هذا استقالته ١٩٥٣م في العام الثاني للثورة. وانضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه، إلى أن صدر الأمر بإعدامه، فأعدم. له مؤلفات عديدة في المجال القرآني أشهرها في ظلال القرآن، وتفسير سورة الشورى، والتصوير الفني في القرآن، ومشاهد القيامة في القرآن، توفي سنة ١٣٨٦هـ. { ينظر: الأعلام، الزركلي، ٣ / ١٤٧ - ١٤٨ . والتفسير والتفاسير الحديثة، بهاء الدين خرمشاهي، ٢٧ - ٢٨ }.

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، القاهرة، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢ هـ، ١ / ٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ١ / ٦ - ٧.

الترتيب. ومثال ذلك ما جاء في التعريف بسورة (آل عمران) حيث قال^(١): في هذا المقطع الأول يتبين موقف أهل الكتاب المنحرفين عن كتابهم، من الجماعة المسلمة والعقيدة الجديدة، ممثلاً في أمثال هذه النصوص:

قوله تعالى: ﴿أَخْلَجْ لِي يَوْمَ يُخْلَجُ الْكَافِرُ وَالْمُؤْمِنُ سَوَاءً أَسْمَاءُ﴾ {آل عمران: ٢٣}.

قوله تعالى: ﴿أَأَنْتَ الَّذِي كَذَّبْتَ بِآيَاتِنَا وَأَنْتَ الَّذِي كَذَّبْتَ بِآيَاتِنَا﴾ {آل عمران: ٦٩}.

قوله تعالى: ﴿أَخْلَجْ لِي يَوْمَ يُخْلَجُ الْكَافِرُ وَالْمُؤْمِنُ سَوَاءً أَسْمَاءُ﴾ {آل عمران: ٧١}.

وقوله تعالى: ﴿أَأَنْتَ الَّذِي كَذَّبْتَ بِآيَاتِنَا وَأَنْتَ الَّذِي كَذَّبْتَ بِآيَاتِنَا﴾ {آل عمران: ٩٨-٩٩}، فالمؤلف جمع هذه الآيات بعضها إلى بعض ليبين الموقف الحقيقي لأهل الكتاب من الجماعة المسلمة والعقيدة الجديدة الممثلة في الاسلام.

فهم لم يقبلوا تحكيم كتاب الله المنزل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأعرضوا عنه رغم أنه قد جاءهم كتاب من عند الله - وهو التوراة - من قبل. والأمر الآخر أنهم يودون خداع المسلمين وضلالهم وإبعادهم عن حقيقة الدين الحق وتلك غايتهم الثابتة الدفينة. كما أنهم يحاولون أن يغلبوا الجماعة المسلمة على عقيدتها فيخلطون الحق بالباطل ويحاولون جهدهم اخفاء الحقيقة وخداع المسلمين مع علمهم بأن هذا خطأ فادح. وهم أيضاً يبذلون قصارى جهدهم في أن يبعدوا الجماعة المسلمة عن حقيقتها الايمانية ويحاولوا بشتى الطرق أن يحددوا بها عن منهج الله وطريقته وما الله بغافل عن كل ما يعملون، لذا كشف نواياهم المستترة ووسائلهم القذرة وأهدافهم الخطرة على الاسلام والمسلمين^(٢). وهكذا نراه قد وفق في ايضاح المعنى المشترك لهذه الآيات بربط بعضها إلى بعض.

وكان سيد قطب يهتم بتفسير القرآن الكريم بالأحاديث الشريفة، فكان يهتم بإيراد الأحاديث الصحيحة وغالبًا كان يأخذ من الصحيحين أو غيرهما من الكتب الستة،

(١) ينظر: في ظلال القرآن، ١ / ٣٥٣.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ١ / ٣٥٤.

ومثال ذلك ما جاء به عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (النساء: ٢٣) حيث قال: ((وهذه الدرجة يمثلها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقامهم في الجنة))^(١). ويستشهد بحديث عن أبي هريرة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ((إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض))^(٢).

٦ - التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ)

صاحب التفسير هو الطاهر بن عاشور^(٣)، وهو من المدونات التفسيرية التي اعتمدت محورية القرآن والسنة معاً.

فناه قد اعتمد كثيراً على القرآن نفسه في التفسير، وكان القرآن من الشواهد الأولى التي لجأ إليها في أغلب مقومات التفسير، على أن مفهوم تفسير القرآن بالقرآن عنده قائم على أن القرآن قد يحمل بعض آياته على بعض، وقد يستقل بعضها عن بعض، إذ ليس المعنى المقصود في بعض الآيات يكون مقصوداً في جميع نظائرها، وكان أغلب استخدامه له في توضيح معنى آية أو لفظة أو توضيح

(١) المصدر نفسه، ٢ / ٧٤٠.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، ٩ / ١٢٥ كتاب التوحيد، حديث رقم ٧٤٢٣.

(٣) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه، ولد بالمرسى من ضواحي تونس سنة ست وتسعين ومائتين وألف، درس بتونس وعُيِّن شيخاً للإسلام مالكيًا. تولى التدريس بجامع الزيتونة وخاصة في التفسير، كما درس بالمدرسة الصادقية وتولى القضاء والافتاء. كان له الدور البارز في الإصلاح العلمي والاجتماعي، وقام برحلات علمية إلى المشرق وأوروبا واستتبول. تحصل على وسام الاستحقاق التونسي. له قرابة الأربعين مؤلفاً منها: التحرير والتنوير، وكشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، والتوضيح والتصحيح في أصول الفقه، والوقف وآثاره في الاسلام، وغيرها. { ينظر: التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، ١ / ٣٤٧ - ٣٤٨ }.

[illegible]

أما اعتماده لمحورية السنة في التفسير، فكان كثيرًا ما يورد الأحاديث النبوية، ويستشهد بها، ويستعين بها على تفسير آية، أو ترجيح قول، أو بيان سبب نزول. ففي تفسير قوله تعالى: **أُخْلِقَ لِمَ لِي لِي** □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ **نم** □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ {الإسراء: ١}، فقد بيّن أنّ في هذا الوصف بصيغة التفضيل باعتبار أصل وضعها معجزة خفية من معجزات القرآن إيماء إلى أنّه سيكون بين المسجدين مسجد عظيم هو مسجد طيبة الذي هو قصي عن المسجد الحرام، فيكون مسجد بيت المقدس أقصى منه حينئذ. فتكون الآية مشيرة إلى جميع المساجد الثلاثة المفضلة في الإسلام على جميع المساجد الإسلامية، وهذا ما بيّنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد الأقصى، ومسجدى^(٢).

٧ - الأساس في التفسير لسعيد حوى (ت ١٤٠٩هـ)

هذا التفسير لمؤلفه سعيد حوى^(٣)، وهو من المدونات التفسيرية التي اعتمدت محورية القرآن والسنة معاً، وهو يرى أن كل تساؤل حاد في عصرنا هذا لا يحتمل

(١) ينظر: التحرير والتتوير، محمد الطاهر بن عاشور، ٨ / ١٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ١٥ / ١٥.

(٣) سعيد بن محمد بن ديب حوى، أبرز الدعاة الإسلاميين المنتمين إلى جماعة الإخوان المسلمين، ولد في حماة بحى العليليات. عاش في كنف والده الذى عرف بشجاعته وجهاده ضد

ومن أمثلة اعتماده على السنة الشريفة في التفسير، هو ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿أَأَمَّا ءُتُونَا ۖ فَتَبَدَّلْنَا الْوَعْدَ لَكُمْ لِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ {الفاتحة: ٧}، فإنه يذكر رواية عن عدي بن حاتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((إِنَّ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمُ الْيَهُودَ وَإِنَّ الضَّالِّينَ النَّصَارَى))^{(١)(٢)}.

٨- التفسير الوسيط للقرآن الكريم للسيد طنطاوي (ت ١٤٣١هـ)

التفسير هو للسيد طنطاوي^(٣)، والتفسير الوسيط يسير على نفس المنهج، فهو ينقل رأي ابن كثير في هذا الموضوع، الذي يرى فيه بيان هذا المعنى، وفي بيان أحسن طرق التفسير فقال: فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله، وتفسير ذلك، وطلبه من مظانه، وتعلم ذلك وتعليمه. فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إنَّ أصح الطريق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان، ١٤٠ / ١٤.

(٢) ينظر: الأساس في التفسير، ١ / ٤٢.

(٣) محمد سيد طنطاوي، شيخ الجامع الأزهر، ولد بقرية سليم الشرقية في محافظة سوهاج في الرابع عشر من جمادى الأولى لعام ١٣٤٧هـ الموافق للثامن والعشرين من أكتوبر سنة ١٩٢٨م. تلقى تعليمه الأساسي بقريته، وبعد أن حفظ القرآن التحق بمعهد الإسكندرية الديني سنة ١٩٤٤م، وبعد انتهاء دراسته الثانوية التحق بكلية أصول الدين جامعة الأزهر، وتخرج فيها سنة ١٩٥٨م، ثم حصل على تخصص التدريس سنة ١٩٥٩م، ثم حصل على الدكتوراه في التفسير والحديث بتقدير ممتاز في سنة ١٩٦٦م. له مؤلفات كثيرة منها: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، وبنو إسرائيل في القرآن والسنة، والبنوك وأحكامها الشرعية، والدعاء، وغيرها. توفي صباح يوم الأربعاء ٢٤ ربيع الأول ١٤٣١هـ الموافق ١٠ مارس ٢٠١٠م في الرياض عن عمر يناهز ٨١ عاماً إثر نوبة قلبية. {شبكة الأنترنت، الموقع: محمد سيد طنطاوي - ويكيبيديا، الرابط

{<https://ar.wikipedia.org/wiki/>}

معها)، يعنى السنة. والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السنة^(١). وهو بهذا يعطى الدور المحورى لكليهما فى تفسير الآيات القرآنية الكريمة.

٩ - أيسر التفاسير للجزائري

صاحب التفسير هو جابر بن موسى الجزائري^(٢). وهذا التفسير اسمه الكامل (أيسر التفاسير لكلام علي الكبير)، وهو مطبوع في أربعة مجلدات، ووضع له حاشية سماها: نهر الخبر طبعته بهامشه^(٣).

[illegible]

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي (ت ١٤٣١هـ)، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧، ١ / ٨.

(٢) جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مفسر داعية معاصر، ولد بقرية ليوثة التي يدعونها عروس الجنوب الجزائري سنة أربعين وثلاثمائة وألف، وأبواه جزائريان من أسرتين محافظتين مشهورتين بالصلاح ويكثر فيهما حفظ القرآن. حصل على إجازة من رئاسة القضاء بمكة المكرمة للتدريس بالمسجد النبوي. وله إسهام في الحياة السياسية متأثراً بالاحتلال الفرنسي للجزائر، وقد أصدر صحيفتين هناك، إحداهما تحمل اسم الداعي، والأخرى تحمل اسم اللواء. وله العديد من المؤلفات منها: أيسر التفاسير لكلام علي الكبير. { ينظر: التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، محمد بن رزق بن طهوني ، ١ / ٢٠١ - ٢٠٢ }.

(٣) ينظر: التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، ١ / ٢٠٢.

أَمْكَ))^(١) أمر لأسماء، وأمها كانت يومئذ كافرة. وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((من ملك ذا رحم محرّم عتق عليه))^(٢). وغيرها من الأمثلة^(٣).

١٠ - المختصر في تفسير القرآن الكريم لجماعة من علماء التفسير

ومن المدونات التفسيرية التي اعتمدت محورية القرآن والسنة معاً هي (المختصر في تفسير القرآن الكريم)، وهو من تصنيف جماعة من علماء التفسير. إذ ذكروا في المقدمة إنّ من أهم ميزات هذا التفسير ((اتباع منهج سلف الأمة رضوان الله عليهم في التفسير - وفي بيان معاني آيات الصفات خصوصاً - باتباع ما دلّ عليه القرآن والسنة دون تأويل أو تحريف))^(٤).

فمن أمثلة اتباعهم ما دلّ عليه القرآن الكريم هو في تفسير قوله تعالى: أأله
م ج م ن ن خ ن ر نه □ هم {البقرة: ٣٧}. ففسروا هذه الكلمات بأنها
المذكورة في قوله تعالى: أ ل خ لم لي □ □ □ □ □ □ □ □
{الأعراف: ٢٣}. فقبل الله توبته وغفر له فهو كثير التوبة على عباده رحيمٌ بهم^(٥).
وغير هذا المثال كثير في هذا التفسير، وهذا يبيّن اعتماد التفسير على محورية
القرآن الكريم.

(١) صحيح البخاري، ٣ / ١٦٤ كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها – باب الهدية للمشركين، حديث رقم (٢٦٢٠).

(٢) مختلف الشيعة في أحكام الشريعة ، العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ٧ / ٢٣.

(٣) ينظر: أيسر التفاسير لكلام علي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ١ / ٤٣٢.

(٤) المختصر في تفسير القرآن الكريم، تصنيف: جماعة من علماء التفسير، إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية، الطبعة الثالثة، ١٤٣٦ هـ، المقدمة / ٦ .

(٥) ينظر: المختصر في تفسير القرآن الكريم، ٦.

أمّا الدليل على اعتمادهم محورية السنة في التفسير، هو رجوعهم في حال الاختلاف في التفسير إلى ابن جرير الطبري، وذلك لسلامة منهجه، وكثرة اعتماده على التفسير المنقول عن النبي (عليه السلام)، والمنقول عن الصحابة والتابعين وأتباعهم^(١). فاعتمادهم على تفسير ابن جرير لكثرة نقله عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، والصحابة والتابعين، دليل على اعتمادهم محورية السنة الشريفة إلى جانب محورية القرآن الكريم في تفسير كتاب الله تعالى.

المطلب الثاني: التفاسير المعاصرة القائلة بمحورية القرآن والسنة معاً عند مدرسة الإمامية

سوف نذكر في هذا المطلب التفاسير القائلة بمحورية القرآن والسنة معاً عند مدرسة الإمامية، والتي بدأنا بها من سنة (١٣٩٨هـ) وتحديداً من تفسير القرآن الكريم للسيد مصطفى الخميني.

١- تفسير القرآن الكريم لمصطفى الخميني (١٣٩٨هـ)

هذا التفسير للسيد مصطفى الخميني^(٢)، وهو من الذين أكدوا على محورية القرآن والسنة معاً في تفسيره، إذ يقول: ((إن الثقلين متلازمان لا يمكن التمسك بأحدهما دون الآخر وأن ترك أحدهما معناه تركهما معاً))^(١).

(١) ينظر: المصدر نفسه، المقدمة / ٨.

(٢) ولد السيد مصطفى الخميني في مدينة قم المقدسة عام ١٣٠٩هـ، نشأ وترعرع في ربوع قم المقدسة ورحابها. اشتغل بدراسة العلوم العصرية الحديثة في أوائل صباه حتى ست سنوات، وبعدها اشتغل بطلب العلوم الدينية. وقد ارتدى الزي العلمائي الخاص وهو ابن سبع عشرة سنة وذلك بإصرار من والده. وبعدها شرع بدراسة العلوم الأخرى فقهاً وأصولاً، رجالاً وحديثاً، فلسفةً وعرفاناً. استطاع بذكائه الوقاد ومثابرته الجادة أن يلم بهذه العلوم العميقة الدقيقة في فترة قياسية وجيزة. له مؤلفات كثيرة منها: تحريرات في الأصول، ومستند تحرير الوسيلة، وتفسير القرآن الكريم، وتعليقات على الحكمة المتعالية، وتحرير العروة الوثقى، وغيرها. { ينظر: تحريرات في الأصول، السيد مصطفى الخميني (ت ١٣٩٨هـ)، الناشر: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٣٧٦ ش، ١ / ١ - ٧ }.

ثم قال: ((إن واجب المفسر لكتاب الله تعالى هو أن يستنطق آياته ويستنبط معانيه، ويغوص إلى أعماقه مستهدياً بالقرآن العظيم وقرنائه))^(٢). فالقرناء هم آل بيت الرسول (عليهم السلام).

ثم يؤكد مرةً أخرى على أن السنة النبوية الشريفة هي قرينة القرآن الكريم، فيقول: ((وقد اهتدى صاحب هذا التفسير بالسنة المطهرة والأحاديث الشريفة في تفسيره هذا، كما عزز آراءه بالدليل والبرهان، حيث إن السنة المطهرة قرينة القرآن الكريم))^(٣). فهو يجعل السنة النبوية قرينةً للقرآن الكريم في التفسير، ويجعل كليهما محوراً في تفسير آيات الكتاب الكريم.

فمن اعتماده محورية القرآن هي في تفسير معنى (البكامة) في قوله تعالى: أأ □ □ □ □ يم {البقرة: ١٨}، فهو يرى أن البكامة آفة توجب اختلالاً في العقل قريباً من الجنون، واختلالاً في العضو، ولا يعتبر فيه شيء آخر. والأخرس من يختل لسانه، ويصنع بالإشارة ما يريد أن يفعله. ويؤكد رأيه هذا بقوله تعالى: أأ □ □ □ □ □ □ □ □ {النحل: ٧٦}، وقوله تعالى: أأ □ □ □ □ بر {البقرة: ١٧١}، وقوله تعالى: أأ □ □ □ □ {الأنفال: ٢٢}، فيرى أن من ترتيب جملة (لا يقدر على شيء)، وجملة (فهم لا يعقلون)، يتبين عدم تعقل الأبكم^(٤).

أما مثال اعتماده محورية السنة فهو في قوله تعالى: أأ تم ته ثر □ جم □ حم □ خم □ □ □ سم □ □ □ □ {البقرة: ٣٥}، فيروي عن ابن عباس وابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن عدو الله إبليس أقسم بعزة الله ليغوين آدم وذريته وزوجته، إلا عباده المخلصين منهم،

(١) تفسير القرآن الكريم، السيد مصطفى الخميني (ت ١٣٩٨هـ)، تحقيق: مؤسسة تنظيم ونشر

آثار الإمام الخميني، الطبعة الأولى، ١٤١٨ - ١٣٧٦ ش، ٨ / ١ .

(٢) المصدر نفسه، ٩ / ١ .

(٣) المصدر السابق، ١٠ / ١ .

(٤) ينظر: المصدر السابق، ١٠٩ / ٤ .

بعد أن لعنه الله، وبعد أن أخرج من الجنة، وقبل أن يهبط إلى الأرض. وعلم الله آدم الأسماء كلها^(١).

٢ - الجديد في تفسير القرآن المجيد لمحمد حبيب السبزواري (ت ١٤٠٩ هـ)

التفسير للشيخ محمد بن حبيب الله المعروف بالسبزواري^(٢)، وهذا التفسير من التفاسير التي اعتمدت محورية القرآن والسنة معاً في التفسير، فهو تارةً يعتمد الآيات القرآنية لتوضيح المعنى، وتارةً أخرى يعتمد الروايات للوصول إلى المعنى. فمثال اعتماده على الآيات القرآنية هو في تفسير قوله تعالى: أَأَمْ نَمِ نِيَّ {البقرة: ٣}، يقول: ويحتمل أن يكون المراد بالغيب هو الحجة الغائب عجل الله تعالى فرجه، والشاهد عليه قوله تعالى: أَمْ نَمِ نِيَّ {البقرة: ٣}، فأخبر عز وجل أن الآية هي الغيب، والغيب هو الحجة. وتصديق ذلك من كتاب الله قوله سبحانه: أَمْ نَمِ نِيَّ {المؤمنون: ٥٠}، أي حجة^(٣). فهو يجعل الآيات القرآنية الكريمة محوراً في العملية التفسيرية.

وفي مواضع أخرى من تفسيره يستعين بالروايات لفهم المعنى، فمثلاً عند تفسير (الرحمن)، في قوله تعالى: أَمْ نَمِ نِيَّ {الفاتحة: ٣}، فيرى أنه البالغ في الرحمة

(١) ينظر: تفسير القرآن الكريم، ٥ / ٤٩٨.

(٢) هو الشيخ محمد بن حبيب الله العزيزي، الشهير بالسبزواري النجفي، كان من العلماء الامامية، ولد سنة (١٣١٨ هـ) في قرية فريومد من قرى سبزوار، خراسان، درس القرآن والعلوم الأولية في قريته ثم تركها إلى مشهد الامام الرضا (عليه السلام)، وبدأ هناك الدراسة الأولية، والسطوح، وهناك اتصل بالمرجع الشهير السيد حسين الطباطبائي القمي، فكان من خلصائه، وبعد اخراج السيد القمي من مشهد سافر معه إلى العراق حيث استقر في مدينة كربلاء، ثم ترك كربلاء متوجهاً إلى النجف، وتابع الدراسة فيها، ثم هاجر إلى قم وتوفي فيها سنة ١٤٠٩ هـ. {ينظر: المفسرون حياتهم ومنهجهم، محمد علي ايازي، ٤١٤}.

(٣) ينظر: الجديد في تفسير القرآن المجيد، الشيخ محمد السبزواري، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، ١ / ٣٠.

غايبتها، وهو اسم اختص به الله تعالى، ويستشهد برواية عن الامام الصادق (عليه السلام) وهي: الرحمن اسم خاص بصفة عامة، والرحيم اسم عام بصفة خاصة^(١).

٣- البيان في تفسير القرآن للسيد الخوئي (ت ١٤١٣ هـ)

وكذلك السيد الخوئي^(٢)، فهو من القائلين بمحورية القرآن والسنة معاً، وقد ذكر ذلك في مقدمة تفسيره، إذ قال: ((وسيجد القارئ أيضاً أنني كثيراً ما أستعين بالآية على فهم أختها، واسترشد القرآن إلى إدراك معاني القرآن، ثم أجعل الأثر المروي مرشداً إلى هذه الاستفادة))^(٣).

وهو يذهب إلى أنّ القرآن يفهم عن طريق ظواهر الكلمات، والعقل، والسنة، مما يعني أنّ بعض النصوص القرآنية عنده قد تحتاج إلى نص من السنة لكي تتجلي، دون أن نسقط الدلالات القرآنية برمّتها كما فعل الأخباريين^(٤).

فقد قال في ذلك ((وسيجد القارئ أنني لا أحيّد في تفسييري هذا عن ظواهر الكتاب ومحكماته وما ثبت بالتواتر أو بالطرق الصحيحة من الآثار الواردة عن أهل بيت العصمة، من ذرية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم))^(٥).

كما أنه يؤكد على روايات الأئمة (عليهم السلام)، ويرى وجوب الاستفادة من الأحاديث في تفسير القرآن بالقرآن، إذ قال في هذا الصدد: ((ويحتمل أن معنى التفسير بالرأي الاستقلال في الفتوى من غير مراجعة الأئمة عليهم السلام، مع أنهم قرءاء الكتاب في وجوب التمسك، ولزوم الانتهاء إليهم، فإذا عمل الإنسان بالعموم أو

(١) ينظر: المصدر نفسه، ١ / ١٤.

(٢) هو السيد، أبو القاسم بن علي أكبر بن هاشم الموسوي، ولد في رجب سنة (١٣١٧ هـ) في مدينة خوى من إقليم أذربيجان، والتحق بوالده إلى النجف الاشرف وانظم إلى المعاهد العليا فيها، وله أكثر من مائة مؤلف، وقد لقب بأستاذ الفقهاء والمجتهدين لكثرة من تخرج على يديه من علماء ومجتهدين وكان أستاذ الحوزة في النجف الاشرف، [ينظر: أساطين المرجعية العليا في النجف الأشرف، الدكتور محمد حسين علي الصغير، مؤسسة البلاغ، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م، ١٢، ٢٣٥].

(٣) البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي، ١٣

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ٣٩٧ - ٣٩٨

(٥) البيان في تفسير القرآن، ١٣

الاطلاق الوارد في الكتاب، ولم يأخذ التخصيص أو التقييد الوارد عن الأئمة -عليهم السلام - كان هذا من التفسير بالرأي^(١). فهذا يدل على أنه يعطي الدور المحوري للقرآن الكريم والسنة الشريفة في تفسير الآيات.

٤- مواهب الرحمن في تفسير القرآن للسيد عبد الأعلى السبزواري (ت ١٤١٤ هـ)
هذا التفسير مؤلفه السيد السبزواري^(٢)، فهو أيضاً ينهج ذات المنهج، فهو يعتمد محورية القرآن والسنة معاً في تفسير الآيات الكريمة، إذ يقول في مقدمة تفسيره: ((وقد فسّر نفسه بنفسه؛ لأنه تبيان كلّ شيء، فإذا كان كذلك فأولى أن يكون تبياناً لنفسه، مستنداً لذلك بما ورد من السنة النبوية، والمأثور عن آله الذين قرنهم النبي (صلى الله عليه وآله) بالكتاب، وجعلهم الأدلاء عليه، فجمعت بينهما وبين ما اتفق عليه الجميع مع تقرير الشريعة له، وقد بذلت جهدي في عدم التفسير بالرأي مهما

(١) المصدر نفسه، ٢٦٩.

(٢) هو السيد عبد الأعلى بن علي رضا بن عبد العلي الموسوي السبزواري، ولد العلامة السبزواري في مدينة سبزوار من عوامل خراسان في الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٢٨ هـ في أسرة علمية مشهورة بالورع والاجتهاد. وكان عمّه من كبار المجتهدين في سبزوار. منذ صباه شغف بطلب العلم، فقد هاجر من مدينة سبزوار وهو في الرابعة عشرة من عمره الشريف الى مدينة مشهد الرضوية بعد تزوجه بنمير من العلوم الفقهية والاصولية على يد والده رحمه الله، فحضر في الحوزة العلمية في مدينة مشهد دروس كبار علمائها آنذاك مثل الشيخ محمد حسن البرسي، السيد آغا حكيم والسيد محمد العصار، ثم شدّ الرحال الى جامعة الاسلام الكبرى ومعهد العلماء العظام مدينة النجف الاشرف ليرتشف من نمير منبعها النثر، ومن عيون الفقه الاصول والتفسير، فقد حضر درس كبار العلماء هناك، ومن جملتها المحقق النائيني والسيد ابو الحسن الاصفهاني والشيخ محمد حسين الاصفهاني توفي صباح يوم الاثنين ٢٧ صفر ١٤١٤ هـ، وقيل قضى شهيداً بالسّم في العراق، ودفن في مدينة النجف الاشرف. له مؤلفات عدة، منها: تهذيب الأصول، وجامع الأحكام الشرعية في الفقه، مناسك في الحج، ومواهب الرحمن في تفسير القرآن، وغيرها. { ينظر: المفسرون حياتهم ومنهجهم، محمد علي إيازي، ٦٩٢}.

[illegible]

وأما اعتماده على محورية السنة، فإنّه كان كثيراً ما يعتمد على الروايات الصادرة عن النبي وأهل بيته (عليهم السلام)، فمثلاً في تفسير سورة الفاتحة، وتحت عنوان بحث فقهي، يرى أنّ البسملة في أول كل سورة جزء منها، ويستشهد بمجموعة من الروايات منها، عن أنس قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((أنزلت على آنفا سورة فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم))^(٣).

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، ايران - قم، الطبعة الخامسة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ١ / ٤.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ٥ / ٢٣٦.

(٣) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١ / ٣٠٠ باب حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة.

وعن الامام علي (عليه السلام) قال: ((التسمية في أول كل سورة آية منها، وإِثْمًا كان يعرف انقضاء السورة بنزولها ابتداءً للأخرى، وما أنزل الله كتابًا من السماء إلاّ هي فاتحته))^(١). وغيرها من الروايات التي ذكرها^(٢).

۵۔ تفسیر النور لمحسن قراعتی

مؤلف التفسير هو الشيخ محسن قراءتي^(٣)، وفي تفسيره هذا يتبع الأسلوب ذاته، أي محورية القرآن والسنة معاً، إذ ذكر أن من مزايا هذا التفسير أنه يتبع ((الوقوف عند منطوق نصوص الآيات أو روايات أهل البيت عليهم السلام))^(٤).

ثم أنه يذكر أنّ في منهج العمل في التفسير أنّه يقوم بذكر الآيات ذات الصلة بالآية المفسّرة. وأيضًا ذكر الروايات بعد الآية^(٥). فمثلاً في تفسير قوله تعالى: **أَ □ □ □ □ □ {الأعراف: ٦}، فإنّه يرى أنّ الآية الكريمة تتحدث عن الحساب في اليوم الآخر وعذاب القيامة، من خلال تكرار القول بحتمية المساءلة والحساب في ذلك اليوم، وأنّ هذه المسألة سوف لن تقتصر على الناس فحسب، بل تشمل الأنبياء أيضًا. لقوله تعالى: أأ**

(١) مسند الإمام علي (عليه السلام)، السيد حسن القبانجي، تحقيق: الشيخ طاهر السلام، الناشر: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ١ / ٢٨٧.

(٢) ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ١ / ٢٤.

(٣) هو الشيخ محسن بن علي نقي قراعتي، ولد في كاشان عام ١٣٦٤هـ، ودرس المقدمات في مسقط رأسه عن الشيخ جعفر الصبور القمي، ثم هاجر إلى قم المقدسة ليحضر دروس السطوح فيها عند عدد من الشيوخ، ثم حضر البحث الخارج عند مجموعة من الشيوخ، وخلال اشتغاله بحضور دروس الأعلام زاول التدريس عدة سنوات مع ممارسته للوعظ المنبري، واشتهر ببراعته في مجال التفسير، كما أنه من ضمن اللجنة المشتركة في كتابة تفسير الأمثل تحت إشراف الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ومن أهم مؤلفاته هو تفسير النور، وقرآن وتبليغ. { شبكة الأنترنت رياض العلماء - الشيخ محسن قراعتي www.facebook.com/riad.alolama/posts }.

(٤) تفسير النور، الشيخ محسن قراءتي، ترجمة: حسين صافي، دار المؤرخ العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، ١ / ٦ .

(٥) ينظر: تفسير النور، ١ / ٧ .

نم □ □ □ في {المائدة: ١٠٩} . أما في خصوص السؤال: عمّ سيسأل الإنسان في يوم القيامة ؟ فيجيب: إن من جملة ما يُسأل عنه الإنسان يوم القيامة هي النعم، أ □ □ □ □ {التكاثر: ٨}، وينقل أنه وردت في روايات متعددة أن ((النعيم حبنا أهل البيت ومولاتنا يسأل الله عباده عنه بعد التوحيد والنبوة؛ لأن العبد إذا وفا بذلك أداه إلى نعيم الجنة الذي لا يزول))^(١) ^(٢).

وفي قوله تعالى: أ □ □ □ {الأنبياء: ٤٧}، فإنه يستشهد في تفسير الآية الكريمة بقول الأئمة المعصومين (عليهم السلام): أن الموازين هم الأنبياء، والأوصياء، ومن الخلق من يدخل الجنة بغير حساب^(٣). كما أنه يذكر إننا نقرأ في الزيارة المطلقة للإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام): ((السلام على ميزان الأعمال))^(٤) ^(٥). وهذا يبين أنه يعتمد السنة النبوية في تفسيره للآيات القرآنية الكريمة، كاعتماده الآيات القرآنية في تفسير بعضها البعض، وهذا هو ما نعنيه في أنه يعتمد محورية القرآن والسنة معاً في عملية تفسير الآيات القرآنية.

(١) عيون أخبار الرضا (ع)، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ١٣٧ / ٢ .

(٢) ينظر: تفسير النور، محسن قراءتي، ١٢ / ٣ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ٥ / ٤٢٣ .

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ٩٧ / ٢٨٧ .

(٥) ينظر: تفسير النور، محسن قراءتي، ٣ / ١٤ .

المبحث الرابع: القائلون بمحورية القرآن ومدارية
السنة

توطئة

المطلب الأول: التفاسير المعاصرة القائلة بمحورية القرآن
ومدارية السنة عند مدرسة الصحابة

{الحشر: ٧}، وكذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَمْ يَقُولُونَ إِنَّ الدَّيَّانِينَ مُنحَلَّوْنَ مِنْهَا﴾ {النحل: ٤٤}. وعلى هذا فإن العمل بالقرآن من دون السنة مرفوض قرآنياً. أما ما يخص محورية السنة، فإن البعض من الموروث الروائي طالته يد التحريف، كما أن هناك بعض الروايات الإسرائيلية التي اختلطت بالموروث الحديثي، لذا كان الاعتماد على القرآن الكريم وجعله المحور والأساس في التفسير، مع الاستفادة من السنة النبوية الشريفة أيضاً في تفسير كتاب الله تعالى، ولكن هذه الاستفادة تكون في ظل القرآن الكريم وليست في معزل عنه، وهذا ما يعني محورية القرآن ومدارية السنة. إن محورية القرآن ومدارية السنة موجودة قديماً في كلمات الرسول وأهل البيت (عليهم السلام)، وحتى في كلمات المفسرين، وهي ليست نظرية حسبنا كتاب الله أو القرآنيين، وهي موجودة عند الفريقين على السواء، وربما لم تكن مذكورة بهذا الاسم، لكن كواقع هي مذكورة بالمعنى المقصود. وسنتناول في هذا المبحث التفاسير المعتمدة هذا الاتجاه، مقسمة على مطلبين: الأول لتفاسير مدرسة الصحابة، والثاني لتفاسير مدرسة الإمامية.

المطلب الأول: التفاسير المعاصرة القائلة بمحورية القرآن ومدارية السنة عند مدرسة الصحابة

سوف نذكر في هذا المطلب التفاسير القائلة بمحورية القرآن ومدارية السنة عند مدرسة الصحابة، والتي بدأنا بها من سنة (١٤٠٤هـ) وتحديداً من التفسير الحديث لمحمد دروزة.

١- التفسير الحديث لمحمد دروزة (ت ١٤٠٤هـ)

هذا التفسير لمحمد عزة دروزة^(١)، وهو في تفسيره الحديث يعتمد محورية القرآن ومدارية السنة، ففي مقدمة هذا التفسير يبيّن ذلك بقوله: ((الاستعانة بالألفاظ

(١) ولد محمد عزة دروزة ليلة السبت الموافقة للحادي عشر من شهر شوال سنة ١٣٠٥ هـ وتوافق آخر شهر حزيران يونيو سنة ١٨٨٨ م في مدينة نابلس الفلسطينية، أبوه عبد الهادي بن درويش إبراهيم بن حسن دروزة، وقد سمع من جده أن أسرته تنسب إلى عشيرة الفريجات التي

ومن الأمثلة على ذلك هو في تفسير قوله تعالى: أأَ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ {المزمل: ١٠ - ١١}، فهو يرى أن الأمر

(١) التفسير الحديث، محمد عزة دروزة، ١ / ٨.

الله- صلى الله عليه وسلم- بيانه عملاً بقوله تعالى: ﴿أَ يَمُومُونَ﴾ {النحل: ٤٤} (١).

فهم يرون أنّ التفسير يُؤخذ من القرآن الكريم، ثم من السنة النبوية الشريفة عن طريق سؤال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

المطلب الثاني: التفاسير المعاصرة القائلة بمحورية القرآن ومدارية السنة عند مدرسة الإمامية

سوف نذكر في هذا المطلب التفاسير القائلة بمحورية القرآن ومدارية السنة عند مدرسة الإمامية، والتي بدأنا بها من سنة (١٤٠٢هـ) وتحديداً من تفسير الميزان للسيد الطباطبائي.

١- الميزان في تفسير القرآن للطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)

ومن أبرز رموز هذا الاتجاه صاحب الميزان العلامة الطباطبائي (٢)، الذي شدد على محورية القرآن وأهميته في تفسير القرآن من خلال اتباعه لمنهج (تفسير القرآن

(١) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م، ١ / ٩.

(٢) هو السيد محمد حسن بن السيد محمد حسين بن الميرزا علي أصغر شيخ الإسلام الطباطبائي التبريزي، ولد في مدينة تبريز في عام (١٣٢١هـ)، وهو من علماء القرن الرابع عشر الهجري، ومن كبار مفسري هذا القرن، ومن أبرز علماء الحوزة العلمية في قم المقدسة، كان يصرف جل وقته لإقامة الندوات العلمية والفلسفية والتفسيرية، وتأليف الكتب باللغة العربية والفارسية، وبأسلوب علمي، وكذلك بالأسلوب السلس الذي يفهمه الجميع، إضافة إلى المقالات في القضايا الفكرية والعقيدية والاجتماعية التي يحتاجها الناس. من آثاره القرآنية: القرآن في الإسلام، والتفسير العظيم الميزان في تفسير القرآن، الذي كتبه المؤلف باللغة العربية (٢٠ مجلداً)،

بالقرآن)، إلا أنه مع ذلك لم يترك البحث الروائي ويسقطه عن الاعتبار. وإنما كل ما في الأمر أنه يُشدد على كون القرآن الكريم هو المحور والأصل في تفسير القرآن الكريم وفي فهم المعارف الدينية.

ويبدو أن السيد الطباطبائي أكثر الشخصيات الشيعية المتأخرة تشددًا في أمر الآحاد والظنون في المجال العقدي، وثمة نصوص بالغة الأهمية له تكشف عن تحفظه الشديد هذا، فهو يرفض بشدة أي شيء اسمه خبر الواحد الظني في العقائد والتفسير، سواء كان تام السند أم ضعيفًا، لهذا فو في الميزان يؤخر البحث الروائي عن البحث التفسيري، على خلاف نسق كبير متعارف في التفسير الشيعي، والذي يستحضر على الدوام النص الروائي في عملية التفسير^(١). وهذا دليل على اعتماده محورية القرآن ومدارية السنة في التفسير.

ولكي نفهم نظرية الطباطبائي لا بدّ من استعراض مواقفه في (الميزان)، وفي الحاشية على بحار الأنوار، فهو يقول: ((لا نعول على الآحاد في غير الأحكام الفرعية على طبق الميزان العام العقلاني الذي عليه بناء الانسان في حياته))^(٢). وفي سياق ردّه على الرواية التي تتحدث عن قلع مدينة قوم لوط من سبع أرضين يقول: ((لا يكفي في ثبوت الأمر الخارق للعادة خبر الواحد))^(٣). ويؤكد الطباطبائي في حاشيته على بحار الأنوار أن لا حجية للآحاد أبدًا لا من طريق الشرع، ولا من طريق العقلاء في غير الفقه^(١).

وتتمت ترجمته إلى الفارسية (٤٠ مجلدًا). [ينظر: معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام، محمد هادي الأميني، الناشر: مطبعة الآداب، النجف، الطبعة الأولى، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، ٢٨٥ وتذكرة الأعيان، جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ، ٤٣٣. والتفسير والتفاسير الحديثة، بهاء الدين خرمشاهي، ٤٨].

(١) ينظر: نظرية السنة في الفكر الإمامي الشيعي، حيدر حب الله، ٧١٠

(٢) الميزان في تفسير القرآن، ٦ / ٥٧

(٣) المصدر نفسه، ١٠ / ٣٤٩

وفي نص حاسم بالغ الأهمية يقول الطباطبائي: ((إن روايات التفسير إذا كانت آحادًا فلا حجية لها، إلا ما وافق مضامين الآيات، والحجية محصورة في الشرعيات، فروايات القصص والتفسير الأحادية غير حجة شرعًا، أما الحجية العقلانية فلا مسرح لها بعد توافر الدس والجعل في أخبار التفسير والقصص، إلا ما تقوم القرائن القطعية... على صحة متنه))^(٢). فأخبار الآحاد لا تكون حجة إلا قامت قرائن قطعية على صحته، ومنها الموافقة لظواهر الآيات. وهذا ما يؤكد أن الروايات تدور مدار القرآن.

ويمنح الطباطبائي الموقف وضوحًا وقاطعية عندما يقول: ((اتضح في علم الأصول اتضاحًا يتلو البداهة أن لا معنى لحجية أخبار الآحاد في غير الاحكام كالمعارف الاعتقادية والموضوعات الخارجية))^(٣).

ويختلف الطباطبائي مع الخوئي، فإذا ذهب الأخير إلى وجود معنى للحجية في الأخبار الأحادية العقائدية بلحاظ بعض الآثار على مسلك العلمية والطريقة، فإن الطباطبائي لا يرى أي معنى لجعل غير العلم علمًا في غير الفروع العملية، ولا أثر كذلك لهذه المقولة، وإذا كان هذا الأثر موجودًا في الموضوعات الخارجية فهو جزئي ومحدود، والحال أن الشارع سبحانه يقوم بناؤه على الكليات^(٤).

لكن كيف هو المنهج للتعامل مع أخبار الآحاد غير الشرعية وهي كثيرة جدًا؟ الجواب عند الطباطبائي جاهز كذلك^(٥)، فالقاعدة عنده على الشكل التالي: أما الكتاب والسنة القطعية فنأخذ بها لزامًا، وأما الخبر المخالف لهما فنطرحه لزومًا، أما

(١) الحاشية على بحار الأنوار، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان،

الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م، ٦ / ٣٢٦

(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، ٩ / ٢١١ - ٢١٢

(٣) الميزان في تفسير القرآن، ١٤ / ١٣٣

(٤) المصدر نفسه، ١٠ / ٣٥١ - ١٤ / ٢٥

(٥) ينظر: نظرية السنة في الفكر الامامي الشيعي، حيدر حب الله، ٧١١

غير ذلك فلا دليل على قبوله أو رده، لكن ذلك لا يوجب طرحه حتى لو كان فاسد السند، ما لم يخالف العقل أو النقل الصريح^(١).

ومن هنا تظهر مسألة معيار حجية الحديث، فالمهم في غير الفقه موافقة الكتاب لا صحة السند^(٢)، فلا حجية لخبر في غير الأحكام إلا مع هذه الموافقة^(٣).

وفي نص دال هنا يقول الطباطبائي: ((وأما ترك البحث عن موافقة الكتاب، والتوغل في البحث عن حال السند - إلا ما كان للتوصل إلى تحصيل القرائن - ثم الحكم باعتبار الرواية بصحة سندها ثم تحميل ما يدل عليه متن الرواية على الكتاب، واتخاذها تبعاً لذلك كما هو دأب كثير منهم فمما لا سبيل إليه من جهة الدليل))^(٤). وهو بهذا يؤكد على وجوب موافقة الرواية للكتاب، فالروايات يجب أن تدور مدار القرآن، فهي مؤكدة لفهم الآيات الكريمة.

يعتمد العلامة الطباطبائي منهج تفسير القرآن بالقرآن^(٥)، وهذا المنهج - منهج تفسير القرآن بالقرآن - يرى المعتقدين به بأنه هو المنهج الأكمل والأتم الذي ينبغي أن يُسلك في تفسير القرآن، ويجب الإلتزام به فإن القرآن في ضوء هذا المنهج يفسر بعضه بعضاً، ويُصدق بعضه بعضاً، ويشهد بعضه على بعض^(٦).

ولقد أكد العلامة الطباطبائي على اعتماده هذا المنهج في أكثر من مورد من كلامه منها: في مقدمة تفسير الميزان بعد أن استعرض بعض المناهج التي سلكها

(١) الميزان في تفسير القرآن، ١ / ٢٩٣

(٢) المصدر نفسه، ٩ / ٢١٢

(٣) المصدر نفسه، ٥ / ٢٦٥

(٤) الميزان في تفسير القرآن، ٩ / ٢١٢

(٥) ينظر: الطباطبائي ومنهجه في تفسيره الميزان، علي الاوسي، الناشر: معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية في منظمة الإعلام الاسلامي، طهران - ايران، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ١٢٥ وما بعدها.

(٦) ينظر: مناهج تفسير القرآن، من أبحاث السيد كمال الحيدري، بقلم الدكتور طلال الحسن، مؤسسة الهدى للطباعة والنشر، لبنان - بيروت، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٣ م، ٤٠.

والمورد الآخر: في تفسيره لقوله تعالى: أ
 نى ني ير ين
 تجتج تـ تهـ ثـ جم حم خم سم
 ((آل عمران: ٧))، حيث يقول في ختام البحث: ((والمحصل أنّ المنهي عنه إنّما هو الاستقلال في تفسير القرآن واعتماد المفسر على نفسه من غير رجوع إلى غيره ولازمه وجوب الاستمداد من الغير بالرجوع إليه وهذا الغير لا محالة إما هو الكتاب أو السنة وكونه هي السنة ينافي القرآن ونفس السنة الآمرة بالرجوع إليه وعرض الاخبار عليه فلا يبقى للرجوع إليه والاستمداد منه في تفسير القرآن إلا نفس القرآن))^(٦). فهذه العبارات من العلامة الطباطبائي - ويوجد غيرها أيضاً - تدل على

(٦) الميزان في تفسير القرآن، ٣ / ٧٧ .

كونه يتبنى كون القرآن الكريم هو المصدر الوحيد لاستنباط المعارف الدينية، مما جعل البعض يتوهم بأن العلامة الطباطبائي يُلغي السنة عن الاعتبار، ولكن هناك ما يثبت خلاف ذلك من كلمات العلامة الطباطبائي نفسه.

إن النظرية التي يعتمدها العلامة الطباطبائي هي نظرية (محورية القرآن ومدارية السنة)، وجعل المحورية للقرآن لا يلغي الرجوع إلى المصادر الأخرى لا سيما الروايات، ولكن الدور الأساس والمحوري يكون للقرآن والدور الثانوي - إن صح التعبير - يكون للسنة، حيث تمارس السنة دورين مهمين وهما:

أولاً: الدور التوكيدي: بمعنى أنّ الرواية تؤدي دوراً توكيدياً لما أسسه الفهم القرآني للقرآن.

ثانياً: الدور التعميقي: بمعنى تعميق الفهم القرآني، فالرواية كثيراً ما تُلفت النظر التفسيري إلى مراتب معرفية قد يعسر الوصول إليها بدونها^(١).

ولكن هذا الدور التوكيدي والتعميقي لا يخرج الروايات عن دورها المداري، والمدارية في المقام اصطلاح خاص يقع في قبال اصطلاح تأخري تمثل بمجموعها النظريات المعتمدة في القراءة الدليلية للقرآن، وإنّ من يؤمن بهذا المنهج يعتقد بأنّ هذه النظرية (محورية القرآن ومدارية السنة الشريفة) هي النظرية الصحيحة في المقام التي تُحفظ بها كرامة القرآن وأهمية السنة ودورها في العملية التفسيرية^(٢).

من هنا نجد العلامة الطباطبائي يعبر عن القرآن الكريم بعبارة المصدر الأساس، كما ذكر ذلك في كتابه (الشيعا في الإسلام) بقوله: ((يعتبر كتاب الله

(١) ينظر: منطق فهم القرآن، ١ / ٥١ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ١ / ٥١ - ٥٢ .

صاحب التفسير هو السيد محمد باقر الحكيم^(١)، وهو من التفاسير التي قالت بمحورية القرآن ومدارية السنة، إذ أوضح ذلك عندما ذكر الأسس والمعالم التي تحكم منهجه في التفسير، إذ ذكر من هذه الأسس ((روح القرآن الكريم العامة التي تمثل أصلاً في فهم القرآن الكريم والتفاصيل الموجودة فيه، وقرينة على فهم هذا النص أو ذاك في القرآن الكريم. كما نقصد من هذا أيضاً اننا وإن احتجنا في بحث القرآن الكريم إلى كثير من النصوص المأثورة عن المعصومين (عليهم السلام) لفهمه وتوضيح المراد منه، ولكن الأصل هو القرآن الكريم الذي يجب إرجاع النصوص إليه عند الاختلاف، إذ هو المرجع لتقييم هذه النصوص والحكم عليها))^(٢). فهو يرى أن النصوص المأثورة عن المعصومين وإن أحتيج لها في تفسير الآيات الكريمة، إلا أن

(١) السيد أبو صادق، محمد باقر بن السيد محسن بن السيد مهدي الطباطبائي الحكيم، وينتهي نسبه إلى الإمام الحسن المجتبي بن الإمام علي بن أبي طالب (عليهم السلام). ولد السيد الحكيم في الخامس والعشرين من جمادى الأولى ١٣٥٨ هـ بمدينة النجف الأشرف. تلقى علومه الأولية في كتاتيب مدينة النجف الأشرف، ثم دخل في مرحلة الدراسة الابتدائية في مدرسة منتدى النشر الابتدائية، حيث أنهى فيها الصف الرابع، ونشأت عنده الرغبة في الدخول في الدراسات الحوزوية بصورة مبكرة، فبدأ بالدراسة الحوزوية عندما كان في الثانية عشر من عمره. عُرف منذ سنٍّ مبكر بنبوغه العلمي، وقدرته الذهنية والفكرية العالية، فحظي باحترام كبار العلماء والأوساط العلمية، كما نال في أوائل شبابه من الشيخ مرتضى آل ياسين شهادة اجتهد في علوم الفقه وأصوله، وذلك عام ١٣٨٣ هـ. بعد أن نال السيد الحكيم مرتبة عالية في العلم بفروعه وفنونه المختلفة، مارس التدريس لطلاب السطوح العالية في الفقه والأصول، وكانت له حلقة للدرس في مسجد الهندي بمدينة النجف الأشرف، وعُرف بقوة الدليل، وعمق الاستدلال، ودقة البحث والنظر، فتخرّج على يديه علماء انتشروا في مختلف أنحاء العالم الإسلامي. له مؤلفات كثيرة منها: علوم القرآن، والحكم الإسلامي بين النظرية والتطبيق، والهدف من نزول القرآن. وتفسير سورة الحمد، وغيرها، وفي غرة رجب ١٤٢٤ هـ، وبعد إقامته لمراسم صلاة الجمعة الرابعة عشر في الصحن الحيدري للإمام علي (عليه السلام)، وفي طريق عودته إلى داره، تعرّض (قدس سره) إلى عمل جبان، حيث انفجرت سيارة مفخخة أدت إلى استشهاده. { شبكة الأنترنت، موقع: السيد محمد باقر الحكيم - أعلام الشيعة الإمامية، الرابط <https://alolmaa.wordpress.com> }.

(٢) تفسير سورة الحمد، السيد محمد باقر الحكيم (ت ١٤٢٥ هـ)، الناشر: مجمع الفكر الاسلامي، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ، ١١٠.

الأصل في التفسير هو القرآن نفسه، الذي يجب أن ترجع إليه هذه النصوص، فهذه النصوص تكون في أثر القرآن وليست مستقلة عنه.

وقد وردت روايات كثيرة تؤكد على مرجعية القرآن الكريم في فهم النصوص والحكم عليها، من قبيل قول الصادق (عليه السلام) ((ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف))^(١). وعنه (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((إنَّ على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نورًا، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه))^(٢). فهذه الروايات وغيرها، تؤكد على أهمية الرجوع إلى القرآن الكريم، فهو المصدر والمرجع الذي يُرجع إليه في فهم المعاني القرآنية.

٣- من وحي القرآن لمحمد حسين فضل الله (ت ١٤٣١هـ)

أما صاحب تفسير من وحي القرآن فهو السيد محمد حسين فضل الله^(٣)، ويذكر صاحب التفسير أنه حاول أن يعيش القرآن في عقله وقلبه وحياته، في فهم آياته، واستichاء أفكاره. ليشعر أنّ القرآن يعالج كل الأوضاع الحياتية. كما كان المسلمون

(١) الكافي، الكليني، ١ / ٦٩ باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب.

(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٢٧ / ١١٠.

(٣) هو العلامة السيد محمد حسين ابن السيد عبد الرؤوف فضل الله، أحد العلماء البارزين المعاصرين والمجاهدين اللبنانيين من الشيعة الامامية. ولد في سنة ١٣٥٤ هـ في مدينة النجف الاشرف، ودرس فيها بإشراف والده الذي كان من العلماء الكبار. وتتلّمذ في مرحلة السطح عند أساتذة كرام، منهم الشيخ مجتبی اللنكراني ووالده، وفي مرحلة الخارج عند الامام المرجع الديني السيد ابو القاسم الخوئي، والشيخ حسين الحلي والسيد محمد الروحاني، وغيرهم من الأساتذة الكبار في الحوزة العلمية في النجف الاشرف، وفي نفس الوقت كان يدرّس الكتب الدراسية الحوزوية الشيعية، مثل الكفاية والمكاسب. رحل من النجف الى لبنان - بعد إقامة ثلاثين سنة فيها - وأقام فيها وأخذ على عاتقه التدريس والوعظ والارشاد والخدمات العامة والتحقيق والمشاركة في المؤتمرات العلمية في لبنان و خارجها. له مؤلفات كثيرة، منها: من وحي القرآن، قضايا على ضوء الإسلام، أسلوب الدعوة في القرآن، والحوار في القرآن، وغيرها. وتوفي في لبنان سنة ١٤٣١ هـ. { ينظر: المفسرون حياتهم ومنهجهم، محمد علي إيازي، ٧٥٤ }.

وهو يرى أن القرآن الكريم هو الأساس لتأصيل عقيدة التوحيد، والنبوة، واليوم الآخر، وما يتصل بذلك من الإمامة، والولاية، والصفات الإلهية، وغير ذلك. وبالتالي فإن أي خروج عن ظواهر مراده يجب أن لا يكون إلا بدليل قطعي من السنة. ويقول: ((إذا كنا نؤكد على أصالة القرآن المنفتح على السنة الثابتة بالحجة التي لا تقبل الشك، فإنّ علينا أن نعتبر عناوينه في الجانب التشريعي هي الأساس في وعي السنة في عناوينها التي تمثل التفصيل للعناوين القرآنية لتكون هي الأساس في حركة التشريع في الدراسة الفقهية، وليس العكس؛ لأن السنة لا تغير عنوان الحكم القرآني إلى عنوان آخر، بل تعمل على تفصيله وتوضيحه بما يرفع غموضه وإجماله إن كان فيه إجمال وغموض))^(٢). فعلى ذلك فإن الروايات تكون بمستوى المدارية للآيات القرآنية، لأنها توضح وتعمق فهم الآيات الكريمة.

وقد ذكر حيدر حب الله ما أشار إليه السيد محمد حسين فضل الله حول ذلك عند حديثه عن نظرية البطون وبنية الخطاب القرآني نظرية العلامة فضل الله أنموذجاً، فيرى أن من أهم ما يمكن أن يستند إليه في نظرية البطون هو ما دلّ على أنّ القرآن فيه تبيان لكل شيء، وقد ورد التصريح بذلك في جملة من الآيات والروايات، فإنّه لا يمكن فهم البيانية التامة لكل شيء إلا بفرض نصٍّ يحمل بطونًا لا متناهية، تبعًا لكثرة مصاديق عنوان (كلَّ شيء). إلى جانب ذلك، قد يستدلُّ بما جاء في القرآن الكريم من أمر التأويل وأنّه لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم، قال تعالى:

أَمْ يَلْمِزُكَ الْفَرَقَ بَيْنَ الَّذِينَ يُؤْتُونَ الْحَرْثَ بِالْحَبِّ وَالَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ إِلَّا فِي سَنٍ مُّبِينَةٍ أَمْ يُلْقُوا إِلَيْكَ كِتَابَهُمْ فَيَقُولُ لِمَا نَحْنُم بِمَا تُبَيِّنْ لَهُمْ قُلْ إِنَّمَا أَنذِرُ الْمَنِيعَةَ

﴿٧﴾ {آل عمران: ٧}، فَإِنَّ

(٢) تفسير من وحي القرآن، ١ / ١٩ .

هذه الآية تفرض للقرآن تأويلاً، والتأويل هو اختراق الظاهر القرآني إلى ما هو أعمق، فيثبت بذلك وجود بطون للكتاب العزيز وهذه البطون تبينها السنة^(١).
فالسيد فضل الله يريد هنا بناء فكرة الاستيحاء تارةً على المقاربة والمقارنة بين النصوص القرآنية، وأخرى على الربط بين المعاني والمفاهيم المأخوذة من القرآن الكريم، وربما ثالثة على فكرة الذوق التفسيري الذي يملكه المفسر من خلال خبرته بالنص القرآني تماماً كما يملك الفقيه ذوقاً فقهياً أو شماً فقهياً كما يقولون، من هنا كان السيد فضل الله ميّالاً للجمع بين بطون اللفظ وبطون المعنى بالطريقة الخاضعة لنظام اللغة^(٢).

٤- تسنيم في تفسير القرآن لعبد الله الآملي

صاحب التفسير هو عبد الله الجواد الآملي^(٣)، وهو من التفاسير التي قالت بمحورية القرآن الكريم ومدارية السنة في التفسير، إذ جاء في كلمة الناشر: ((من

(١) ينظر: نظرية البطون وبنية الخطاب القرآني نظرية العلامة فضل الله أنموذجاً، حيدر حب الله، الموقع الرسمي لحيدر حب الله. مقال على الرابط <https://hobbollah.com/articles/>
(٢) ينظر: نظرية البطون وبنية الخطاب القرآني نظرية العلامة فضل الله أنموذجاً، حيدر حب الله

(٣) هو الفيلسوف والفقيه والمفسر آية الله العظمى الشيخ عبد الله الجواد الطبري الآملي ، وهو من كبار أساتذة الدراسات العليا في الحوزة العلمية في قم المشرفة ومن مراجعها العظام. ولد في سنة ١٣٥١ هـ في مدينة آمل شمالي إيران. بدأ دراسة العلوم الدينية على يد والده الذي كان من علماء الدين في مدينة آمل ، وكذلك على يد أساتذة الحوزة العلمية في مدينة آمل، وخلال خمس سنوات أكمل مرحلة المقدمات والسطوح. في سنة ١٣٦٩ هـ شد الرحال إلى طهران وتابع دراسته في مدرسة مروية خمس سنوات. بعد هذه السنوات التي قضاها في طهران اختار الهجرة الى مدينة قم المقدسة ليكمل مشواره العلمي هناك، فاستقر بها حتى اليوم وهو أحد أركانها البارزين. بعد انتصار الثورة الإسلامية تولى عدة مسؤوليات مهمة، فكان عضواً في المجلس الأعلى للقضاء، وأيضاً في مجلس خبراء تدوين الدستور، وأيضاً في رابطة مدرسي الحوزة العلمية بقم، وأيضاً في مجلس خبراء القيادة. وتولى إمامة الجمعة لسنوات طويلة لمدينة قم المقدسة. من مؤلفاته: تسنيم في تفسير القرآن، ومعارف القرآن من خلال الحواميم السبع، ونظرية المعرفة في

الملاحظات البارزة في هذا التفسير بيانه مكانة كل من الثقلين: الأكبر (القرآن) والأصغر: (الروايات)، وكيفية ارتباط أحدهما بالآخر في تفسير القرآن الكريم^(١).
كما أن صاحب التفسير يرى أن إهمال أحدهما هجر للآخر، وإن الانسجام الكامل والتصديق والتأييد المتبادل ملحوظ في الثقلين. ويرى وجوب البحث والابتداء قبل كل شيء في القرآن الكريم، فهو تبيان كل شيء بغض النظر عن أي كلام آخر حتى الروايات، فنقدم تفسيراً قرآنياً محضاً. لكن في هذه المرحلة لن يكون لدينا ما هو حجة في العقيدة والأحكام والأخلاق؛ لأنه ما لم تُضم العترة إلى القرآن فإن نصاب الحجة لن يكتمل. وعليه فإنّ هذا التفسير وقبل النظر إلى أي كلام، يتم النظر مباشرة إلى الآيات الإلهية وحدها كي يتحقق تفسير القرآن بالقرآن، وعندها يُنظر إلى كلام العترة وروايات الأئمة (عليهم السلام) بنحو مستقل إلى جانب الآيات، وبذلك تحصل لنا فائدة مهمة هي أن المفسر يفكر بعمق أكثر في فهم المعاني التفسيرية، وكذلك يلمس الانسجام والتصديق المتبادل الموجود بين الآيات والروايات ويتعد عن الطريقة التي يتم فيها فرض الروايات على الآيات، والذي يؤدي إلى سد طريق الفكر والابداع بواسطة تضيق وتحجير المفاهيم القرآنية^(٢).

ويرى أن روايات المعصومين (عليهم السلام) تابعة للقرآن الكريم في أصل حجيتها وفي تأييد مضمونها ومحتواها أيضاً. أما في أصل الحجة، فإن حجة سنة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو القرآن الكريم، الذي يُرجعُ المسلمين إليه في آيات عديدة كقوله تعالى: أأ □ □ ج ل ح {النساء: ٥٩}، وقوله تعالى: أأ □ □ يم ي □ □ □ □ {النحل: ٤٤}، وعليه فإنّ حجة قيمة

القرآن الكريم، وتفسير سورة إبراهيم، وغيرها. { شبكة الأنترنت، الشيخ عبدالله الجوادى الآملى - مركز الإشعاع الإسلامى/ <https://www.islam4u.com/ar/authors/>.

(١) تسنيم في تفسير القرآن، العلامة الشيخ عبد الله الجوادى الطبري الآملى، تعريب: السيد عبد المطلب رضا، تحقيق: الشيخ محمد عبد المنعم الخاقاني، دار الإسراء للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م، ١ / ٢٤ .

(٢) ينظر: تسنيم في تفسير القرآن، ١ / ٢٤ - ٢٥ .

الصادر من النبي والأئمة (عليهم السلام) هو ببركة القرآن الكريم. أما حجّة القرآن الكريم فهي ذاتية ولم تحصل من مصدر آخر^(١). وهذا يعني أن السنة حجيتها من القرآن الكريم فهي تدور مدار القرآن، وبهذا فهي ليست مستقلة عنه.

٥- الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل للشيرازي

هذا التفسير هو للشيخ ناصر مكارم الشيرازي^(٢)، وفيه يتبع نفس المنهج، فبعد حديثه عن التفسير بالرأي وبيانه أنّ هذا اللون ليس بتفسير، وإنما هو قسر وفرض وتحميل، وإنه ليس بهداية، وإنما هو الضلال. بيّن منهجه في التفسير فقال: ((ونحن في منهجنا التفسيري سوف لا ننحو - بإذن الله - هذا النحو، بل نتجه بكل قلوبنا وأفكارنا نحو القرآن لنتتلمذ عليه، لا غير))^(٣). فهو يؤكد على ضرورة الرجوع إلى القرآن نفسه في التفسير.

(١) ينظر: المصدر نفسه، ١ / ١١٢ .

(٢) هو العلامة الشيخ ناصر المكارم الشيرازي، أحد أعلام العصر، ومن المجاهدين في سبيل الدعوة الإسلامية، صاحب نظر ورأي وإجتهد، ومن العلماء والمدرسين والباحثين النشيطين في الحوزة العلمية والدينية للشيعة الاثني عشرية ببلده قم. ولد في ٢٢ شعبان ١٣٤٧ هـ، ببلدة شيراز من المدن المعروفة في إيران، وتدرج في سلم الدراسة الأكاديمية حتى الثانوية فيها، ثم اتجه الى العلوم الدينية في مدارس شيراز، ثم رحل الى مدينة قم، وأقام فيها واستفاد من الاساتذة الكبار، منهم آية الله البروجردي، والعلامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان وغيرهما حتى نال درجة الاجتهاد. في أثناء التحصيل، اشتغل بالتدريس والتأليف. وكان من أهل التفنن في العلوم والمعارف الاسلامية، وصاحب تأليفات كثيرة، وأخذ على عاتقه الإجابة على الاسئلة الدينية في هذا العصر، له مصنفات عديدة، منها: القواعد الفقهية، وأنوار الفقاهاة، بيام قرآن، تعليقات العروه، وغيرها. { ينظر: المفسرون حياتهم ومنهجهم، محمد علي إيازي، ١٥١ }.

(٣) الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ١ / ٨ .

وعند النظر في هذا التفسير يتبين لنا جلياً استخدامه هذا المنهج في تفسيره
للآيات الكريمة، ثم يعطي دوراً توكيدياً للسنة الشريفة في بيان معنى الآية عن طريق
الاستشهاد بأحاديث النبي والأئمة المعصومين (عليهم السلام).

فمثلاً في تفسير الصراط المستقيم يرى أن هذا الصراط كما يبدو من تفحص
الآيات القرآنية الأخرى هو دين التوحيد والالتزام بأوامر الله. ولكنه ورد في القرآن
بتعابير مختلفة. منها:

الدين القيم ونهج ابراهيم (عليه السلام) ونفي كل أشكال الشرك، كما في قوله
تعالى: أأ ير □ □ ين □ □ □ □ □ □ **بج** □ □ بج □ بج
به **{الأنعام: ١٦١}**، فهذه الآية الكريمة وضحت الصراط المستقيم من جنبه
أيدولوجية^(١).

وهو أيضاً رفض عبادة الشيطان والاتجاه إلى عبادة الله وحده، كما في قوله
تعالى: أأ □ □ □ □ □ □ **بن** □ □ بي □ تر □ □ تن □ تي
□ □ □ **{يس: ٦٠ - ٦١}**، وهذه فيها إشارة إلى الجنبه العملية للدين^(٢).

أما الطريق إلى هذا الصراط المستقيم فيتم من خلال الاعتصام بالله تعالى
لقوله: أأ □ □ □ □ □ □ **نم** □ □ □ □ **{آل عمران: ١٠١}**، ويرى أن الصراط
المستقيم في المفهوم القرآني، هو الدين الإلهي في الجوانب العقائدية والعملية، ذلك
لأن هذا الدين أقرب طريق للارتباط بالله تعالى. ومن هنا أيضاً فإن الدين الحقيقي
واحد لا أكثر **أ □ □ بر □ □ **بن** □ □ {آل عمران: ١٩}**^(٣).

ويتبين أن التفاسير المختلفة للصراط المستقيم، تعود كلها إلى معنى واحد. فقد
قالوا: إنه الإسلام، إنه القرآن، إنه الأنبياء والأئمة، إنه دين الله الذي لا يقبل سواه.
وهذه المعاني كلها تعود إلى نفس الدين الإلهي في جوانبه الاعتقادية والعملية. ثم
يستشهد بالروايات الموجودة في المصادر الإسلامية، والتي تشير إلى جوانب متعددة
من هذه الحقيقة الواحدة، وجميعها تعود إلى أصل واحد، ومنها:

(١) ينظر: الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ١ / ٥٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ١ / ٥٦.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ١ / ٥٦.

عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): ((اهدنا الصراط المستقيم صراط
الذين أنعمت عليهم صراط الأنبياء وهم الذين أنعم الله عليهم))^(١).
وعن جعفر الصادق (عليه السلام) في تفسيره للآية قال: الصراط هو معرفة
الإمام^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام أيضاً قال: ((الصراط المستقيم أمير المؤمنين
عليه السلام))^(٣). ومن الواضح أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأئمة
أهل البيت (عليهم السلام)، دعوا جميعاً إلى دين التوحيد الإلهي، والالتزام به
عقائدياً وعملياً^(٤).

٦- الباب في تفسير الكتاب للسيد كمال الحيدري

ونرى أن السيد كمال الحيدري^(٥)، قد ذكر أن الاتجاه الذي يؤمن به هو محورية
القرآن ومدارية السنة، فقال: ((القرآن هو المحور والمصدر الأصلي في جميع

(١) الحقائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، العالم البارع الفقيه المحدث الشيخ يوسف
البحراني (ت ١١٨٦هـ)، تحقيق وتعليق وإشراف: محمد تقي الإيرواني، الناشر: مؤسسة النشر
الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران، ٨ / ١٠٧.

(٢) ينظر: التفسير الصافي، الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)، تحقيق: صححه وقدم له وعلق
عليه العلامة الشيخ حسين الأعلمي، الناشر: مكتبة الصدر، طهران، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ -
١٣٧٤ش، ١ / ٨٥.

(٣) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الناشر:
مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٣٧٩هـ - ١٣٣٨ش، ٣٢.

(٤) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ١ / ٥٧.

(٥) هو كمال بن باقر بن حسن الحيدري ولد في مدينة كربلاء في العراق في عام ١٣٧٦هـ،
الموافق لعام ١٩٥٦م، وكان والده أحد تجار القماش في المدينة وأتم دراسته الابتدائية والمتوسطة
والثانوية في المدارس الرسمية فيها، ثم انتقل إلى النجف في عام ١٩٧٤م وأكمل دراسته
الأكاديمية في كلية الفقه، حائزاً على شهادة البكالوريوس في العلوم الإسلامية عام ١٩٧٨م، ثم
هاجر إلى الكويت عام ١٩٨٠م بسبب ملاحقة السلطة آنذاك له، وبعدها إلى دمشق في سوريا
وبقي فيها قرابة أربعة أشهر، ثم غادر بعدها إلى إيران عن طريق تركيا وعاش في مدينة قم. }

معارفنا الدينية، بل هو المصدر الأوّل والأخير فيها، فلا يقع في قبالة أيّ شيء آخر في تشكيل وتبيين الأطر والقواعد والأسس والقوانين الدستورية في المنظومة الإسلامية، وأمّا الحديث أو السنّة فتأتي في طوله وفي ظلّه^(١). وبهذا فهو يرى ضرورة عرض الروايات على القرآن لمعرفة مدى مطابقتها للقوانين الدستورية القرآنية.

وقد أكد ذلك في تفسيره (اللباب)، فهو بعد أن ذكر أن أحسن طرق التفسير هو أن يُفسّر القرآن بالقرآن، وذكر الأمثلة على ذلك من القرآن وبعض أقوال المعصومين (عليهم السلام)، التي تؤيد ذلك، إلّا أنه يرى أن التفرد في اعتماد القرآن لفهم القرآن لا يلغي الرجوع إلى المصادر الأخرى، لا سيّما الروايات التفسيرية؛ لأنها تؤكد الفهم القرآني للقرآن، وأحيانًا تعمق الفهم القرآني، ففي كثير من الأحيان تُلفت الرواية النظر التفسيري إلى مراتب معرفية قد يعسر الوصول إليها بدونها^(٢). فالسنّة النبوية إما تؤكد فهم القرآن الكريم، أو تعمق فهمه، وفي بعض الأحيان لا يمكن فهم معنى الآية دون الرجوع للسنّة النبوية.

وقد بيّن السيد الحيدري محورية القرآن ومدارية السنّة، عند حديثه عن العلاقة المترابطة بين تفسير القرآن بالقرآن، وبين دور السنّة في عملية التفسير، فهو يرى أنّ هذا المنهج وإن كان يُعتقد أنه يمكن الاستمداد بالقرآن لفهم القرآن؛ لأن القرآن يفسر بعضه بعضًا، إلّا أن السؤال المطروح هو: هل ذلك ميسر لكل أحد من غير توجيه وهداية من بيانات الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، وأئمة أهل البيت (عليهم السلام)؟ ويجيب على هذا السؤال: بأن لولا هداية وبيان هؤلاء (عليهم السلام)

ينظر: السيد كمال الحيدري سيرته، منهجه، آثاره، الدكتور حميد مجيد هدو، الناشر: مؤسسة الهدى للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، ١ / ١١ - ٤٠.

(١) اسلام القرآن واسلام الحديث، ملخص المشروع الاصلاحى للسيد كمال الحيدري، بقلم الدكتور طلال الحسن، ٥٥

(٢) ينظر: اللّباب في تفسير الكتاب، السيد كمال الحيدري، دار فراق للطباعة والنشر، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ١ / ٣٢.

للمنهج الذي ينبغي اتخاذه لاستخراج معارف القرآن الكريم، لما أمكن ذلك^(١). وهذا هو المقصود بمحورية القرآن ومدارية السنة في تفسير الآيات القرآنية المباركة.

المبحث الخامس: الرأي الراجح في محورية القرآن ومدارية السنة

المطلب الأول: رأي المفسرين تجاه السنة والروايات

المطلب الثاني: القرآن الكريم هو المرجع العام للرسالة
الإسلامية

(١) ينظر: اللباب في تفسير الكتاب، ١ / ٣٦

المطلب الأول: رأي المفسرين تجاه السنة والروايات

ذكر المفسرون المعاصرون العديد من الآيات القرآنية الكريمة التي تدل على فعالية السنة الشريفة وعدم تعطيلها، منها:

- ١- قوله تعالى: أَمْ يَكْفُرُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّجْمِ وَالْشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ﴿٤٤﴾ {النحل: ٤٤}.
- فيرى محمد جواد مغنية في تفسير الآية أنّ الخطاب موجه للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، والذكر هو القرآن، وأنّ المراد من إرسال الرسل وإنزال الكتب هو هداية الناس إلى الحق والعدل، وإلى حياة الأمن والرخاء^(١). ويقول سيد قطب في تفسير الآية ((أو المعاصرون الذين جاءهم القرآن والرسول - صلى الله عليه وسلم - يبينه لهم ويشرحه بفعله وقوله))^(٢). والآية الكريمة تدل على دور ووظيفة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، في تبين القرآن، وأنّ تبين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا بد أن يكون عامّاً لجميع الأزمنة، ولا يختص بزمنٍ معينٍ. فبيان النبي للقرآن هو تبليغه ونشره وإيصاله للأمة، بالإضافة إلى شرح وتفسير ما خُفي معناه عليهم.
- ٢- قوله تعالى: أَمْ نَجْعَلُ الْأَشْيَاءَ أَحْيَاءً وَالْأَحْيَاءَ مَوْتًا ﴿٢﴾ {الجمعة: ٢}.
- يرى الطباطبائي في قوله (يعلمهم الكتاب والحكمة)، أن تعليم الكتاب هو بيان ألفاظ آياته وتفسير ما أشكل عليهم منها، وتعليم الحكمة هي بيان المعارف الحقيقية التي يتضمنها القرآن الكريم^(٣).

(١) ينظر: التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، ٤ / ٥١٧.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤ / ٢١٧٣.

(٣) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ١٩ / ٢٦٢.

وجاء في التفسير الوسيط للسيد طنطاوي، أن المراد بالكتاب يعني القرآن، والمراد بتعليمه أي بيان معانيه وحقائقه، وشرح أحكامه وأوامره ونواهيه، والمراد بالحكمة معناه العلم النافع، المصحوب بالعمل الصالح، وفي وضعها إلى جانب الكتاب إشارة إلى أنّ المقصود بها السنة النبوية المطهرة، إذ بالكتاب وبالسنة، يعرف الناس أصلح الأقوال والأفعال، وأعدل الأحكام وأقوم الآداب، وأسمى الفضائل^(١).

وجاء في تفسير الأمل أنَّهُ يمكن أن يكون الفرق بين (الكتاب والحكمة) هو أنّ الكتاب أشار به إلى القرآن الكريم والحكمة أشار بها إلى سنة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). وأيضاً يمكن أن يكون الكتاب إشارة إلى أصل العقائد والأحكام الإسلامية، والحكمة إشارة إلى فلسفتها وأسرارها^(٢). فللنبي أثر في تعليم الكتاب، ويعلمهم الكتاب، أي يفسره لهم، فهو يعلمهم تفسير الألفاظ، ويعلمهم المعارف الحقيقية. وبهذه الآية يتضح أنّ النبي وأهل البيت (عليهم السلام) الذين هم عدل القرآن، لهم دورٌ مهم وهو تعليم الكتاب.

٣- قوله تعالى: أُرِى الْقُرْآنَ يُرَى الْيَوْمَ يَظْهَرُ أَيْنَ كَانَ الْمُنَافِقُونَ {الحشر: ٧}. يرى محمد دروزة في تفسير الآية، بالرغم من أنّ هذه الجملة جاءت لتدعم تشريع الفيء الذي احتوته الجملة السابقة لها ثم لتوطيد سلطة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في ذلك فإنّها جاءت في صيغة مطلقة فصارت تشريعاً عام الشمول بوجوب اتباع أوامر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ونواهيه وسننه القولية والفعلية كجزء من العقيدة الإسلامية^(٣). وبهذا يتبين أنّ كل حكم أتى به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، سواء كان في دائرة الأمر أو النهي يجب الأخذ به.

٤- قوله تعالى: أُرِى الْقُرْآنَ يُرَى الْيَوْمَ يَظْهَرُ أَيْنَ كَانَ الْمُنَافِقُونَ {الأحزاب: ٢١}. والأسوة الحسنة تعني القدوة الصالحة، أي لكم برسول الله اقتداء^(٤). وجاء في الميزان ((الأسوة القدوة وهي الاقتداء والاتباع ، وقوله : (في رسول الله) أي في مورد رسول

(١) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ١٤ / ٣٧٦.

(٢) ينظر: الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ١٨ / ٢٢٠.

(٣) ينظر: التفسير الحديث، محمد عزة دروزة، ٧ / ٣١١.

(٤) ينظر: تفسير مقتنيات الدرر، الحائري الطهراني، ٨ / ٢٩٢.

الله والأسوة التي في مورده هي تأسيسهم به واتباعهم له والتعبير بقوله : (لقد كان لكم (الدال على الاستقرار والاستمرار في الماضي إشارة إلى كونه تكليفاً ثابتاً مستمراً))^(١). والواضح أنّ الآية الكريمة لم تبين أنّه لا مجال للاقتداء بغير القرآن، وكل ما وراء القرآن لا مجال للاقتداء به، وإنما أكدت على الاقتداء بالرسول (عليه الصلاة والسلام).

ومقتضى هذه الآيات الكريمة - وغيرها كثير - تدل على أنّ السنة النبوية غير معطلة، وأنّه لا بد من الاستعانة بالسنة في تفسير القرآن الكريم.

المطلب الثاني: القرآن الكريم هو المرجع العام للرسالة الإسلامية

إنّ القرآن الكريم هو المرجع الأوّل والمصدر العام للرسالة الإسلامية بكلّ أبعادها. والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ومنها العقيدة والشريعة الإسلامية والسُنن التاريخية والنظرة العامّة للكون والحياة والمجتمع والسلوك الإنساني. والسنة النبويّة وإن كانت تمثّل المرجع الآخر، إلّا أنّ القرآن الكريم يمتاز على السنة النبويّة في ثبوته بنصّه يقيناً وفي قدسيّته باعتباره الكلام الإلهي، ومن ثمّ يكون المرجع للسُنّة عند الشك في ثبوت مضمونها أو نصّها، ولا يقبل من الحديث إلّا ما كان موافقاً للقرآن الكريم. وهناك الكثير من الأمور التي أثبتت المرجعية للقرآن الكريم، نذكر منها:

١ - إنّ القرآن الكريم يمثّل شاهداً على الحق والباطل في مضمون الأحاديث والروايات التي تُنسب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أو أهل البيت (عليهم السلام)، حيث يمكن من خلاله تمييز الحق من الباطل. فعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((إنّ على كلّ حق حقيقة، وعلى كلّ صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه))^(٢).

(١) الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ١٦ / ٢٨٨.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ١ / ٦٩ باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب. والأُمالي، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق:

٢ - ورد في بعض الروايات عن أهل البيت (عليهم السلام) أنَّ لكل شيء في الشريعة الإسلامية أصلًا في القرآن الكريم، ولكن لا يمكن لعامة الناس أن يفهموه ويرجعوه إلى القرآن الكريم، فعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: ((ما من أمر يختلف فيه اثنان إلا وله أصل في كتاب الله عز وجل ولكن لا تبلغه عقول الرجال))^(١).

٣ - إرجاع جميع الشروط والالتزامات والعهود والعقود إلى القرآن الكريم، بحيث لا يصح أن نقبل أي شيء من هذه الالتزامات والعهود، إذا كان مخالفًا للكتاب. وقد ورد هذا المعنى في الأحاديث المروية عن طرق الفريقين وهو أمر متفق عليه بين عامة المسلمين. ففي حديث عن الصادق (عليه السلام) قال: ((وإن كان شرطًا يخالف كتاب الله رُدَّ إلى كتاب الله عز وجل))^(٢).

٤ - الرجوع إلى الكتاب لتمييز وترجيح أحد الحديثين المختلفين في حالة التعارض وذلك في الموارد التي يكون فيها الحديث مخصصًا أو مقيّدًا أو مبنيًا للقرآن الكريم، ولكن يوجد ما يعارضه في مضمونه، فإن ما يكون موافقًا للعام القرآني واطلاق الكتاب الكريم يكون مقدمًا ومرجحًا على الحديث الآخر. فعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : ((إذا ورد عليكم حديثان مختلفان فاعرضوهما على كتاب الله فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فذروه...))^(٣).

وبالتالي فإن القرآن الكريم إنّما صار محورًا؛ لأن السنة الشريفة ثبتت حجيتها عن طريق القرآن، وأن لولا القرآن لم يثبت لنا حجية السنة. كما أنَّ القرآن الكريم ليس

قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، الناشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ٤٤٩.

(١) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الرابعة، ١٣٦٥ش، ٩ / ٣٧٥ الحديث رقم (١٢٧٥). وينظر: بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ٨٩ / ١٠٠.

(٢) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ٣ / ٢٢٩ حديث رقم (٣٨٤٨). وتهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ٦ / ٢٠٧ حديث رقم (٤٧٦).

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ٢ / ٢٣٥ حديث رقم (٢٠).

فيه جنبه الظن، وهو موضع وفاق لدى الجميع، فإذا اتفق على سنديته، ومنهجه المعرفي، بالإضافة إلى كونه قطعي الصدور، فكل هذا يجعل القرآن الكريم هو المحور. كما أنّ روايات العرض على القرآن من أهم الأدلة على أن المحورية هي للقرآن الكريم.

أما مدارية السنة فهي أن لا تكون الروايات مخالفة لروح القرآن الكريم، بمعنى أنّ الرواية إذا خالفت روح القرآن لا تكون حجة، فهي مؤكدة ومعقدة للمعنى الذي تعطيه الآيات القرآنية الكريمة.

الفصل الثاني: ضوابط محورية القرآن ومدارية السنة وتطبيقاتها في التفاسير المعاصرة

المبحث الأول: الضوابط المنهجية في محورية القرآن
ومدارية السنة وتطبيقاتها

المبحث الثاني: الضوابط المعرفية (الفكرية) في محورية
القرآن ومدارية السنة وتطبيقاتها

المبحث الأول: الضوابط المنهجية في محورية القرآن
ومدارية السنة وتطبيقاتها

المطلب الأول: الاستفادة من تفسير القرآن بالقرآن وتفسير
القرآن بالسنة وتطبيقاتها

المطلب الثاني: الابتعاد عن الاسرائيليات وتطبيقاتها

المطلب الثالث: مراعاة السياق وتطبيقاتها

المطلب الرابع: الابتعاد عن تفسير القرآن الكريم بغير
الأصول المعتمدة وتطبيقاتها

توطئة

الضوابط جمع مفردة ضابط، وهو اسم فاعل من (ضَبَطَ) ، وسنعرض ما جاء في معناه اللغوي في بعض المعاجم التي اطلعنا عليها:

قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): ((ضَبَطَ، الضادُ والياءُ والطاءُ، أصلٌ صحيحٌ. وضَبَطَ الشيءَ ضبطاً. والأضبط: الذي يعمل بيديه جميعاً))^(١). وهنا يعني بالضبط القوة.

ويرى ابن سيدة (ت ٤٥٨هـ) أنَّ الضبط هو لزوم الشيء وحَبْسُهُ، ضبط عليه وضَبَطَهُ ضبطاً وضباطة، ورجل ضابط قوي شديد^(٢). وهنا يعني بالضبط لزوم الشيء والقوة.

أما الرازي (ت ٦٦٦هـ) فعنده من ((ضَبَطَ الشيءَ حَفِظَهُ بالحزم وبابه ضَرَبَ، ورجل ضابط أي حازم))^(٣). وهنا يعني بالضبط الحزم.

ويرى ابن منظور (ت ٧١١هـ) أنَّ الضبط: لزوم الشيء وحَبْسُهُ، والضبطُ لزومُ شيءٍ لا يفارقه في كل شيءٍ، والضابطُ: القوي على عمله^(٤). وهنا الضبط يعني عدم المفارقة.

وقال أبو البقاء الكفوي: ((الضبطُ: عبارة عن الحزم، يقال: ملك ضابط لمملكته أي: حازم ومحافظ عليها))^(٥). وهنا يعني الضبط الحزم والحفاظ على الشيء.

(١) معجم مقاييس اللغة، ٣/٣٨٦ مادة (ضبط).

(٢) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل المرسى، ٨/ ١٧٥ مادة (ضبط).

(٣) مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ) تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ١٨٢. ودستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت ق ١٢هـ)، عَرَب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢ / ١٨٨.

(٤) ينظر: لسان العرب، ٧/٣٤٠ - ٢٤١ والقاموس المحيط، الفيروزآبادي، ٦٧٥، باب الطاء فصل الضاد.

ويرى الزبيدي أنّ ضبطه حفظه بالحزم، فهو ضابط أي حازم. وضبط الشيء: لزومه لا يفارقه. والضابطة: الماسكة والقاعدة، ورجل ضابط للأمور: كثير الحفظ لها^(٢).

وبلحاظ التعريفات السابقة يتبين لنا أنّ الضبط هو القوة والحزم، وهو لزوم الشيء وعدم مفارقه، والحفاظ عليه، والضابط هو القوي الشديد والحازم، والضابطة هي القاعدة.

وفي الاصطلاح عُرّف الضابط بأنه: ((حكم كلي ينطبق على جزئياته والجمع ضوابط))^(٣).

وفي تعريف آخر للضابط، هو: اسم فاعل وهو حكم كلي ينطبق على جزئياته^(٤).

والواضح أن هذين التعريفين متفقان على تعريف الضابط بأنه حكم كلي ينطبق على جزئياته، وهو قريب من المعنى اللغوي.

وسندرس في هذا الفصل ضوابط محورية الخطاب القرآني ومداريتها، مقسمة على مبحثين، الأول للضوابط المنهجية، والثاني للضوابط المعرفية، مع التطبيقات الخاصة بكل منهما.

(١) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ٥٧٩.

(٢) ينظر: تاج العروس، ١٩ / ٤٣٩-٤٤٣. والإبانة في اللغة العربية، سلمة بن مسلم العوتبي الصّحاري، تحقيق: د. عبد الكريم خليفة - د. نصرت عبد الرحمن - د. صلاح جرار - د. محمد حسن عواد - د. جاسر أبو صفية، الناشر: وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط - سلطنة عمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ٤١٤/٣.

(٣) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ٥٣٣.

(٤) ينظر: معجم لغة الفقهاء، محمد راوس قلجعي وحامد صادق قنبي، ٢٨١.

والفرق بين الضوابط المنهجية والضوابط المعرفية، هو أن الضوابط المنهجية تختص بما يحيط بالمفسر من منهج وآثار البيئة وما يدور حوله. أما الضوابط المعرفية فهي التي تختص بالمفسر نفسه من مؤهلات، وآداب، ومهارات، وغيرها.

المطلب الأول: الاستفادة من تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة وتطبيقاتها

أولاً: المقدرة على تفسير القرآن بالقرآن.

يجب على المفسر القائم بتفسير القرآن الكريم بتفسير ما يفهمه من القرآن بالقرآن نفسه، ويتمكن من استغلال فهم المجمل في آيات معينة في تفسير آيات أخرى، حيث يعمل على تفسير الآيات المختصرة وتوضيحها في مواضع أخرى في القرآن الكريم.

ولا بدّ للمفسّر في عمليّة التفسير من الرجوع إلى القرآن الكريم وينبغي له عند الرجوع إليه أن يجري بحثاً سندياً وآخر دلاليّاً للاستفادة منه في عمليّة التفسير^(١). لا شكّ ولا ريب بأنّ القرآن قطعيّ الصدور ومتواتر جيلاً عن جيل، فالعلم بصحّة نقله، كالعلم بالبلدان، والحوادث الكبار، والوقائع العظام، والكتب المشهورة، وأشعار العرب المسطورة، حيث اشتدّت العناية به وتوافرت الدواعي على نقله وحراسته، وبلغت إلى حدّ لم يبلغه في ما ذكر؛ لأنّ القرآن معجزة النبوة، ومأخذ العلوم الشرعية، والأحكام الدينية. وقد بلغ علماء المسلمين مبلغاً في حفظه وحمايته، حتى عرفوا كلّ شيء اختلف فيه، من إعرابه، وقراءته، وحروفه، وآياته^(٢).

(١) ينظر: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، الأستاذ المحقق محمد هادي معرفة، الناشر: الجامعة الرضوية للعلوم الاسلامية، الطبعة الثانية، ١٣٨٤ش، ٢ / ٥٣٩-٥٥٢. وبحوث في منهج تفسير القرآن الكريم، محمود رجبى، ترجمة: حسين صافي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ٢٢٩-٢٣٣. والمبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، الدكتور محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ٦١ وما بعدها.

(٢) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الاسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، حققه وعلق عليه: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، قدم له: الامام الأكبر السيد محسن الأمين العاملي، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ٤٣/١.

ولابدّ للمفسّر من إجراء بحث دلاليّ للنصّ القرآنيّ يتوخّى من خلاله تحديد المراد الإلهيّ على نحو الدلالة الصريحة أو الدلالة الظاهرة، عن طريق الاستعانة بآيات أخرى، وعرض بعضها على بعضها الآخر، واستنتاج المعنى، كما في إرجاع المتشابه من الآيات إلى المحكم، والمجمل إلى المبيّن، والمنسوخ إلى الناسخ، والعام إلى الخاصّ، والمطلق إلى المقيدّ، والمبهم إلى الواضح، والموجز إلى المفصّل، وغيرها من أنواع إرجاع الآيات إلى آيات أخرى لاستجلاء معانيها وبيان مرادها. ولا شكّ ولا ريب في حجّية الدلالة الصريحة للنصّ القرآنيّ؛ لأنّه في هذه الحالة لا يوجد احتمال دلاليّ آخر مخالف لدلالة النصّ الصريحة^(١).

وقد حظي هذا المنهج باهتمام واسع خاصة عند المفسّرين المعاصرين، بحيث اتخذوه بعضهم منهجاً رئيسياً.

يعتقد العلامة الطباطبائي أنّ القرآن بيان لكل شيء، فغير ممكن أن لا يكون مبيّناً لنفسه، كما يعتقد أنّ هذا المنهج هو الذي اتخذه النبي وأهل البيت (عليهم السلام) في تفسير القرآن الكريم^(٢).

وقد ذكر العلامة الطباطبائي رأيه في هذا المنهج في مقدمة تفسيره، فقال: ((نفس القرآن بالقرآن ونستوضح معنى الآية من نظيرتها بالتدبر المندوب إليه في نفس القرآن، ونشخص المصاديق ونتعرفها بالخواص التي تعطيها الآيات))^(٣).

واتّبع الشنقيطي هذا المنهج في تفسيره أضواء البيان، واتّبع أنواع متعددة لإيضاح القرآن بالقرآن منها بيان الإجمال الواقع بسبب اشتراك سواء كان الاشتراك في اسم أو فعل أو حرف: ومن أمثلة الإجمال بسبب الاشتراك في اسم، قوله تعالى: أَمْ تَحْ تَحْ تَحْ {الحج: ٢٩}، فإنّ العتيق يطلق بالاشتراك على القديم، وعلى العتيق من الجابرة، وعلى الكرم، لكن دلت آية من كتاب الله على أنّ العتيق في

(١) لمزيد من التفصيل ينظر: التفسير والمفسّرون في ثوبه القسيب، محمد هادي معرفة، ١ / ٩٨-٧٤. والمناهج التفسيرية في علوم القرآن، الشيخ جعفر السبحاني، الناشر: مؤسسة الامام الصادق (عليه السلام)، قم، الطبعة الرابعة منقحة ومصححة، ١٤٣٢هـ، ٥٢-٦٢.

(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، ١ / ١٤ - ١٥.

(٣) المصدر نفسه، ١ / ١١.

الآية بمعنى القديم الأول، بدليل قوله تعالى: ﴿أَأَمَّا الْكِرْكِرَةُ فَعَلَىٰ قَتَلِهِمْ﴾ {آل عمران: ٩٦}، مع أن المعنيين الآخرين كلاهما حق، ولكن القرآن دل على ما ذكر^(١).

كما أن القاسمي في تفسيره كان يعتمد تفسير القرآن بالقرآن، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَأَمَّا الْكِرْكِرَةُ فَعَلَىٰ قَتَلِهِمْ﴾ {البقرة: ٢}، فهو يرى أن هذا القرآن وبدون أي شك هو من عند الله تعالى. وقد دلّ عليه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَلْمِزْ يَوْمَ الْفَتْخِ الْأَسْفَفَ﴾ {السجدة: ١-٢}، وغيرها الكثير من الآيات التي يستعين في تفسيرها بآيات أخرى. فتفسير القرآن بالقرآن من أهم ضوابط محورية الخطاب القرآني في المدونات التفسيرية المعاصرة، كونه يعتمد القرآن نفسه في تفسير الآيات.

ثانيًا: ضرورة تفسير القرآن من السنة الشريفة

السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، فقد قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿أَأَمَّا الْكِرْكِرَةُ فَعَلَىٰ قَتَلِهِمْ﴾ {النساء: ٥٩}.

ويمكن أن يستعين المفسر بالسنة التي وردت عن أقوال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام)، في تفسيره لآيات القرآن الكريم. وذلك لأن قول المعصوم (عليه السلام)، نبيًا كان أو إمامًا هو حجة في مقام بيان مراد الله تعالى ومقاصده في القرآن، أمّا حجة بيان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ فلأن القرآن نفسه أعطاه هذه الحجّة بنحو صريح، كما في قوله تعالى: ﴿أَأَمَّا الْكِرْكِرَةُ فَعَلَىٰ قَتَلِهِمْ﴾ {النحل: ٤٤}، وأمّا حجة قول الإمام عليه السلام فلأنه أحد الثقلين، لما ورد من روايات متواترة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بضرورة التمسك بالقرآن والعترّة الطاهرة عليهم السلام، وما ورد من روايات مستفيضة في أنهم معدن العلم والوحي والنبوة، وأنهم ورثة علم الأنبياء والمرسلين

(١) ينظر: أضواء البيان، ٥ / ٢٥٣ - ٢٥٤.

(٢) ينظر: محاسن التأويل، ١ / ٢٤٢.

(عليهم السلام)، وأنهم أعلم الناس بالقرآن بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وورثة علمه^(١)، فمع ثبوت قول المعصوم عليه السلام في مقام التفسير، ووضوح صدوره عنه عليه السلام لا شبهة في لزوم الأخذ به.

وأما قول الصحابة والتابعين، فقد اختلف في حجّية تفسيرهم، والصحيح عدمها، مع أرجحية الأخذ بقول الصحابي والتابعي في خصوص النكات اللغوية ونقل أسباب النزول، في ما لو كان ما ينقله ليس ناشئاً عن اجتهاده الشخصي، مع توافر شروط الأخذ منه^(٢).

وقد حاول بعض المفسرين دراسة هذه الأحاديث من ناحية المتن، والاستفادة منها كشاهد في التفسير، إذا كان هناك ما يدلّ على صدقها، كموافقتها لظواهر القرآن مثلاً؛ لأنّ المبنى عندهم هو حجّية الخبر الموثوق وقد يحصل الوثوق من المتن نفسه^(٣)، فيما ذهب البعض الآخر إلى حجّية الأخبار القطعية في التفسير وعدم حجّية الأخبار الضعيفة^(٤)؛ لأنّ المبنى عندهم حجّية خبر الثقة.

وقد جاءت السنة ببيان كيفية الصلاة وأوقاتها وأنواعها، ومقادير الزكاة وأنصبتها والصيام وأحكامه والحج ومسائله ونحو ذلك. قال الشاطبي: ((السنة إنّما جاءت مبيّنة للكتاب وشارحة لمعانيه...فأنت إذا تأملت موارد السنة وجدتّها بياناً للكتاب، هذا هو الأمر العام فيها))^(٥).

(١) ينظر: الكافي، الكليني، ١ / ٢٢١، كتاب الحجّة، باب أنّ الأئمّة عليهم السلام معدن العلم وشجرة النبوة ومختلف الملائكة، ١ / ٢٢١، باب أنّ الأئمّة عليهم السلام ورثة العلم يرث بعضهم بعضاً العلم، ١ / ٢٢١-٢٢٣، باب أنّ الأئمّة عليهم السلام ورثوا علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجميع الأنبياء عليهم السلام والأوصياء عليهم السلام الذين من قبلهم، ١ / ٢٢٣-٢٢٦، باب أنّ الأئمّة عليهم السلام عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله عزّ وجلّ وأنّهم يعرفونها على اختلاف أسنتها، ١ / ٢٢٧-٢٢٨، باب أنّه لم يجمع القرآن كلّهُ إلا الأئمّة عليهم السلام وأنّهم يعلمون علمه كلّهُ، ١ / ٢٢٨-٢٢٩.

(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ١٢ / ٢٦١.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ٣ / ١٨٤-١٨٥.

(٤) ينظر: البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي، ٣٩٧-٣٩٩.

(٥) الموافقات، الشاطبي، ٣ / ٢٣٠.

وقد اتَّبَعَ الحائري الطهراني(ت١٣٥٣هـ)، هذا المنهج في تفسيره مقتنيات الدرر، فكان كثيرًا ما يستعين بالروايات لتفسير الآيات الكريمة، فمثلاً في تفسير قوله تعالى: أ □ □ بن بي بي تر □ □ تن تي تي □ □ □ □ (({المائدة: ٣٣}، فيرى أنَّ في (أو) في الآية الكريمة قولان:)) الأول: الإباحة والتخيير أي إن شاء الإمام قتل وإن شاء صلب وإن شاء نفى. والقول الثاني أنها ليست للتخيير بل للترتيب وبيان أنَّ الأحكام تختلف باختلاف الجنايات فمن اقتصر على القتل قتل، ومن قتل وأخذ المال قتل وصلب، ومن اقتصر على أخذ المال قطع يده ورجله من خلاف، ومن أخاف السبل ولم يأخذ المال نفي من الأرض. وهذا قول الأكثرين وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام))^(٢). فهو يعتمد سنة المعصومين (عليهم السلام) في بيان المعنى، وغير ذلك الكثير من الروايات التي يعتمدها في تفسيره. فالسنة النبوية تدور مدار القرآن، وهي مؤكدة لمعانيه.

لا يخفى على الباحث في المدونات التفسيرية، حجم امتزاج التفسير القديمة بالخرافات والنصوص التاريخية المقتبسة من الفكر والتراث اليهوديين، والتي لا أصل لها في أي مصدر إسلامي. وهناك الكثير من المحاور التاريخية، كقصة خلق

(٢) مقتنيات الدرر، ٤ / ٩.

الأرض والسماء، وخلق آدم، وقصص الأنبياء، وسواها من الموضوعات التي كانت مرتعاً للروايات الإسرائيلية، وإذا ألقينا نظرة على تفاسير المتقدمين كتفسير الطبري والبعوي والقرطبي وابن كثير والبيضاوي والخازن والثعالبي وأبي الفتح وغيرهم، نعرف إلى أي مدى استطاعت النصوص التاريخية الإسرائيلية التغلغل في تفاسير المسلمين، مع وجود تفاوت واضح بين التفاسير القديمة في مستوى الأخذ بالإسرائيليات، حيث كانت تفاسير الجمهور أكثر عرضةً من غيرها في الوقوع في هذا الفخ بسبب اعتماد منهجهم على قاعدة الأخذ بقول الصحابي مهما كان وضعه. إن الرجوع إلى الإسرائيليات وتعاطي القصص التاريخية الواهية، كان يشكل ظاهرة عامة ومشاركة بين أكثر التفاسير القديمة. أما التفاسير المعاصرة يكاد يكون رفض الأخذ بالإسرائيليات والإعراض عن النصوص التاريخية الواهية طابعاً عاماً في أكثرها، فقد سعى مفسروها، كل وفقاً لمنهجه واتجاهه الخاص إلى نقد الروايات الإسرائيلية نقداً حاداً وحاسماً ووفقاً لآلية الجرح والتعديل وتشخيص دور هذه الروايات السلبي في تعميم الرؤية لدى المفسر وما يترتب على ذلك من معطيات تفسيرية شوهاء للآيات^(١).

ونرى أنّ رفض الإسرائيليات، والحكم بأنها ذات دور سلبي وتخريبي في فهم آيات القرآن الكريم، وإنها حجاب يصد عن إدراك أهدافه الحقيقية، أصبح له حضور واسع في تفاسير المعاصرين.

والحديث عن الروايات الإسرائيلية كان حاضراً في التفاسير المعاصرة، فمثلاً نرى أنّ محمد رشيد رضا الذي يعد أحد رواد الإصلاح في مجال التفسير، يشير في تفسيره المنار إلى أنّ أكثر ما روي في التفسير المأثور كان مصدره الروايات اليهودية، ثم يعقب ذلك بقوله: ((وغرضنا من هذا كله أنّ أكثر ما روي في التفسير بالمأثور أو كثيره حجاب على القرآن وشاغل لتاليه عن مقاصده العالية المزكية

(١) ينظر: دراسات قرآنية، مناهج التفسير، إشكالية تحريف القرآن: مجموعة من الباحثين، مركز الغدير للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ٢٥.

للأنفس المنورة للعقول، فالمفضلون للتفسير المأثور لهم شاغل عن مقاصد القرآن بكثرة الروايات، التي لا قيمة لها سندًا ولا موضوعًا))^(١).

ونبصر أنّ الحديث عن الاسرائيليات ذُكر في تفسير ابن باديس في موضوع خصائص التفسير الباديسي وتحت عنوان (طرائق المفسرين)، فعند ذكر الإخباريين يرى أنهم مفتونون بالقصص، فلا يقعون إلاّ على الآيات المتعلقة به. وكان يتمنى أنهم يحققون الحكمة من القصص، فيجلون العبر منها، ويستخرجون الدقائق من سنن الله في الأمم وجميع الكائنات. فقال بحقهم: ((ولكنهم يسترسلون مع الرواية، وتستهيهم غرابة الأخبار، فينتهي بهم ذلك إلى الاسرائيليات الخاطئة الكاذبة، وقد أدخلوا بصنيعهم هذا على المسلمين ضررًا عظيمًا، وعلى التاريخ فسادًا كبيرًا))^(٢). فهو يرى أن المرويات الاسرائيلية خاطئة وكاذبة، وقد أضرت بالمسلمين، وبهذا فإن الابتعاد عنها أسلم.

ونلمح في تفسير المراغي حديثًا عن الاسرائيليات أيضًا، إذ يذكر من ضمن منهجه في التفسير (تمحيص روايات كتب التفسير)، فهو يرى أنّ الكتاب الكريم أشار إلى كثير من تاريخ الأمم الغابرة التي حلّ بها العذاب على ما اجتاحت من الآثام، وإلى بدء الخلق وتكوين الأرض والسموات، ولم يكن لدى العرب من المعرفة ما يستطيعون به شرح هذه المجملات التي أشار إليها الكتاب، فألجأتهم الحاجة إلى الاستفسار من أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فقصّوا عليهم من القصص ما ظنوه تفسيرًا لما خفى عليهم فهمه من كتابهم، ولكنهم كانوا في ذلك كحاطب ليل، يجمع بين الشذرة والبصرة، والذهب والشبه، إذ لم تكن علوم القصّاص ممحصّة ولا مهذّبة، بل كان

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ١ / ١٠.

(٢) تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير))، عبد الحميد محمد بن باديس، ١٨.

ينقصها الميزان العلمي الذي به يتعرّف جيّد الرأي من بهرجه، وصحيحه من سقيمه، فساقوا إلى المسلمين من الآراء في تفسير كتابهم ما ينبذه العقل، وينافيه الدين، وتكذبه المشاهدة، ويبعده كل البعد ما أثبتته العلم في العصور اللاحقة^(١). فكان المراغي يحص هذه الروايات، ولا يذكر في تفسيره رواية مأثوره إلا إذا تلقاها العلم بالقبول، وليس فيها ما يتنافر مع قضايا الدين، وقد وجد أنّ ذلك أشرف لتفسير كتاب الله.

ونرى أن سيد قطب لم يبين موقفه في مقدمة تفسيره إلا أنّه أشار في كتابه إلى أنّه يرفض إيراد الإسرائيليات في التفسير ويحذر منها ويعدها أساطير لا سند لها صحيح، ولهذا فإنّه لا تكاد توجد في تفسيره رواية إسرائيلية يوليها اهتمامه بل كان يعيب على كثير من المفسرين السابقين عنايتهم بها: يقول في قوله سبحانه أأُتـُـى ببعضها بعيداً وتبدو رائحة الإسرائيليات فيها وفي قصة الطوفان كلها واضحة. أما نحن فلا نضرب في متاهة بغير دليل، في هذا الغيب الذي لا نعلم منه إلا ما يقدمه لنا النص، وفي حدود مدلوله بلا زيادة^(٢).

ثم قال: ((وأساطير بني إسرائيل المدونة في ما يسمونه (العهد القديم) تحوي كذلك ذكرى طوفان نوح ... ولكن هذا كله شيء لا ينبغي أن يذكر في معرض الحديث القرآني عن الطوفان ولا ينبغي أن يخلط الخبر الصادق الوثيق بمثل هذه الروايات الغامضة وهذه الأساطير المجهولة المصدر والأسانيد^(٣)). ثم ذكر تحريف التوراة والإنجيل فقال: ((ومن ثم لا يجوز أن يطلب عند تلك الكتب جميعها يقين في أمر من الأمور^(٤))).

(١) ينظر: تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ١ / ١٩.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤ / ١٨٧٧.

(٣) في ظلال القرآن، ٤ / ١٨٨١.

(٤) المصدر نفسه، ٤ / ١٨٨١.

ومن الأساطير ما ذُكر بشأن الظواهر الطبيعية: فقد نسب إلى الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، وبعض الصحابة بعض الروايات بشأن الظواهر الطبيعية والكونية، من قبيل: ما يتعلق ببدء الخلق، وعمر الدنيا، والأرض والسماء، والشمس والقمر، والرعد والبرق، والجزر والمدّ، والجبال، والمجرات، وما إلى ذلك. ومن هذه الروايات ما يشتمل على الاسرائيليات الموضوعات.

وجاء في بعض الروايات الواردة في تفسير الآية: ﴿أَأَنْتَ أَهْلُ الْبُقْعَةِ الْمُبِينِ﴾، تفسير (الرعد) بملك أو صوت ملك، و(البرق) بسوط يحمله ذلك الملك. وقد نقل الطبري روايات عن بعض الصحابة والتابعين تقول: إن الرعد اسم ملك يسوق السحاب، وإن الصوت المسموع صوت زجره السحاب، أو صوت تسبيحه^(٣).

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملّي الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ١/ ٣٣٩.

كما نُقلت رواية عن المغيرة بن سالم، عن أبيه، أو غيره، أنَّ عليَّ بن أبي طالب (عليه السلام)، أنه قال: (الرعد): ملك^(١).

وقال رشيد رضا بكلِّ صراحةٍ لا شكَّ في أن هذه الأقوال من الأمور التي بثَّها أمثال: كعب الأحبار ووهب بن منبّه بين المسلمين من الصحابة والتابعين^(٢).

أما السيد مصطفى الخميني، فقد قال بشأن هذه الروايات: ((والذي يظهر لي أنَّ هذه المنسوجات إما من الإسرائيليات المختلفة والبدعات السيئة المدسوسة في الأحكام والحقائق الراقية الإسلامية، ناظرين إلى زجر الملل عن هذه الديانة القويمة بهذه الشياطين السود، باسم القرآن، والسوط من النور، أو هي اجتهادات في كلمة صادرة عن مبدأ الوحي))^(٣).

وأما العلامة الطباطبائي الذي أسس لاتجاه جديد في التفسير الحديث، باعتماده تفسير القرآن بالقرآن، فقد تعامل مع الإسرائيليات من حيث انسجامها أو عدم انسجامها مع الجو القرآني إذ يقول: ((أحدهما إفراطهم في الركون إلى الآثار وقبول الحديث كيفما كان، وإن خالف صريح العقل ومحكم الكتاب، فلعبت بأحلامهم الإسرائيليات وما يلحق بها من الأخبار الموضوعية المدسوسة، وأنستهم كل حق وحقيقة، وصرفتهم عن المعارف الحقيقية))^(٤).

وقد روى جلال الدين السيوطي، في تفسير قوله تعالى: ﴿الْخِمْ لِي﴾ {ق: ١}، عن ابن عباس قال: ((خلق الله جبلاً يقال له (ق)، محيط بالعالم، وعروقه إلى الصخرة التي عليها الأرض، فإذا أراد الله أن يزلزل قريةً أمر ذلك الجبل فحرك العرق الذي يلي تلك القرية، فيزلزلها ويحركها، فمن ثم تحرك القرية، دون

(١) ينظر: المصدر نفسه، ١ / ٣٤٠.

(٢) ينظر: تفسير المنار، ١ / ١٤٧.

(٣) تفسير القرآن الكريم، السيد مصطفى الخميني، ٤ / ١٨٢.

(٤) الميزان في تفسير القرآن، ١١ / ١٣٤.

القرية))^(١). وإن ابن شهبة يرى أنّ هذا الخبر، لم يصحّ سنده إلى ابن عباس، وعلى فرض صحة السند فهو معدودٌ في عداد الإسرائيليات^(٢).

وقال العلامة الطباطبائي في بحثٍ روائي، على هامش تفسير الآيات الأولى من سورة (ق)، ضمّن نقله روايةً عن تفسير عليّ بن إبراهيم القمي هي على شاكلة المرويات المذكورة في تفاسير العامة: ((وكيفما كان لا تعويل على هذه الروايات، وبطلان ما فيها يكاد يلحق اليوم بالبديهيّات، أو هو منها))^(٣).

والذي ينبغي ذكره أنه من البعيد جداً أن يكون (ق) في هذه السورة إشارة إلى جبل قاف؛ لأنه ليس هذا لا يتناسب مع مواضع السورة وما ورد فيها فحسب، بل حرف (القاف) هنا كسائر الحروف المقطعة الواردة في بدايات السور في القرآن. ويبدو أنّ ذكر الحرف (ق) في هذه السورة هو لبيان عظمة القرآن وشرفه؛ إذ أقسم بعد ذلك مباشرة بقوله: **ألم** لى لي **ق: ١** {٤}.

أما الشيخ السعدي فإنّ المتتبع لرأيه في تفسير الروايات الإسرائيلية يجد أنّه شديد الحذر مع التعامل معها ولا ينصح بأي حال من الأحوال الأخذ بها، إلا ما روى بطريق صحيح عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ورفض حتى ما جوزه الشرع بعدم التصديق والتكذيب. فيقول: ((واعلم أنّ كثيراً من المفسرين رحمهم الله، قد أكثروا في حشو تفاسيرهم من قصص بني إسرائيل، ونزلوا عليها الآيات القرآنية، وجعلوها تفسيراً لكتاب الله، محتجين بقوله صلى الله عليه وسلم: حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج))^(٥).

والذي يراه السعدي أنّه إن جاء نقل أحاديثهم على وجه تكون مفردة غير مقرونة ولا منزلة على كتاب الله فإنّه لا يجوز جعلها تفسيراً لكتاب الله قطعاً، إذا لم

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، ٧ / ٥٨٩.

(٢) ينظر: الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ٣٠٢.

(٣) الميزان في تفسير القرآن، ١٨ / ٣٤٣.

(٤) ينظر: الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ١٧ / ١٠.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٥٥.

وفي قوله تعالى: أَأَتِي

نَحْنُ نَحْيِ يَرْبِ

كما أنّ الاسرائيليات لم يكن لها أثر عند محمد محمود حجازي في تفسيره، وهذا ما ذكره في مقدمة التفسير، إذ قال: ((فهذا هو القرآن الكريم، بل هو الهدى والنور، كتب شرحه بلغة سهلة واضحة لا تعمق فيها ولا إبعاد، خالية من الاصطلاحات العلمية الفنية، تفسر للشعب كل ما فيه من صوغ المعنى الإجمالي للآية، بلغة

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١ / ٢٩٥.

العصر، مع البعد عن الحشو والتطويل والخرافات الإسرائيلية^(١). فكان تفسيره بعيد كل البعد عن الخوض في الأحاديث الإسرائيلية، تفسير واضح بعيد عن الاطالة التي لا شأن لها بأصل الغرض من التفسير، وكان الهدف من هذا التفسير أن يفهم القرآن أكبر عدد من المسلمين.

ومن الجدير بالذكر أن بعض التفسيرات الشيعية القديمة، من قبيل: مجمع البيان^(٢)، ونور الثقلين^(٣)، وغيرها، قد اكتفى بنقل الروايات، دون إبداء أيّ شرح أو نقد. فالإبتعاد عن هذه الإسرائيلية، وعدم إدخالها في تفسير الآيات القرآنية، يعطي الدور الأساس للقرآن نفسه والسنة الصحيحة في عملية التفسير.

المطلب الثالث: مراعاة السياق وتطبيقاتها

السياق لغة:

قال الأزهري (ت ٣٧٠هـ): ((تَسَاوَقَتِ الْإِبِلُ تَسَاوُقًا: إِذَا تَتَابَعَتْ، وَكَذَلِكَ تَقَاوَدَتْ فِيهِ مُتَقَاوِدَةً وَمَتَسَاوِقَةً))^(٤).

يقول الجوهري (ت ٣٩٣هـ): ((يقال: وَلَدَتْ فُلَانَةٌ ثَلَاثَةً بَنِينَ عَلَى سَاقٍ وَاحِدٍ، أَي: بَعْضُهُمْ عَلَى إِثْرِ بَعْضٍ، لَيْسَتْ بَيْنَهُمْ جَارِيَةٌ ... وَالسِّيَاقُ: نَزْعُ الرُّوحِ. يُقَالُ: رَأَيْتُ فُلَانًا يَسُوقُ، أَي يَنْزِعُ عِنْدَ الْمَوْتِ))^(١).

(١) التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد، بيروت، الطبعة العاشرة، ١٤١٣هـ، ١ / ٦ .

(٢) ينظر: مجمع البيان، الطبرسي، ١ / ١١٧ .

(٣) ينظر: نور الثقلين، الشيخ الحويزي (ت ١١١٢هـ)، تحقيق: تصحيح وتعليق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، الناشر: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع - قم، الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ - ١٣٧٠ش، ١ / ٣٧ .

(٤) تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ١٨٥/٩ مادة (سوق).

ويرى ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): أن ((السَّيْنُ وَالْوَاوُ وَالْقَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ حَدُّ الشَّيْءِ. يُقَالُ سَاقَهُ يَسُوقُهُ سَوْقًا ... وَيُقَالُ سَفْتُ إِلَى امْرَأَتِي صَدَاقَهَا، وَأَسَفْتُهُ. وَالسُّوقُ مُشْتَقَّةٌ مِنْ هَذَا، لِمَا يُسَاقُ إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْجَمْعُ أَسَوَاقٌ. وَالسَّاقُ لِلْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ، وَالْجَمْعُ سَوَاقٌ، إِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ الْمَاشِيَّ يَنْسَاقُ عَلَيْهَا))^(١).

وهو عند ابن منظور (ت ٧١١هـ): بمعنى التتابع والتقاود أي تساوقت الإبل إذا تتابعت، وَكَذَلِكَ تَقَاوَدَتْ فَهِيَ مَتَقَاوِدَةٌ وَمُتَسَاوِقَةٌ فَالْمُسَاوِقَةُ تَعْنِي الْمُتَابَعَةَ كَأَنَّ بَعْضَهَا يَسُوقُ بَعْضًا أَيْ يَتَابَعُهُ. وَالسِّيَاقُ: الْمَهْرُ قِيلَ لِلْمَهْرِ سَوْقٌ لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا إِذَا تَزَوَّجُوا سَاقُوا الْإِبِلَ وَالْغَنَمَ مَهْرًا لِأَنَّهَا كَانَتْ الْغَالِبَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَالسُّوقُ: مَوْضِعُ الْبِيَاعَاتِ. السُّوقُ سُمِّيَتْ بِهَا؛ لِأَنَّ التَّجَارَةَ تُجْلَبُ إِلَيْهَا وَتُسَاقُ الْمَبِيعَاتُ نَحْوَهَا. يُقَالُ وَلَدْتُ فَلَانَةً ثَلَاثَةَ بَنِينَ عَلَى سَاقٍ وَاحِدَةٍ أَيْ بَعْضُهُمْ عَلَى إِثْرِ بَعْضٍ لَيْسَ بَيْنَهُمْ جَارِيَةٌ؛ وَوُلِدَ لِفُلَانٍ ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ سَاقًا عَلَى سَاقٍ أَيْ وَاحِدٍ فِي إِثْرِ وَاحِدٍ، وَوُلِدَتْ ثَلَاثَةً عَلَى سَاقٍ وَاحِدَةٍ أَيْ بَعْضُهُمْ فِي إِثْرِ بَعْضٍ لَيْسَتْ بَيْنَهُمْ جَارِيَةٌ^(٢).

فمن مجموع النصوص اللغوية المتقدمة نستطيع أن نقول: أنَّ السياق يدل على انتظام متوالٍ في الحركة لبلوغ غاية محددة، فالنتابع فيما بين الأشياء هو التساوق، ولا يكون متتابعًا إلا إذا كان له غاية لا بد من وصولها، فمنه سوق المبيعات نحو السوق، إذ ما سيقَّت إلا لغاية بيعها، وما سيق الصداق إلا لغاية إيصاله للمرأة، فكلمة ساق تثير في الذهن معنى لحوق شيء بشيء آخر، واتصاله به، واقتفائه أثره، كما تثير معنى الارتباط والتسلسل والانتظام في سلك واحد.

فالسياق إذن في اللغة يدل على تتابع منتظم في الحركة توصلاً إلى غاية محددة، دون أن يكون هناك انقطاع أو انفصال، هذا ما تفهمه مجموع النصوص اللغوية الواردة على هذا الجذر.

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ٤/١٤٩٩-١٥٠٠، مادة (سوق).

(٢) معجم مقاييس اللغة، ١١٧/٣.

(٣) ينظر: لسان العرب، ١٠/١٦٦-١٦٩. مادة: س و ق.

والسياق اصطلاحًا:

لم يهتم المتقدمون بتعريف السياق اصطلاحًا، على الرغم من اعتمادهم عليه، كما فعل البقاعي في كتابه نظم الدرر، فهو اعتمد على السياق في اظهار إعجاز تناسب الآيات والسور.

أما عند المعاصرين فعُرف السياق بأنه: ((الأجزاء التي تسبق النص، أو تليه مباشرة، ويتحدد من خلالها المعنى المقصود))^(١).

وقال الشيخ البناني في حاشيته على جمع الجوامع ((قرينة السياق: هي ما يدل على خصوص المقصود من سابق الكلام المسوق لذلك أو لاحقه))^(٢).

وبهذا يكون مفهوم السياق هو: بيان المعنى المقصود من خلال تتابع المفردات والجمل والتراكيب الكلامية المترابطة.

وتطلق لفظة (السياق) في عرف المفسرين على الكلام الذي خرج مخرجًا واحدًا، واشتمل على غرض واحد هو المقصود الأصلي للمتكلم، وانتظمت أجزاؤه في نسق واحد، وقد تدل على السياق ألفاظ أخرى، كالمقام، ومقتضى الحال والتأليف، وغيرها^(٣).

مفهوم السياق القرآني:

وكما مر من أنّ السياق هو: تتابع المفردات والجمل والتراكيب المترابطة لأداء المعنى. ففي ضوء هذا التعريف يمكن أن نقول أنّ السياق القرآني هو: تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة لأداء المعنى، وتكون دلالة السياق

(١) معجم المصطلحات اللغوية والأدبية، ابراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين المتحدّين، تونس، ١٩٨٦م، ٨٣.

(٢) حاشية البناني على شرح الجلال شمس الدين محمد بن احمد المحلي على متن جمع الجوامع، الامام تاج الدين عبد الوهاب ابن السبكي، دار الفكر للطباعة والنشر، ١ / ٢٠.

(٣) ينظر: الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، الدكتورة خلود العُمّوش، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ٢٥.

القرآني هي: بيان المعنى من خلال تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة.

وهناك تعريف آخر للسياق القرآني أكمل وأشمل وأوضح من السابق، وهو أن المقصود من السياق القرآني هو: ((تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال))^(١).

والمقصود من تتابع المعاني: ترابط المعاني الفرعية لخدمة المعنى الأصل الوارد ذكره في السورة، ودون انقطاع، أي: من غير أن تكتمل المعاني التي تتحدث عنها الآيات، فلا يصح أن تقف الآيات رأساً دون أن تكتمل المعاني وتتجسد للرأي، ودون انفصال، أي: دون أن يكون هناك فاصل أجنبي، من غير أن يكون له أي داع، أو ارتباط بموضوع الآيات^(٢).

أهمية السياق القرآني في بيان المعنى المراد:

يستمد السياق القرآني أهميته من كونه تفسيراً للقرآن الكريم بالقرآن نفسه، حيث إنه تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال، بل إن سياق الآية وسياق المقطع من أعلى مراتب تفسير القرآن بالقرآن؛ لأنه في محل واحد.

(١) السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، المثني عبد الفتاح محمود محمود، إشراف: الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس، اطروحة دكتوراه، جامعة اليرموك، الأردن، ١٤٢٦ هـ — ٢٠٠٥ م، ١٤.

(٢) ينظر: السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، ١٤.

وقد نالت نظرية السياق اهتمامًا كبيرًا من العلماء والباحثين، فعكفوا على دراستها، وبيّنوا أقسامها، وأعطوها عمقًا علميًا وفكرًا بعيدًا، حتى صارت السبيل الأبرز في تحديد الدلالة^(١).

فالمفسرون يعتمدون على قرينة^(٢) السياق في فهم آيات القرآن الكريم وقد أدركوا أهمية السياق في الوصول إلى تفسير النص المبارك، فذكر السيوطي (ت ٩١١هـ) أنّ ((من أراد تفسير الكتاب العزيز، طلبه أولاً من القرآن فما أجمل منه في مكان فقد فسر في موضع آخر وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر منه))^(٣). والسياق له عدة أقسام: فربما يكون السياق سياق كلمات، أو سياق جمل، أو سياق آيات. ومن السياق ما يسمى بالسياق الصغير، وهو المقصود به الجوار المباشر للألفاظ قبله أو بعده^(٤). ويسمى أيضًا السياق المتصل، وكثيرًا ما استعمله المفسرون في الكشف عن معنى الآيات.

ومنه ما يسمى السياق الأكبر من الجوار المباشر للألفاظ، مثل الجمل والفقرات والخطاب^(٥). وهذا عكس الأول فهو منفصل وليس متصل، وقد استعمله المفسرون للتعرف على معنى اللفظ أو الآيات، ومنهم عائشة عبد الرحمن في التفسير البياني للقرآن، إذ كانت تستقرئ ورود اللفظ في القرآن للتعرف على معناه.

(١) ينظر: أدلة الترجيح اللغوي في السور القصار - دراسة دلالية في البنية والمحتوى، الدكتور عماد فاضل الشمري، الدار المنهجية للنشر والتوزيع، عمّان - الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م، ٤٢ - ٤٣.

(٢) القرينة مفرد وجمعه قرائن، وهي من الفعل قرن بمعنى جمع، تقول قرنت بين الحج والعمرة، أي جمعت بينهما بإحرام واحد، وقرنت بين البعيرين؛ أي جمعت بينهما بحبل واحد، وكل ما يقرن به بين شيئين فهو القرآن، لذا يُقال لعقد الزواج عقد القرآن؛ لأنه يقرن به بين الزوج والزوجة. ومن خلال ذلك نستطيع القول إن القرينة تفيد معنى الجمع بين الأشياء. { ينظر: معجم مقاييس اللغة، ٥ / ٧٦ والمصباح المنير، الفيومي، ٢ / ٥٠٠ }.

(٣) الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٤ / ٢٠٠.

(٤) ينظر: الأسلوبية والأسلوب، الدكتور عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثالثة، (د . ت)، ١٧٥.

(٥) ينظر: الأسلوبية والأسلوب، ١٧٥.

وفي مثال آخر، قال تعالى: ﴿أَأَنْتَ أَشَدُّ حَقًّا مِنَ الْمَلَكِ الْمَكِينِ﴾^{١٧}، وللمفسرين رأيان في هذه الآية:

وقد استعان السيد الطباطبائي كثيراً بالسياق لمعرفة المعنى، فمثلاً عند قوله تعالى : أَلَمْ يَأْتِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ نَبِيٌّ مُّذُنُّهُ أَشَدُّ حَرًّا مِّنْ هَٰؤُلَاءِ ، فَهُمْ لَا يُتَّقُونَ {مريم: ٣٩} ، فهو يرى أنّ ظاهر السياق أنّ قوله (إذ قضى الامر) بيان لقوله (يوم الحسرة) ففيه إشارة إلى أنّ الحسرة إنّما تأتيتهم من ناحية قضاء الأمر والقضاء إنّما يوجب الحسرة إذا كان بحيث يفوت به عن المقضى عليه ما فيه قرة عينه وأمنية نفسه ومخ سعادته

(٢) ينظر: دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، محمد علي الرضائي، تعريب: قاسم البيضاني، الناشر: مركز المصطفى (ص) العالمي للترجمة والنشر، ايران - قم، الطبعة الرابعة، ١٤٣٧ق - ١٣٩٥ش، ٨٦ - ٨٧.

172

الذي كان يقدر حصوله لنفسه ولا يرى طيباً للعيش دونه لتعلق قلبه به وتولاه فيه، ومعلوم أنّ الانسان لا يرضى لفوت ما هذا شأنه وإن احتمل في سبيل حفظه أي مكروه إلا أن يصرفه عنه الغفلة فيفرط في جنبه ولذلك عقب الكلام بقوله (وهم في غفلة وهم لا يؤمنون). فالمعنى - والله أعلم - وخوفهم يوماً يقضى فيه الأمر فيتحتّم عليهم الهلاك الدائم فينقطعون عن سعادتهم الخالدة التي فيها قرة أعينهم فيتحسرون عليها حسرة لا تُقدر بقدر إذ غفلوا في الدنيا فلم يسلكوا الصراط الذي يهديهم ويوصلهم إليها بالاستقامة وهو الايمان بالله وحده وتنزيهه عن الولد والشريك^(١).

المطلب الرابع: الابتعاد عن تفسير القرآن الكريم بغير الأصول المعتمدة وتطبيقاتها

لعل هذا الموضوع بالذات يحوي مجموعة من الضوابط المنهجية لمحورية الخطاب القرآني ومداريته، فتتدرج تحته جملة من المصاديق، فالتكلم في القرآن بالرأي، والقول في القرآن بغير علم، ودعوى ضرب القرآن بعضه ببعض، كل ذلك يحوم حول معنى واحد وهو الاستمداد في تفسير القرآن بغير الأصول المعتمدة.

أولاً: التكلم بالقرآن بالرأي المذموم

ونعني هنا التفسير بالرأي المذموم الذي لا يقوم على قواعد منضبطة، أما التفسير بالرأي المحمود فلا بأس به. والتفسير بالرأي المذموم المقصود به هو تفسير القرآن الكريم بالاستقلال والإنفراد، أي أن يستقل المفسر في تفسير القرآن الكريم بما عنده من الأسباب، ويعدّ هذا التفسير من أخطر أنواع التفسير بدلالة جملة من الأحاديث الواردة عن النبي وأهل بيته عليهم السلام، كقوله (صلى الله عليه وآله

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، ١٤ / ٥٠.

وسلم): ((من فسر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب))^(١). وكذلك قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار))^(٢). ومنها قول الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام): ((إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع، وأحكام تتبدع، يخالف فيها كتاب الله))^(٣).

ومن تلك الروايات التي حدّرت من مغبة الوقوع في ورطة التفسير بالرأي قول الإمام الصادق عليه السلام: ((من فسر القرآن برأيه إن أصاب لم يؤجر، وإن أخطأ خر أبعد من السماء))^(٤).

وعليه فإنّ التفسير بالرأي لا يخلو عن القول بغير علم كما يشير الحديث النبوي الشريف، الأمر الذي يؤدي إلى وقوع الآية في غير موقعها ووضع الكلمة في غير موضعها، ويؤدي كذلك إلى تأويل بعض القرآن أو أكثر آياته بصرفها عن ظاهرها^(٥).

وبالتالي فإنّ التفسير بالرأي يجنح بصاحبه الى فسادٍ فكري تتسحب آثاره على الأمة الإسلامية فيحدث شرخاً في النسيج الاجتماعي والثقافي مسبباً أمراضاً فكرية طالما عانت منها الأمة الإسلامية. وإذا علمنا أنّ الله سبحانه وتعالى قد أمر بالتدبر

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ٣٦ / ٢٢٧.

(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٢٧ / ١٨٩ وبحار الأنوار، ٣ / ٢٢٣ ومسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، ١ / ٢٣٣ وسنن الترمذي، الترمذي، ٤ / ٢٦٨.

(٣) نهج البلاغة، خطب الامام علي (ع)، شرح محمد عبده، ١ / ٩٩.

(٤) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٢٧ / ٢٠٢ وجامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي (١٣٨٣هـ)، المطبعة العلمية، قم، ١٣٩٩هـ، ١ / ٣٠٦.

(٥) ينظر: أصول التفسير والتأويل مقارنة منهجية بين آراء الطباطبائي وأبرز المفسرين، السيد كمال الحيدري، مؤسسة الامام الجواد (عليه السلام) للفكر والثقافة، الطبعة الرابعة، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، ١٢٧.

والتفكر والإمعان في نصوص القرآن الكريم فإنَّ هذا الأمر يختلف عن مسألة التفسير بالرأي غير المنضبطة.

ونرى أنَّ التفاسير المعاصرة قد ابتعدت عن تفسير القرآن بغير الأصول المعتمدة في التفسير، فلا تجيز تفسير القرآن الكريم بالرأي والاجتهاد ما لم يستند إلى أصلٍ من أصول التفسير.

وقد أكد المفسرون على ذلك، فمثلاً نرى أنَّ القاسمي في تفسيره يرفض تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل، استناداً لقوله تعالى: أَّا □ □ □ □ □ {الإسراء: ٣٦}. وقال تعالى: أَّا □ □ □ □ □ {البقرة: ١٦٩}. وقال تعالى: أَّا □ □ □ □ □ {النحل: ٤٤}. فأضاف البيان إليه. وقد نقل أحاديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، يمنع فيها التكلم بالقرآن بغير علم، ويرى أنَّ القول الذي يقوم عليه البرهان فهو جائز^(١).

كما نبصر في تفسير النور أنَّ من مزايا هذا التفسير أنَّه احترز من التفسير بالرأي، ووقف عند منطوق نصوص الآيات القرآنية الكريمة، أو ما ورد عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام)^(٢).

ثانياً: دعوى ضرب القرآن بعضه ببعض

إنَّ هذا الأمر من الأمور الخطيرة التي جنح إليها بعض من الناس بسبب دوافع عقائدية ناتت بهم عن مهمتهم الجلييلة في تفسير القرآن الكريم تفسيراً صادقاً مستندناً إلى أسس علمية رصينة.

وقد وردت في هذا الجانب روايات أكدت ما ذهب إليه هذا المعنى؛ لآته يؤدي إلى الهلاك والضلال، فضلاً عن تكذيب القرآن الكريم، فقد سمع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قومًا يتدارؤون^(٣) في القرآن الكريم، فقال: ((إنما هلك من كان قبلكم

(١) ينظر: محاسن التأويل، ١ / ٨ .

(٢) ينظر: تفسير النور، محسن قراءتي، ١ / ٦.

(٣) أي يختلفون.

بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضاً فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوه وما جهلتم فكلوه إلى عالمه))^(١).
وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال أبي (عليه السلام) : ((ما ضرب رجل القرآن بعضه ببعض إلا كفر))^(٢). وعليه فإن تفسير القرآن الكريم يجب أن يكون مبنياً على أسس علمية، مضافاً إليه الخوف والخشية من الله سبحانه وتعالى.

وقد وضع الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أساساً لكيفية التعامل والتعاطي مع تفسير القرآن الكريم بقوله في نهج البلاغة: ((أم أنزل الله ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه. أم كانوا شركاء له. فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى أم أنزل الله سبحانه ديناً تاماً فقصر الرسول (صلى الله عليه وآله) عن تبليغه وأدائه والله سبحانه يقول { ما فرطنا في الكتاب من شيء } فيه تبيان كل شيء وذكر أن الكتاب يصدق بعضه بعضاً وأنه لا اختلاف فيه فقال سبحانه { ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا } . وإن القرآن ظاهره أنيق، وباطنه عميق، لا تقنى عجائبه ولا تنقضي غرائب ولا تُكشف الظلمات إلا به))^(٣).

كما أن النهي عن التفسير بالرأي يُستكشف من كتاب بعثه إلى معاوية جاء فيه: ((... فعدوت على طلب الدنيا بتأويل القرآن، فطلبتني بما لم تجن يدي ولا لساني، وعصبته أنت وأهل الشام بي وألب عالمكم جاهلكم، وقائمكم قاعدكم، فاتق الله في نفسك))^(٤).

(١) المعجم الأوسط، الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: قسم التحقيق بدار الحرمين، الناشر: دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ٣ / ٢٢٧ . وبحار الأنوار، العلامة المجلسي، ٣٠ / ٥١٣.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ٢ / ٦٣١ باب النوادر، كتاب فضل القرآن، حديث رقم (١٧). وبحار الأنوار، العلامة المجلسي، ٨٩ / ٣٩ باب ضرب القرآن بعضه ببعض.

(٣) نهج البلاغة، خطب الامام علي (عليه السلام)، ١ / ٥٥.

(٤) المصدر نفسه ٣ / ١١٢.

فمؤثرات الدنيا وشوائب العاطفة تجعل المفسر يقول بالرأي كما بين الإمام (عليه السلام)، ذلك إذ ليس بمقدور الإنسان أن يتحرر وينعتق من قيود الذات، لذا تعد هذه الكلمات قواعد مهمة يمكن الأخذ بها في فهم القرآن الكريم.

وقد أفاد السيد الطباطبائي من هذه القواعد بقوله: ((وسنورد ما تيسر لنا مما نُقل عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأئمة أهل بيته في ضمن أبحاث روائية في هذا الكتاب، ولا يعثر المتتبع الباحث فيها على مورد واحد يُستعان فيه على تفسير الآية بحجة نظرية عقلية ولا فرضية علمية))^(١).

وهذا يعني الابتعاد عن التفسير بالرأي المنهي عنه من النبي وأهل بيته (عليهم السلام)، فقد شجب السيد العلامة تلك التحميلات والتكلفات التي قد تبدو من بعض المفسرين حينما يحاول أن ينأى بالآية إلى مرادات بعيدة عنها لأجل إيجاد المطابقة مع ما في ذهنه وما يتبناه من أفكار ويعتقده من رؤى تشكل راسباً لديه، بقوله: ((وأنت بالتأمل في جميع هذه المسالك المنقولة في التفسير تجد أن الجميع مشتركة في نقص وبئس النقص، وهو تحميل ما انتجته الأبحاث العلمية أو الفلسفية من خارج على مداليل الآيات، فتبدل به التفسير تطبيقاً وسمي به التطبيق تفسيراً، وصارت بذلك حقائق من القرآن مجازات، وتنزيل عدة من الآيات تأويلات. ولازم ذلك أن يكون القرآن الذي يعرف نفسه (بأنه هدى للعالمين ونور مبين وتبيان لكل شيء) مهدياً إليه بغيره ومستتيراً بغيره ومبيناً بغيره))^(٢).

كما أفاد السيد السبزواري من هذه القاعدة مستنداً بجملته من الروايات عن النبي وأهل بيته عليهم السلام أبرزها ما ورد في نهج البلاغة وهو قوله عليه السلام: ((ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلافه ثم يجتمع القضاة بذلك عند الإمام الذي استقضاهم فيصوب آراءهم جميعاً وإلهم واحد ونبیهم واحد وكتابهم واحد. أفأمرهم الله تعالى بالاختلاف فأطاعوه. أم نهاهم عنه فعصوه))^(٣).

(١) الميزان في تفسير القرآن، ١ / ١٢.

(٢) المصدر نفسه، ١ / ٨.

(٣) نهج البلاغة، خطب الامام علي (عليه السلام)، ١ / ٥٤.

ثم قال: ((وخلاصة ما يستفاد منها على طولها أنّ فهم القرآن لا بد وأن يكون أولاً بإرجاع المتشابه إلى المحكم وإرجاع المحكم إلى السنّة، ثم ترتيب الأثر بما يستفاد من المحكم والاعتراف بالعجز عن الفهم والدرك، وإنّ التفسير بالرأي والعمل به بدون ذلك يستلزم الاختلال المذموم عقلاً وشرعاً))^(١).

وأفاد من هذه القواعد في كيفية ولوج العملية التفسيرية الشيخ مكارم الشيرازي في تفسيره الأمثل إذ قال: ((أخطر طريقة في تفسير القرآن هي أن يأتي المفسر إلى كتاب الله العزيز مُعلماً لا تلميذاً. أي يأتي إليه ليفرض أفكاره على القرآن، وليعرض رؤاه وتصوراتهِ المتولدة من إفرازات البيئة والتخصص العلمي، والاتجاه المذهبي الخاص ... ونحن في منهجنا التفسيري سوف لا ننحو - بإذن الله - هذا النحو، بل نتجه بكل قلوبنا وأفكارنا نحو القرآن لنتتلمذ عليه، لا غير))^(٢). والواضح أنّ هذا المنحى في تفسير القرآن الكريم قد أخذه المفسر عن رسول الله وأهل بيته (عليهم السلام)، وبالأخص الإمام علي (عليه السلام) الذي يعد أول من وضع قواعد وأسس فهم القرآن الكريم بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السبزواري، ٥ / ٦٩.

(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١ / ٧.

المبحث الثاني: الضوابط المعرفية (الفكرية) في
محورية القرآن ومدارية السنة وتطبيقاتها

المطلب الأول: الضوابط العقدية وتطبيقاتها

المطلب الثاني: الضوابط النفسية وتطبيقاتها

المطلب الثالث: الضوابط الاجتماعية وتطبيقاتها

المطلب الرابع: الضوابط الأصولية وتطبيقاتها

المطلب الأول: الضوابط العقيدية وتطبيقاتها

أولاً: العقيدة السليمة

من أهم الشروط الواجب توفُّرها في المُفسِّر صحة الاعتقاد، لا سيَّما أنَّ للعقيدة تأثيرٌ كبيرٌ في صاحبها، فإن كانت عقيدة المُفسِّر فاسدةً، فلربَّما تدفعه إلى الكذب في نقل الأخبار، وتحريف النصوص؛ لتأويل الآيات بما يُوافق عقيدته الباطلة، ممَّا يُؤدِّي إلى صدِّ الناس عن طريق الهدى، وعدم اتِّباع منهج من سبقه من الصالحين. ونقل السيوطي عن أبي طالب الطبري حديثاً عن شروط التفسير قال فيه: ((اعلم أنَّ من شرطه صحة الاعتقاد أولاً ولزوم سنة الدين فإنَّ من كان مغموصاً عليه في دينه لا يؤتمن على الدنيا فكيف على الدين ثم لا يؤتمن من الدين على الإخبار عن عالم فكيف يؤتمن في الإخبار عن أسرار الله تعالى ولأنَّه لا يؤمن إن كان

۱۷۱

فيقام، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تخلقه كثرة الرد، وولوج السمع، من قال به صدق، ومن عمل به سبق))^(١).

وعليه فإن سلامة العقيدة ملك للمفسر، وهي من الضوابط التي يجب أن يستوفيه المفسر؛ لأن سلامة العقيدة هي الإيمان الراسخ والكامل بأن الله هو الواحد. ومن الذين تحدثوا في هذا الجانب هو عبد الكريم الخطيب الذي يرى أن تميع العقيدة الدينية في نفس المسلم، يؤدي إلى اختلاط كثير من مسائلها في تفكيره، وعدم وضوح المعالم والحدود لكثير من أمور الدين عنده، وكذلك يؤدي إلى البعد عن القرآن، ويرى أن سبب ذلك هي الخلافات السياسية والمذهبية، التي انعكست على المسائل الدينية، فجاءت تلك المسائل على وجوه كثيرة متناقضة متضاربة، بحجج تسندها آية من كتاب الله، متأولة على غير وجهها، أو حديث ضعيف، أو أثر مكذوب. وكان من هذا أن تشعبت مسائل الدين بين الطوائف المختلفة، وقد ذهبت كل فرقة في الدين مذهباً، وأقامت لمذهبها حجة من كتاب الله، وسنة رسول الله. وهذا هو أفدح ما في الأمر، وأشنع ما في هذا الخلاف^(٢).

ولهذا يجب على المفسر الذي يفسر كتاب الله أن يملك عقيدة سليمة، خالصة لوجه الله تعالى، وعليه أن ينظر إلى الآيات الكريمة على وفق ما جاءت في كتاب الله تعالى، ولا يحاول جر هذه الآيات فيؤولها مع ما يتناسب مع عقيدة تبناها، وبذلك يضيع الفهم الصحيح لكتاب الله تعالى. فالإعتماد على القرآن الكريم، وجعله المحور الأساس في تفسير الآيات القرآنية، وكذلك الالتزام بمدارية السنة والرجوع إليها في تعميق الفهم القرآني وتوكيده، كل ذلك يُبعد المفسر عن العقائد الباطلة، فلا يتأول الآية الكريمة بما يخالف المعنى الذي جاءت لأجله.

ثانياً: التجرد من الهوى والتعصب المذهبي المذموم

(١) نهج البلاغة، خطب الامام علي (عليه السلام)، ٢ / ٤٩.

(٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، ١ / ٨ - ٩.

يجب على المُفسّر التجرّد عن هوى النفس؛ لأنّ اتّباع الأهواء يدفع صاحبه إلى نُصرة مذهبه العقائدي على حساب اتّباع الحقّ، فيخدع الناس بلحن البيان، ولين الكلام.

وأن يعتمد في بيان معاني الآيات الكريمة على تفسيرها الصّحيح دون الميل إلى مذهبه أو هواه ورغبة نفسه. ولا يُطلق الكلام دون دليلٍ وبَيِّنَةٍ، وأن يخلص في تفسيره لله تعالى لينال توفيقه سبحانه، ويدخل في قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((من يُردِ الله به خيراً يُفقهه في الدين))^(١).

فإذا كان المفسر ذو تعصب مذهبي، فإنه يحاول تفسير القرآن الكريم من زاوية مذهبه وعقيدته، ويبدو أنّه أمر واقعي لا مفرّ منه لأنّ كل مفسر يعتقد انطلاقةً من إيمانه المذهبي أنّ عقيدته تؤيدها آيات القرآن الكريم، فإذا أراد أن يفسرها فعل ذلك بما ينسجم مع معتقده.

ويرى محمد عزة دروزة أنّ بعض المفسرين قد اتخذوا التفسير وسيلة من وسائل الجدل المذهبي وخاصة في علم الكلام. فقد تنازعوا واختلفوا حول العبارات القرآنية التي جاءت عن ذات الله وصفاته وأفعاله وأعضائه ونزوله وعروجه واستوائه نفياً وتأويلاً وإثباتاً وتسليماً. وقد اختلفوا كذلك وتجادلوا حول ما جاء عن أعمال الإنسان وسلوكه وإيمانه وكفره وذنوبه وحسناته وثوابه وعقابه واختلاف الناس الطبيعي أو الخلقي. فقرر بعضهم أنّ الانسان قادر على العمل وكسبه إياه، وقابليته على التمييز بين الحق والباطل، في حين أنّ آخرين رأوا في ذلك تغايراً مع قدرة الله ومطلق تصرفه ونقضاء لعلمه الأولي ولكونه المؤثر الحقيقي في كل شيء فقرروا أنّ أفعال الإنسان مكتوبة عليه في الأزل لا معدى له عنها، وغير ذلك من التجاذب والاختلاف حول العبارات القرآنية، واستند كل فريق إلى آيات قرآنية تؤيد رأيه في كل مسألة من تلك المسائل، واستغرق الفريقان في الجدل والتشاد والتجاذب كلّ يؤيد

(١) صحيح البخاري، البخاري، ١ / ٢٤ باب العلم قبل القول والعمل. وبحار الأنوار، العلامة المجلسي، ١ / ١٧٧ كتاب العلم.

مذهبه ويندد بالمذهب المخالف حتى خرجا في أحيان كثيرة عن وقار العلم بما وجهوه إلى بعضهم من الشتيمة والتسفيه والغمز والانتقاص بل والتكفير^(١).

وقد نقل أمثلة من تفسير الكشاف للزمخشري، وتعليقات ابن المنير عليه، وكل منهم يمثل مذهب الذي ينتمي إليه، ثم بعد نقله لهذه الأمثلة يقول: ((ومع أن من المسلم به أن النصوص القرآنية في حد ذاتها مستند للعقائد والأحكام والتشريع الإسلامي، إلا أننا نعتقد أن أصحاب المذاهب الكلامية والخلافية قد تكلفوا وتمحلوا في كثير مما تجاذبوا وتشادوا فيه على غير طائل ولا ضرورة، وإنهم حملوا العبارات القرآنية ما لا محل لتحميلها إياه ولا يقتضيه السياق الذي جاءت فيه، وإن هذا قد نشأ بنوع خاص من أخذهم إياها مستقلة لذاتها في حين تكون قد جاءت متصلة بسياق لا تفهم على وجهها إلا معه))^(٢).

والواضح أن مثل هذه الخلافات والتجاذبات والتعصب المذهبي، بين أهل المذاهب الكلامية، تجعل القرآن يناقض بعضه بعضاً مما يجب تنزيهه عنه، وهو بالفعل منزّه عنه بدليل قوله تعالى: أأبي تر □ □ تن تي □ □ □ □ {النساء: ٨٢}.

المطلب الثاني: الضوابط النفسية وتطبيقاتها

١ - الموضوعية في البحث

إن دخول التفسير بأفكار وآراء يُفسّر القرآن على ضوئه، هو تحميل النصوص ما لا تحتل وصرف الكلام عن مواضعه، فهذا المنهج لا يُنتفع به^(٣).

(١) ينظر: التفسير الحديث، محمد عزة دروزة، ١ / ٢٣٢.

(٢) التفسير الحديث، دروزة، ١ / ٢٣٧.

(٣) معجم مصطلحات المنطق، جعفر باقر الحسيني، دار الاعتصام للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، ٧٥.

أما من تجرّد للحقيقة وأخلص في البحث عنها، وتدبّر القرآن مُستعيناً بالله على فهمه والانتفاع به فقد سلك طريق الهدى واتبع سبيل المؤمنين، فعلى المفسر أن يتجرد في تفسيره لنصرة الحق وأن ينشد الهداية والرشاد من القرآن، أما من يقتحم هذا الميدان بنية البحث عما يتعلّل به لإرضاء نفسه أو غيره بما هو عليه من ضلال كبير فلن يزداد إلا ضلالاً وبعداً، ((وليس لأحد أن يحمل كلام الله ورسوله على وفق مذهبه إن لم يتبين من كلام الله ورسوله ما يدل على مراد الله ورسوله، وإلا فأقوال العلماء تابعة لقول الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، وليس قول الله ورسوله تابعاً لأقوالهم))^(١). فمحورية الخطاب القرآني ومداريتها، تعطي المفسر الموضوعية في تفسير الآيات القرآنية، فهي تُبعده عن تحميل النصوص ما لا تحتل، فهو إن إلزم بها، عن طريق تدبر آيات القرآن الكريم، والإعتماد على القرآن نفسه، والرجوع إلى السنة النبوية، أمّن من الخروج عن الطريق الذي ترسمه الآيات القرآنية.

٢ — الفهم الشمولي:

على المفسر أن يمتلك فهماً شمولياً جمعياً للقرآن الكريم، فلا يتناوله بنحو مجتزأ متناثر؛ لأنّه يحوي وحدة موضوعية بين آياته وسوره، على المفسر أن يراعيها، ويربط بينها، وإلا فإنّه لا يستطيع تفسير القرآن وفهمه فهماً صحيحاً وسليماً^(٢).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّخِذُوا قرآنكم ذكراً﴾ { الزمر: ٢٣ }، بمعنى أن بعض آيات القرآن ناظر إلى بعضها الآخر، وأن كل قسم منها يوضّح القسم الآخر ويفسّره، لانعطاف بعض آياته على بعضها الآخر ورجوعه إليه بتبيين بعضها

(١) الإيمان، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، عمان - الأردن، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ٣٢.

(٢) ينظر: المدرسة القرآنية، السيد محمد باقر الصدر، دار الكتاب الاسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، ٣٠.

ببعضها الآخر وتفسير بعضها لبعضها الآخر من غير اختلاف فيها، بحيث يدفع بعضه بعضه الآخر ويناقضه، كما قال تعالى: أأ ☐ ☐ ☐ بنبي ☐ بي تر ☐ ☐ تن تي تي ☐ ☐ ☐ {النساء: ٨٢}. وعن الإمام علي عليه السلام: ((كتاب الله تبصرون به، وتنطقون به، وتسمعون به، وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض))^(١).

وقد سعى كثير من المفسرين المعاصرين إلى التفسير التجزيئي للآيات وما تقدمه من معانٍ، إلى استيعاب روح الآيات وجوهرها القرآني العام، فكان ظهور التفاسير الموضوعية تطبيقاً عملياً لهذا المنحى. ويهدف الفهم الشمولي بشكل أساس، إلى رصد المحاور المهمة في القرآن الكريم لخلق جو يساعد على فهم آياته داخل إطار الترابط المتبادل بينها موقعاً وموضوعاً، وبهذا يتم النظر إلى الآيات باعتبارها مجموعة واحدة متماسكة لا باعتبارها عبارات مقطعة، ثم تلي ذلك مرحلة التفسير التجزيئي للآيات التي تجري في ضوء روحها العامة المهيمنة عليها.

يقول سيد قطب في هذا الصدد: ((ومن ثم يلحظ من يعيش في ظلال القرآن أنّ لكل سورة من سوره شخصية مميزة، شخصية لها روح يعيش معها القلب كما لو كان يعيش مع روح حي مميز الملامح والسمات والأنفاس، ولها موضوع رئيسي أو عدة موضوعات رئيسية مشدودة إلى محور خاص. ولها جو خاص يظل موضوعاتها كلها ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معينة، تحقق التناسق بينها وفق هذا الجو))^(٢). فالفهم الشمولي للقرآن يتحقق بمحورية الخطاب القرآني، وذلك بالاعتماد على وحدة الموضوع، وهذا يأتي من ربط الآيات القرآنية الكريمة بعضها ببعض، والاعتماد عليها في فهم الموضوع الواحد.

٣ - الموهبة

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ٢ / ١٧ الخطبة (١٣٣).

(٢) في ظلال القرآن، ١ / ٢٧ - ٢٨.

وقد استند العلماء في مقام إثبات هذه الحقيقة إلى الروايات الناضرة إلى تأثير سلوك الإنسان في التمهيد للحصول على العلم الجديد، ولا سيما الحديث الشريف القائل: ((مَنْ عَمِلَ بِمَا عِلْمَ وَرَّثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ))^(١).

ومضافاً إلى ذلك فقد رُوي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: ((إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ، بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَرَأْفَتِهِ بِخَلْقِهِ، وَعِلْمِهِ بِمَا يَحْدُثُهُ الْمَبْدُلُونَ مِنْ تَغْيِيرِ كَلَامِهِ، قَسَمَ كَلَامَهُ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ: فَجَعَلَ قِسْماً مِنْهُ يَعْرِفُهُ الْعَالَمُ وَالْجَاهِلُ، وَقِسْماً لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا مَنْ صَفَا ذَهْنُهُ، وَلَطَّفَ حَسَّهُ، وَصَحَّ تَمْيِيزُهُ، مِمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ، وَقِسْماً لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا اللَّهُ وَأَمْنَاؤُهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ))^(٢).

وقال الملا محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ): ((مَنْ أَخْلَصَ الْإِتْقَادَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، وَلِأَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَام)، وَأَخَذَ عِلْمَهُ مِنْهُمْ، وَتَتَبَعَ آثَارَهُمْ، وَاطَّلَعَ عَلَى جُمْلَةٍ مِنْ أَسْرَارِهِمْ، بَحِثَ حَصْلَ لَهُ الرِّسْوَخَ فِي الْعِلْمِ، وَالطَّمَأْنِينَةَ فِي الْمَعْرِفَةِ، وَانْفَتَحَ عَيْنَا قَلْبِهِ، وَهَجَمَ بِهِ الْعِلْمَ عَلَى حَقَائِقِ الْأُمُورِ، وَبَاشَرَ رُوحَ الْيَقِينِ، وَاسْتَلَانَ مَا اسْتَوَعَرَهُ الْمُتَرَفُّونَ، وَأَنْسَ بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ، وَصَحَبَ الدُّنْيَا بِبَدَنِ رُوحِهِ مَعْلُوقَةً بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى، فَلَهُ أَنْ يَسْتَفِيدَ مِنَ الْقُرْآنِ بَعْضَ غَرَائِبِهِ، وَيَسْتَنْبِطَ مِنْهُ نَبْذاً مِنْ عَجَائِبِهِ، لَيْسَ ذَلِكَ مِنْ كَرَمِ اللَّهِ تَعَالَى بِغَرِيبٍ، وَلَا مِنْ جُودِهِ بِعَجِيبٍ))^(٣).

ويجب عدم الخلط بين علم الموهبة وبين سرعة انتقال الذهن أو نشاطه أو دقته البالغة. وأيضاً ينبغي عدم اعتبار كلام بعض مَنْ يدّعي الباطن، والجماعات

(١) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ٤٠ / ١٢٨. وأعيان الشيعة، السيد محسن الأمين (ت ١٣٧١ هـ)، تحقيق وتخريج: حسن الأمين، دار المعارف للطبوعات، بيروت - لبنان، ١ / ٣٠٢.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ٨٩ / ٤٥. والحدائق الناضرة، المحقق البحراني، ١ / ٣٣ وجامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي، ١ / ١٧٧.

(٣) التفسير الصافي، المولى محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ)، تحقيق: صححه وقدم له وعلق عليه العلامة الشيخ حسين الأعلمي، الناشر: مكتبة الصدر - طهران، الطبعة الثانية، ١٤١٦ هـ، ١ / ٣٦.

المنحرفة الذين يتمسكون بالقرآن لإثبات مدّعاتهم، ويستندون إلى الذوقيات دون
توظيف للمستندات العلمية، وعلم الموهبة شيئاً واحداً.

٤- التدبر والتفكر

إنّ آيات القرآن الكريم تدعو إلى التدبر، وكل معانيه تستأهل التفكير، وبهما
يستعصم المفسر من الخطأ في التفسير، فتكون أحكامه عن بصيرة، وتصدر آراؤه
عن دراية.

يقول الزركشي في حديثه عن أصل الوقوف على معاني القرآن: ((أصل
الوقوف على معاني القرآن التدبر والتفكر واعلم أنّه لا يحصل للناظر فهم معاني
الوحي حقيقة ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة وفي قلبه بدعة أو إصرار
على ذنب أو في قلبه كبر أو هوى أو حب الدنيا أو يكون غير متحقق بالإيمان أو
ضعيف التحقيق أو معتمداً على قول مفسر ليس عنده إلا علم بظاهر أو يكون
راجعاً إلى معقوله وهذه كلها حجب وموانع وبعضها أؤكد من بعض))^(١). والزركشي
يرى أنّ التدبر والتفكر يحارب البدع والكبر والهوى وحب الدنيا.

يرى السعدي في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَكُنْ لَهُ الْبَاقِيَ إِذَا شَاءَ فَتَكُونُ﴾ { محمد: ٢٤ }
{، أنّ هؤلاء المعرضون لكتاب الله، لو تدبروه وتأملوه حق التأمل، لدلهم على كل
خير، ولحذرهم من كل شر، ولملأ قلوبهم من الإيمان، وأفندتهم من الإيقان،
ولأوصلهم إلى المطالب العالية، والمواهب الغالية، وليبين لهم الطريق الموصلة إلى
الله، وإلى جنته ومكملاتها ومفسداتها، والطريق الموصلة إلى العذاب، وبأي شيء
تحذر، ولعرفهم بربهم، وأسمائه وصفاته وإحسانه، ولشوقهم إلى الثواب الجزيل،
ورهبهم من العقاب الوبيل^(٢).

وإنّ قولنا بأنّ القرآن هو مصدر التشريع الاسلامي، لا يستقيم إلاّ بفهم سليم
صحيح لهذا الكتاب، وهذا الفهم الصحيح لا يكون إلاّ عن طريق التفكير والتدبر لهذا

(١) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت
٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت - لبنان، الطبعة
الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، ٢ / ١٨٠.

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١ / ٧٨٨.

الكتاب، وتذوق لأساليب بيانه، والوقوف على أسرارهِ. وهذا له أثرًا في تحقيق اتصالًا وثيقًا بكتاب الله تعالى، قائمًا على معرفة به، وتصور مسائل الدين تصورًا واضحًا^(١). والتدبر والتفكر في القرآن الكريم، تعد من أفضل العبادات وأجلها، كما أن الله تبارك وتعالى دعا إليها في كتابه العزيز، إذ قال: ﴿أَقِمْ وَاقِمْ وَاقِمْ وَاقِمْ وَاقِمْ﴾ {محمد: ٢٤} ^(٢). وبهذا فإن التدبر والتفكر يُعد من أهم الضوابط المعرفية لمحورية الخطاب القرآني ومداريتهِ، فالإعتماد على القرآن الكريم في تفسير الآيات الكريمة، وجعله المحور في عملية التفسير، يحتاج مزيدًا من التدبر والتفكر في آيات الكتاب العزيز.

المطلب الثالث: الضوابط الاجتماعية وتطبيقاتها

أولاً: معرفة علوم اللغة العربية

المقصود باللغة هنا اللغة المستعملة في التخاطب بين العرب، خاصة في الزمن الذي نزل فيه القرآن؛ ولأن القرآن الكريم نزل باللغة العربية، لذلك فإن على من يريد تفسيره إتقان اللغة العربية. كما قال مجاهد ((لا يحلّ لأحدٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلّم في كتاب الله إذا لم يكن عالمًا بلغات العرب))^(٣).

وتعدّ علوم اللغة العربية أمرًا ضروريًا للمفسّر في عمليّة التفسير؛ لأنّ القرآن نزل أً ين □ □ {الشعراء: ١٩٥}، ولا سبيل لبيانه، إلّا من جهة لسان العرب وبمراعاة القواعد التي تحكم هذه اللغة وتحدّد طريقة التعامل معها وبها: أأ □ □ □ بجز □ {يوسف: ٢}، لذا لا يجوز لأحد أن يدّعي فهمًا لكلام الله تعالى، فضلًا عن تفسيره، ما لم يكن عالمًا باللغة العربية وعلومها. ومن هذه العلوم الآتي:

١ - علم معاني المفردات

- (١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ١ / ١١.
- (٢) ينظر: تفسير القرآن الكريم، السيد مصطفى الخميني، ١ / ٨.
- (٣) البرهان في علوم القرآن، ١ / ٢٩٢. والإتقان في علوم القرآن، ٤ / ٢١٣.

ويُراد به العلم الذي يُعنى بتحديد المعاني والأوضاع والاستعمالات اللغوية المختلفة للألفاظ وضبطها^(١). فلا بدّ للمفسّر من معرفة موارد الاستعمال القرآنيّ للألفاظ وتحديد معانيها في عصر النزول.

٢ - علم النحو

وهو علم يُعرّف به كيفة تركيب الكلام، وما يتعلّق بالألفاظ من حيث وقوعها فيه على مقتضى الكلام العربي الصحيح^(٢). وهو ضروريّ للمفسّر؛ لأنّ المعنى يتغيّر ويختلف باختلاف الإعراب، أي يتغيّر بتغيّر الحركات. فالمعنى التركيبيّ للكلمات، وبالتالي معنى الجملة من الآية لا يتّضح إلّا من خلال معرفة موقع كلّ كلمة ودورها فيها.

٣ - علم الصرف والاشتقاق

الصرف هو العلم الذي يُعنى ببيان مادّة الكلمة وجذرها وأصلها. والاشتقاق هو توليد الألفاظ بعضها من بعضها الآخر^(٣). ويكمن وجه حاجة المفسّر إليهما في عمليّة التفسير لبيان معنى الكلمة بالرجوع إلى جذورها وأصولها اللفظيّة، وتمييز المعاني الأصليّة من المعاني التبعيّة، والتنبّه لاختلاف معاني الكلمات الذي ينشأ في كثير من الأحيان من الاختلاف في الاشتقاقات، بما يمكن أن يؤدّي إلى وقوع الخطأ في الفهم والتفسير.

وإنّ لعلم الصرف أثر واضح في المدونات التفسيرية المعاصرة، حيث اهتمت المدونات التفسيرية المعاصرة بعلم الصرف، لما له من تأثير في تفسير الآيات القرآنية الكريمة، فمثلاً أنّ من ضمن منهج العرض لدى محسن قرائتي في تفسيره،

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ، ٥٤-٥٥.

(٢) ينظر: مبادئ العربية في الصرف والنحو - قسم النحو، رشيد الشرتوني، الناشر: مؤسسة انتشارات دار العلم، قم المقدسة، ١٦٨ / ٤.

(٣) ينظر: المصدر نفسه - قسم الصرف، ٨ / ٤.

أنّه يبين جذر بعض المفردات واشتقاقاتها، حتى يتضح المعنى المراد من المفردات الصعبة في الآية الكريمة^(١).

٤ - علوم البلاغة

المقصود بعلوم البلاغة التي يحتاجها المفسر في عملية التفسير، خصوص: علم المعاني وعلم البيان، دون علم البديع، وهو يُعنى ببحث الأوجه والمزايا التي تزيد من جمالية الكلام وحسن المقال حصراً^(٢). فلا دور له في فهم المعنى، ولذلك لا يدخل في مجال الضوابط المعرفية لمحورية الخطاب القرآني ومداريته. وأمّا علم المعاني فيحتاجه المفسر، لأنّه يُعنى بأحوال الألفاظ العربية بلحاظ مطابقتها لمقتضى الحال^(٣).

وكذلك علم البيان، لأنّه يعنى ببيان المعنى الواحد بطرق مختلفة، من تشبيه ومجاز وكناية^(٤).

وهي من دون أدنى شكّ مرتبطة تمام الارتباط في تحديد المعنى الذي هو مدار اهتمام المفسر في عملية التفسير.

وتبرز حاجة المفسر إلى علوم البلاغة في جريان القرآن على أسلوب البيان البلاغيّ عند العرب ومحاكاته في مقام التخاطب والتفهم والتفاهم، مع لحاظ إعجازه من هذه الجهة، والعجز عن مجاراته في ما قدّمه من أسلوب بليغ.

ولذلك يجب على المفسر إتقان علم النحو؛ لأنّ المعاني تختلف باختلاف الإعراب، بالإضافة إلى علم الصرف؛ لأنّ الكلمة المبهمة يُعرف معناها بمصادرها ومشتقاتها، بالإضافة إلى علوم البلاغة الثلاثة، وهي: المعاني، والبديع، والبيان؛ لأنّ إعجاز القرآن الكريم لا يُدرك إلّا بها. وإن آيات القرآن الكريم قد نزلت على ضوء قواعد اللغة العربية.

(١) ينظر: تفسير النور، محسن قراعتي، ١ / ٧ .

(٢) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت ١٣٦٢هـ)، مطبعة مصطفى، الطبعة الأولى، قم المقدّسة، ١٩٨٨م، ٣٧٦.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ٤٨.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ٢٥٤.

وقد حثّت المدونات التفسيرية المعاصرة على ضرورة الاستفادة من قواعد اللغة العربية في بيان معاني الآيات القرآنية الكريمة، وخاصة الآيات المحكمة. ومن المفسرين الذين حثوا على ذلك السيد حسين البروجردي في تفسيره، إذ قال: ((وأما تفسير المحكمات فهو وظيفة الرجال العارفين بقواعد اللغة العربية، نعم لا بد أن يكون استنباطهم للظواهر في الآيات المحكمات مستنداً إلى ما يفهم من نفس تلك القواعد، لا أن يكون على حسب اقتضاء الآراء والأقيسة والاستحسانات أو الظن والتخمين والتخرّصات، فإنّه قد ورد النهي الشديد عن التفسير بالرأي المراد به أمثال ما ذكر من الاستنباطات وبيان المراد الواقعي في الآيات المتشابهات من عند أنفسهم لا أخذاً عن أهله، وإلا فتفسير محكمات القرآن، وبيان المراد والمفهوم منها حسب قواعد اللغة من أفضل الأعمال وأشرفها لأشرفيّة موضوعها وغايتها، كما صدرت الأوامر الأكيدة عن المعصومين عليهم السلام بذلك))^(١).

ثانياً: معرفة علوم القرآن الكريم وتأريخه

ينبغي للمفسّر أن يتوافر على مجموعة من العلوم التي تتعلّق بالقرآن الكريم، لما لها من أثر مهمّ في فهم القرآن، فعن الإمام الصادق عليه السلام، قال: ((قال الله سبحانه: **أَأْتِجُ تَحْزَنُ تَهْزَأُ** **جَمَ حَمَّ خَمَّ** ^(٢)، وذلك أنّهم ضربوا بعض القرآن ببعض، واحتجوا بالمنسوخ، وهم يظنون أنّه الناسخ، واحتجوا بالمتشابه وهم يرون أنّه المحكم... ولم يعرفوا موارده ومصادره، إذ لم يأخذوه عن أهله، فضلّوا وأضلّوا. واعلموا رحمكم الله: أنّه من لم يعرف من كتاب الله عزّ وجلّ الناسخ من المنسوخ، والخاصّ من العامّ، والمحكم من المتشابه... فليس بعالم بالقرآن، ولا هو من أهله))^(٣).

ومن أبرز هذه العلوم: القراءات، وأسباب النزول، والمكي والمدنيّ، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، وغيرها. ومن الأمثلة عليها:

(١) تفسير الصراط المستقيم، البروجردي، ٨ .

(٢) المائدة/ ١٣ .

(٣) بحار الانوار، العلامة المجلسي، ٩٠ / ٤ - ٥ .

١- العناية بالمطلق والمقيّد

ويُراد به العناية بوجود المطلق والمقيّد في الآيات القرآنيّة، والالتفات إلى الفهم الصحيح منهما، كي نفهم مراد الله تعالى من كلامه، حيث يكون المقيّد وهو لحاظ خصوصيّة زائدة على الطبيعة قرينة على التصرّف في ظهور المطلق الذي هو عدم لحاظ الخصوصية الزائدة. ولا فرق في تأخّر ورود المقيّد على المطلق وتقدّمه. ويمكن الفارق بين العامّ والمطلق في أنّ العامّ يدلّ على الشمول بواسطة وضع اللفظ، وألفاظه هي الكلّ والجميع وأمثالهما. وأمّا المطلق فلم يكن بواسطة اللفظ، بل هو مستفاد من العقل ببركة مقدّمات الحكمة: إمكان الإطلاق والتقييد + عدم نصب القرينة على التقييد + كون المتكلّم في مقام بيان تمام المراد^(١).

٢- العناية بالعامّ والخاصّ

ويُراد به العناية بوجود العامّ والخاصّ في الآيات القرآنيّة، والالتفات إلى الفهم الصحيح منهما، والتوجّه إلى ما أراد الله تعالى من كلامه؛ لأنّ الخاصّ قرينة على بيان المراد من العامّ الذي يشمل بمفهومه جميع ما يصلح انطباق عنوانه عليه في ثبوت الحكم له. ولا فرق في تأخّر ورود الخاصّ على العامّ وتقدّمه. وللعوم ألفاظ تخصّه دالّة عليه: إمّا بالوضع، أو بالإطلاق بمقتضى الحكمة. وهي: إمّا تكون ألفاظاً مفردة، مثل: (كلّ) وما في معناها، مثل: (جميع) و(تمام)، و(أيّ)، و(دائماً)، وإمّا أن تكون هيئات لفظيّة كوقوع النكرة في سياق النفي والنهي، وكون اللفظ جنساً محليّ باللام، جمعاً كان أو مفرداً^(٢).

(١) ينظر: أصول الفقه، الشيخ محمد رضا المظفر (ت ١٣٨٣هـ)، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١ / ١٧١، ٢٢٤ وما بعدها. ودروس في علم الأصول - الحلقة الثالثة، السيد محمد باقر الصدر (ت ١٤٠٠هـ)، الناشر: دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ٢ / ٧٧-٩١.

(٢) ينظر: دروس في علم الأصول - الحلقة الثالثة، السيد محمد باقر الصدر، ٢ / ٩٢-٩٨.

ومن الأمثلة على تخصيص العام بالخاصّ: قوله تعالى: أأ ☐ ☐ ☐ بر ☐ ☐ {البقرة: ٢٨٨}، فإنّه عام، يخصّصه قوله عزّ وجلّ: أأ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ {الطلاق: ٤}. وقوله تعالى: أأ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ {التوبة: ٥}، فإنّه عامّ، يخصّصه قوله تعالى: أأ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ {البقرة: ٤}. وفي تخصيص القرآن الكريم بما ورد في السنّة الشريفة، فهو جائز في صورة لو ثبتت حجّية خبر الواحد بدليل قطعي^(١).

٣- العناية بدلالة المجمل والمبيّن

ويُراد به العناية بوجود المجمل والمبيّن في الآيات القرآنيّة، والالتفات إلى الفهم الصحيح منهما، والتوجّه إلى ما أراد الله تعالى من كلامه، حيث يكون المبيّن وهو ما كان له ظاهر يدلّ على مقصود قائله أو فاعله على وجه الظنّ أو اليقين، قرينة على المجمل وهو ما لم تتّضح دلّالته، أي: ما جهل فيه مراد المتكلّم ومقصوده إذا كان لفظاً، وما جهل فيه مراد الفاعل ومقصوده إذا كان فعلاً^(٢).

ونطاق هذه القاعدة يشمل الآيات القرآنيّة التي تكون جملة (تتساوى فيها المعاني)، سواءً أكانت في العقائد والمعارف، أو في الأخلاق، أو في الأحكام، وإنّ كانت في الأحكام أحوج من الآخرين.

والعلوم القرآنيّة هي مجموعة مباحث في القرآن الكريم. وعناوين يتم الخوض والبحث فيها قبل التعرّض لتفسير القرآن وفهم معانيه، ولها ارتباط مباشر بمحتوى القرآن وتفسيره: والمباحث المحورية والرئيسية لهذا العلم، والتي أكثر ما يتطرق إليها العلماء في هذا المجال، هي الحديث عن الوحي، تاريخ نزول القرآن، تاريخ جمع القرآن، القراءات، علم آيات الأحكام، إعجاز القرآن، المحكم والمتشابه، الناسخ والمنسوخ، المكي والمدني، علم أسباب النزول، لكون هذه المباحث ترتبط ارتباطاً قوياً ومباشراً بتفسير القرآن ومحتواه مثل مباحث المتشابه والمحكم، وأسباب النزول،

(١) ينظر: البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي، ٤٠٠.

(٢) ينظر: أصول الفقه، المظفر، ١ / ٢٤٨.

وهناك مباحث لها من الأهمية، كموضوع (حفظ القرآن من التحريف) وغير ذلك من المباحث.

ولهذا فإن أي مفسر لا يرى نفسه مستغنياً عن علوم القرآن، بل ترى أغلب المفسرين يدونون بعض العلوم القرآنية في بداية مؤلفاتهم قبل شروعه بالتفسير لارتباطها به. وقد كان لعلوم القرآن الأثر الكبير في تفسير السيد الطباطبائي، فكان يلتمس طريق القرآن للتدبر في سياق الآيات، والاستمداد بما يتحصل من القرآن والامارات الداخلية والخارجية للعلم بمكية السور ومدنيتها. ونلاحظ أنه من خلال إحاطته بعلوم القرآن استطاع الاهتداء إلى المنهج الإسلامي القويم في معالجة الكثير من القضايا الإسلامية. فقال السيد الطباطبائي: ((وللعلم بمكية السور ومدنيتها ثم ترتيب نزولها أثر هام في الأبحاث المتعلقة بالدعوة النبوية وسيرها الروحي والسياسي والمدني في زمنه (صلى الله عليه وآله وسلم) وتحليل سيرته الشريفة، والروايات - كما ترى - لا تصلح أن تنهض حجة معتمداً عليها في إثبات شيء من ذلك على أن فيما بينها من التعارض ما يسقطها عن الاعتبار. فالطريق المتعين لهذا الغرض هو التدبر في سياق الآيات والاستمداد بما يتحصل من القرائن والامارات الداخلية والخارجية، وعلى ذلك نجري في هذا الكتاب والله المستعان))^(١). وهكذا يتضح أثر علوم القرآن، وتحديدًا المكي والمدني، في تفسير الطباطبائي، فالمقياس الذي وضعه الطباطبائي للعلم بالمكي والمدني هو السياق القرآني.

وقد ذكر السعدي القراءات وأثرها على التفسير، في تفسيره لقوله تعالى: أأَ خَم □ □ {البروج: ١٥}، فقال: ((وخص الله العرش بالذكر، لعظمته، ولأنه أخص المخلوقات بالقرب منه تعالى، وهذا على قراءة الجر، يكون (المجيد) نعتًا للعرش، وأما على قراءة الرفع، فإن المجيد نعت لله، والمجد سعة الأوصاف وعظمتها))^(٢).

ويرى الأستاذ محمد عزة دروزة أن الاستعانة بالألفاظ والتراكيب والجمل القرآنية في صدد التفسير والشرح والسياق والتأويل والدلالات والهدف والتدعيم والصور والمشاهد، كلما كان ذلك ممكنًا. وهذا ممكن في الأعم الأغلب حيث يوجد كثير من

(١) الميزان في تفسير القرآن، ١٣ / ٢٣٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٩١٨.

الآيات مطلقة في مكان، مقيدة في مكان آخر، وعامة في مكان مخصصة في مكان آخر، كما يوجد كثير من الجمل المختلفة في الألفاظ المتفقة في المعاني والمقاصد^(١).

ثالثاً: معرفة علوم الشريعة

ويُقصد بها العلوم التي نشأت أو تطوّرت وتبلورت داخل البيئة المعرفية الإسلامية، والتي يحتاجها المفسر في فهم القرآن وبيان مقاصده، وأبرزها العلوم الآتية:

١ - علوم الحديث:

وهي العلوم التي تعنى بدراسة الحديث، لجهة سنده ورواته، ومنتنه ودلالته^(٢)، بحيث يحتاج إليها المفسر في عملية التفسير، ولا سيما أنّ الروايات لها دور كبير في عملية التفسير. ويكمن وجه حاجة المفسر إلى علوم الحديث في الأمور الآتية:

البحث عن أحوال رواة الحديث وأوصافهم، والتي من خلالها يكون الحكم بجواز قبول الرواية من عدمها، وهذا ما يتكفل به علم الرجال، فهذا العلم يحتاج إليه كل من أراد استنباط الأحكام الشرعية. وكذلك في دراسة أحوال الحديث متناً وسنداً، وبيان طرق النقل، وأحوال الرواية وأصولها، وهذا ما يتكفل به علم الدراية. وكذلك في دراسة المتن والسند، وهذا ما يتكفل به علم الرواية، فهذه العلوم وغيرها تساعد المفسر في عملية الاستفادة من الأحاديث في تفسير الآيات القرآنية، واستنباط الأحكام الشرعية^(٣).

(١) ينظر: التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، ١ / ٨.

(٢) ينظر: كليات في علم الرجال، الشيخ جعفر السبحاني، ١٣-٢٠.

(٣) ينظر: مذاهب الاسلاميين في علوم الحديث، الدكتور حسن عيسى الحكيم، دار الكتب والوثائق الوطنية، بغداد، الطبعة الثانية، ٢٠١٥م، ٢٠ - ٢٦.

٢ - علم أصول الفقه:

وهو العلم الذي يُعنى بدراسة القواعد والعناصر المشتركة في الاستدلال والاستنباط الفقهي^(١). وقد وُضعت أسس هذا العلم اعتماداً على قواعد عقلية، ويزوّد هذا العلم علم التفسير بضوابط وقواعد عامّة من شأنها أن تعين المفسّر في عمليّة التفسير، ولا سيّما في مجال بيان آيات الأحكام.

وإنّ موضوع أصول الفقه هو (الدليل الإجمالي)، كما حدّدته مدرسة الحلة الفقهية، وقد صرّح العلامة الحلي بذلك^(٢).

ولقد حضر هذا العلم في علم التفسير، فحضور علم أصول الفقه في كتب التفسير يجد مبرره وسنده في أنّ الحاجة ماسة إلى هذا العلم وتبقى ضرورية للمشتغل بالعلوم الإسلامية بصفة عامة، وعلم التفسير والبيان بصفة خاصة.

وقد نص الطاهر ابن عاشور على أنّ أصول الفقه علم مهم للمفسر، فرغم أنّ المفسرين لم يذكرونها بشكل صريح في كتبهم، لكنه كان حاضراً عندهم بشكل ضمنى، فهم يعدونه مادة أساسية في التفسير والفهم لكتاب الله، بحيث يذكرون ويعرضون لكثير من القواعد في ثنايا مؤلفاتهم وكتبهم، وفي تفسيرهم لكتاب الله، ومما يقرره الطاهر ابن عاشور في مقدمة تفسيره ((إنّ علم الأصول قد أودعت فيه مسائل كثيرة هي من طرق استعمال كلام العرب وفهم موارد اللغة، أهمل التنبيه عليها علماء العربية مثل مسائل الفحوى ومفهوم المخالفة، وقد عدّ الغزالي علم الأصول من جملة العلوم التي تتعلق بالقرآن وبأحكامه فلا جرم أن يكون مادة

(١) ينظر: دروس في علم الأصول، السيد محمد باقر الصدر، ٢ / ٩-١٢. ومدخل إلى العلوم الإسلامية، الشهيد مرتضى المطهري، ترجمة: حسن علي الهاشمي، مراجعة: عبد الجبار الرفاعي - السيد علي مطر، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، ٣ / ٩-١٠، ٢١-٢٢.

(٢) ينظر: التأصيل والتجديد في مدرسة الحلة الفقهية دراسة تحليلية، الدكتور جبار كاظم الملا، راجعه وضبطه: مركز تراث الحلة، دار الكفيل، العراق، الطبعة الأولى، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م، ٢١٢.

للتفسير. وإنّ علم الأصول يضبط قواعد الاستنباط ويفصح عنها فهو آلة للمفسر في استنباط المعاني الشرعية من آياتها^(١). وذلك لأن هذا العلم يضبط قواعد التفسير ويعين على البيان، فهو آلة للمفسر في استنباط وتلقي المعاني الشرعية من الآيات القرآنية.

٣ - علم الفقه:

وهو العلم الذي يُعنى باستنباط الأحكام الشرعية من مصادرها الشرعية، والاجتهاد في تطبيق قواعد الاستنباط في البحث عن الحكم الشرعي لموضوع ما^(٢). ويستفيد المفسر من علم الفقه والأحكام من خلال ما يقدّمه له من قواعد وضوابط اجتهادية واستنباطية، ولا سيّما في البحث الفقهي لآيات الأحكام، والتي من شأنها أن تغني آليات البحث التفسيري ووسائله.

وهو من علوم الشريعة التي كان لها تأثير في المدونات التفسيرية المعاصرة، ففي قوله سبحانه وتعالى في وصف المرأة: أأ □ □ □ □ □ □ بج بج {الزخرف: ١٨}، حيث يشير إلى الروح الخاصة والرقيقة واللطيفة للمرأة، وضعفها الذاتي الذي يمنعها من خوض غمار الحياة القاسية. إنّ هذه نظرية علمية بشأن المرأة، يؤكّد عليها القرآن الكريم ويثبتها، ولكننا نستنبط منها على المستوى الفقهي أنّ المرأة لا تصلح للتصدّي للأمور الصعبة والشاقة، من قبيل: القضاء، حيث تكون الشؤون الإدارية شائكة، وتحتاج إلى شدة وصلابة وعزيمة فائقة، الأمر الذي تفتقر إليه المرأة، حيث لا تملك القدرة حتّى للدفاع عن نفسها لدى الخصام^(٣).

(١) التحرير والتنوير، ١ / ٢٦.

(٢) ينظر: مدخل إلى العلوم الإسلامية، ٣ / ٧-٨، ٤٧.

(٣) ينظر: التفسير والمفسرون، الشيخ محمد هادي معرفة، ٢ / ٨٢٢.

٤ - علم الكلام:

وهو العلم الذي يُعنى ببيان أصول العقيدة، كالتوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة، والمعاد^(١)، عند علماء الإمامية، والتوحيد، والنبوة، والمعاد، عند علماء أهل السنة، وما يرتبط بها من مسائل، كالجبر والتفويض، والحسن والقبح العقليين، والموت، والبرزخ، وغيرها. وقد تناول القرآن الكريم في قسم كبير من آياته هذه المسائل.

وإنّ الاطلاع على علم الكلام، والتعرّف إلى أدلّته، تنتقل المفسر إلى مستوى الفكر والوعي والإدراك الصحيح؛ ليصبح ملماً بالأدلة القويّة، والحجج البالغة حول إثبات الصانع والتوحيد وصفات الله والنبوة والإمامة والعدل والمعاد وسائر المسائل الاعتقاديّة. وبالخصوص علم معرفة الله المثيب والمجازي لعباده على فعل الخيرات وارتكاب السيئات، وكيفية آثاره وأفعاله وتكاليفه على الإجمال. وذلك هو سبب السعادة الأبديّة، والخلّاص من الشقاء الأبديّ، ولا غاية أهمّ من هذه الغاية^(٢).

فالمعرفة بهذه العلوم تُعدّ من الضوابط المعرفية لمحورية الخطاب القرآني ومداريتها، فإن كان المفسر على دراية بها، أمن من الانحراف عن المسار الصحيح الذي تقصده الآيات القرآنية الكريمة، وابتعد عن التأويلات الباطلة التي قد تؤدي بصاحبها إلى الكفر والضلال.

رابعاً: الوعي بمشكلات العصر وأزماته

وتعد المعرفة بها ضرورية لإبراز موقف الإسلام منها وسبل تفاديها وكيفية معالجتها.

(١) ينظر: دلائل الصدق لنهج الحق، الشيخ محمد حسن المظفر (ت ١٣٧٥هـ)، تحقيق : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الناشر : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ١ / ٢٢

(٢) ينظر: نهاية المرام في علم الكلام، العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ)، إشراف: الشيخ جعفر السبحاني، تحقيق: فاضل العرفان، الناشر: مؤسسة الامام الصادق (ع)، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١ / ١٣

ويجب في كل عصر من العصور أن يُنظر إلى حاجة ذلك العصر ومشكلاته عند تفسير القرآن الكريم، فعن ابن عباس أنه قال: ((القرآن يفسره الزمان))^(١). لكن مع عدم الابتعاد عن قواعد اللسان العربي، فعلى كل جيل من أجيال المسلمين المتلاحقة أن ينظر في الكتاب العزيز، على هدى مشكلات هذا الجيل (أي الزمان)، ثم يفهم هذه المشكلات في أصول قواعد اللسان، فينتج تفسير جديد متفق مع القدماء في الأصول اللغوية، ومختلف عنهم في أنه يستجيب لمشكلات هذا العصر الراهن.

إنّ كتاب الله كلما طال المدى غُضَّ، يتَّسم بمعايشته لواقعنا، ومواكبته لعصرنا، كأنّه حديث عهد بالنزول، والوعي بمشكلات العصر يستلزم التجديد في التفسير.

والغرض من التجديد بيانُ الهداياتِ القرآنية في شتى مجالات الحياة، وتعايشُ المفسر مع هموم الأمة وتفاعله مع قضاياها، ومواجهة التحديات والعقبات التي تواجه البشرية بالهدايات الربانية والنفحات القدسية، والأمة في حاجة شديدة إلى تفسير تتوجه العناية فيه إلى هداية القرآن على الوجه الذي يتفق مع الآيات الكريمة المنزلة في وصفه وما أنزل لأجله من الإنذار والتبشير والهداية والإصلاح^(٢).

ومن أكثر المفسرين مراعاةً لأسلوب العصر الحاضر، هو احمد مصطفى المراغي، حيث رأى أنّ ميزة هذا العصر هي بميل أهله لسهولة الكلام، وذلك حتى يفهم الغرض المراد منه حين التخاطب، فكان نهجه في التفسير هو أن يقرأ في الموضوع الواحد ما كتبه أعلام المفسرين على اختلاف نزعاتهم وتباين أزمנתهم، فكان إذا اطمأن إلى فهم ما قرأ وهضمه، كتبه بأسلوب العصر الحاضر^(٣).

وقد ذكر محمد جواد مغنية في تفسيره (الكاشف)، أنّ من أهم مشاكل هذا العصر هو سيطرة نفوذ الغرب على البلاد الاسلامية، مما كان له أثر كبير على القيم الاجتماعية؛ لأنه أول ما اتجه إلى شريعة القرآن، ومحا أثرها من دور القضاء، وأبدلها

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ١ / ٦.

(٢) ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ١ / ١٠.

(٣) ينظر: تفسير المراغي، ١ / ١٨.

بالقانون الوضعي الفرنسي والانكليزي ، وألغى تعلم العقائد والأخلاق الدينية من مناهج التعليم، وأفسح المجال للميسر والفجور، وحنانات الخمر، ولكل ما من شأنه أن يشل العقيدة والأخلاق، فاختلفت سمات القرآن والسنة النبوية من الحياة الاجتماعية، فكان هذا الجيل الجديد الذي لا يهتم بعقيدة ولا خلق، وهو في الواقع نتاج للأوضاع الفاسدة التي نشأ فيها، ورُبِّي عليها، فمن الطبيعي أن يكون انعكاساً لها، ومن الخطأ أن ننظر إلى الجيل مستقلاً عن مجتمعه وبيئته^(١).

ثم ذكر أن الحل لهذه المشكلة هو العمل جهد المستطاع، وعدم انتظار معجزة من السماء. وحسب رأيه أن الحل يكون عن طريق المدارس، وذلك بأن نجعل للدين مكاناً مرموقاً فيها، وخاصةً تدريس القرآن الكريم حفظاً وتفسيراً؛ لأنه حجر الأساس. وإذا ما تعذر ذلك في المدارس الحكومية، فعلينا أن ننشئ مدارس أهلية لهذه الغاية إلى جانب العلوم الزمنية الدارجة. فيؤدي كل واحد من رجال الدين مهمته بإخلاص، ويكون هادياً واعياً، ينفذ إلى قلوب الشباب، ونوضح لهم الحقائق الدينية، ونيسرها للأفهام، ونذيعها بالكتب والخطب والمقالات والنشرات، ونثبت للجاهل والمشكك أن الإسلام بعقيدته وشريعته وأخلاقه ينبع من حاجات الإنسان الروحية والمادية، ويضع لمشاكله الحلول السليمة، ويهدف إلى سعادته دنيا وآخرة. وإذا قرأت هذا التفسير ستجد ذلك موجوداً فيه، بحيث أنه يربط الدين بالحياة بشتى مظاهرها، ويهتم بالجانب الانساني أكثر من اهتمامه ببلاغة الكلمة^(٢).

والذي يبدو لنا أن عدم اهتمام مغنية ببلاغة الكلمة، يرجع إلى حاجة العصر الذي عاش فيه، فالعصر الذي عاش فيه كان عصر التهاون والاستخفاف بالدين وشريعته وقيمه، على عكس المفسرين القدامى الذين اهتموا بالتراكيب الفصيحة، والمعاني البليغة، فكان من الطبيعي أن تكون لغة التفسير عند مغنية مختلفة عن لغة المفسرين القدامى.

ومن بين التفاسير التي راعى فيها أصحابها تفسير القرآن الكريم بلغة العصر، هو (الأساس في التفسير) لسعيد حوى فقد ذكر في مقدمة تفسيره تحت عنوان (

(١) ينظر: التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، ١ / ٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ١ / ٩ .

بعض احتياجات عصرنا بالنسبة للقرآن)، جملة من الأهداف التي قصدها من التفسير. وهذه الأهداف هي: (١)

١- الحديث عن الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم حديثاً موسعاً، يعين على فهم القرآن ويبرز جانباً هاماً من جوانب إعجاز النظم القرآني، كما يرد من خلال ذلك على شبهات أعداء الإسلام حول ترتيب القرآن ووحدته الموضوعية.

٢- الإجابة على كثير من التساؤلات التي تتردد في هذا العصر، والاستفادة من العلوم العصرية، وبيان موقف القرآن منها.

٣- الإجابة على كثير من الشبه والاعتراضات التي طرحتها أعداء الإسلام وتولى كبرها أتباعهم ممن ينتسبون إليه، حول إمكانية الحياة في ظلال القرآن، وتطبيقه في شتى مجالات الحياة.

٤- تكوين الشخصية المسلمة التي تتحقق بمعاني القرآن، وترجمته إلى واقع عملي، وإذا وجد الفرد المسلم على هذا الأساس فسوف توجد الأمة المسلمة التي تستحق النصر والتمكين، وتؤدي دورها في هذا الوجود.

٥- هذا إلى جانب ضرورة التيسير على القارئ المسلم، واستخلاص الفوائد من أمهات كتب التفسير؛ لأن المسلم المعاصر يُعجبه أن يأخذ خلاصة التحقيق بأدلتها المباشرة، أما التحقيق نفسه فيمكن للمتخصصين أن يرجعوا إليه في مواضعه.

٦- عرض العقيدة الإسلامية عرضاً صحيحاً بعيداً عن تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين، وتحريف الملحدين، وخالياً من المشكلات الكلامية والتعقيدات الفلسفية مع الرد على الملل والنحل المخالفة للإسلام.

ونبصر في التفسير الأمتل أن الشيخ الشيرازي لم يفته ذلك، فتحت عنوان (متطلبات العصر)، ذكر أن لكل عصر خصائصه وضروراته ومتطلباته، وهي نتيجة للأوضاع الاجتماعية، والمتغيرات الفكرية، الطارئة على مفاصل الحياة في

(١) ينظر: الأساس في التفسير، ١ / ٨ وما بعدها.

ذلك العصر. كذلك لكل عصر مشكلاته وملابساته الناتجة عن تغيير المجتمعات والثقافات، والمفكر الفاعل في الحياة الاجتماعية، هو ذلك الذي فهم الضرورات والمتطلبات، وأدرك المشاكل والملابسات، وبعبارة أخرى هو الذي استوعب مسائل عصره. أما الذي لا يدرك هذه المسائل، ولا يتفاعل معها بسبب عدم انتمائه إلى عصره، أو فقدانه عنصر (المعاصرة)، فهو الهامشي الذي لا يقدر على التأثير ولا على المعالجة^(١). فالوعي بمشكلات العصر، وإيجاد الحلول اللازمة لها لا يتحقق من دون العودة للقرآن الكريم، وجعله المحور الأساس في كل القضايا التي تواجه الأمة في كل زمان ومكان، كون القرآن الكريم لم ينزل لقوم دون قوم، ولا لزمان دون زمان، وإنما هو لكل البشر والأزمان، وكذلك الالتزام بالسنة النبوية والرجوع إليها في حل مشكلات العصر، فهي الموضحة والمؤكددة للقرآن الكريم في كل العصور.

(١) ينظر: الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل، ١ / ٤.

الفصل الثالث: أبعاد محورية القرآن ومدارية السنة في التفاسير المعاصرة

المبحث الأول: البعد العقدي

المبحث الثاني: البعد التشريعي

المبحث الثالث: البعد الأخلاقي

المبحث الرابع: أبعاد أخرى (اجتماعي، علمي، سياسي)

المبحث الأول: البُعد العقدي

توطئة

المطلب الأول: الأسماء والصفات

المطلب الثاني: النبوة

المطلب الثالث: الإمامة

المطلب الرابع: العصمة

المطلب الخامس: القضاء والقدر

توطئة

القرآن الكريم هو منهج حياة للأمة، ويجب الرجوع إليه وجعله المرجعية في دراسة واقع المسلمين، والتبصّر بمشكلاتهم وأمراضهم، وفي تحديد الوسائل والأدوات اللازمة لتقويم هذا الواقع، واعتماد الأسس اللازمة لإيقاظه ونهوضه.

وقد تتوّعت أبعاد محورية القرآن ومدارية السنة في التفاسير المعاصرة، فقد ظهرت أبعاد متعددة في التفسير، وظهرت في إطار كل واحد من هذه الأبعاد اجتهادات متعدّدة، عبّرت عن نفسها بآراء وتسميات، عادةً ما تلتقي بمحور مشترك، تتوحّد فيه أصولها ومنطقاتها وغاياتها، وإن كانت لا تتوحّد في أدوات استنتاج النص، وأساليب صياغة المفاهيم القرآنية.

وفي مراجعة سريعة للتفاسير المعاصرة، يمكن استخلاص أبرز الأبعاد التي ترسمها المفسّرون في أعمالهم، مع العلم أنّ بعض مدوّنات التفسير يلتقي في ثناياها عدّة اتّجاهات يستند إليها المفسّر في معالجة النص واستكناه دلالاته.

وأبعاد محورية القرآن ومدارية السنة في التفاسير المعاصرة، هي مدى اتساعها، وكل ما يتعلق بها، في هذه التفاسير المعاصرة.

وسنذكر في هذا الفصل أهم أبعاد محورية القرآن ومدارية السنة في التفاسير المعاصرة، ومنها: البعد العقدي، والبعد التشريعي، والبعد الأخلاقي، بالإضافة إلى أبعاد أخرى، مثل الاجتماعي، والعلمي والسياسي.

وأول هذه الأبعاد التي سندرسها هو البعد العقديّ، وهو البعد الذي يهدف إلى بيان مسائل العقيدة، وتقديرها، وبسط معالمها، والدفاع عنها، من خلال تفسير الآيات. وللبعد العقدي في القرآن الكريم أهمية كبيرة، وذلك لأنه يلامس جوهر الدين وأساسه الذي ينبني عليه ما يأتي بعده وهو التدين أي الالتزام بتعاليم الدين، وإن

الآيات التي نزلت على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في مكة، أول ما عالجت العقيدة بمحاربة الشرك وعبادة الأوثان ثم إعطاء الأدلة والبراهين على وحدانية الله عز وجل (إلهية وربوبية)، ثم بعد ذلك نزلت آيات الأحكام العملية بالمدينة.

[illegible]

والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، كان كل همه أن يؤمن قومه، حتى كان
عدم إيمانهم يشق عليه^٣ □ □ □ □ □ {الشعراء: ٣}.

ومن هنا اهتم المفسرون بتوضيح آيات العقيدة، والدوران في فلکها، وكان لكل منهم منهجه الخاص في تناول هذا الموضوع. وسنتناول في مبحث البعد العقدي أهم مسائل العقيدة، مثل الأسماء والصفات، والنبوة، والإمامة، والعصمة، والقضاء والقدر.

المطلب الأول: الأسماء والصفات

إنَّ معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العظمى من معالم الدين التي ينبغي للمسلم أن يتعرف إليها، فهي تغرس في قلب الإنسان الإيمان العميق، والإخلاص التام في العبادة لله الواحد القهار، وهي تبعث الخشوع في النفس، والسلامة في العقل، والطهارة في القلب، والنقاء في الوجدان. وتحرك الإنسان نحو كل خير، وإبعاده عن كل شر وإثم، وتفتح أمام روحه آفاقًا فسيحة من الأعمال الصالحة، والأقوال الطيبة.

أولاً: الأسماء

إن الله تعالى يمدح نفسه بأنَّ له أحسن الأسماء وأعلاها، وأنَّ هذه الأسماء هي غاية في الحسن والكمال والتمام، قال تعالى: أأ [] [] [] [] [] []
ل {الحديد:٣}، وقال تعالى: أ [] خي [] ير [] ين [] [] [] [] [] []
[] [] بح [] ب [] به [] تج [] تح [] تخ [] ته [] ثر [] جم [] حم [] خم [] []
[] [] سم []
[] [] [] [] [] [] [] [] {الحشر:٢٢-٢٤}. وقال تعالى: أأ [] [] [] [] [] [] [] []
[] [] [] [] [] [] [] [] {الاسراء:١١٠}.

وقد جاء ذكر الأسماء في كتاب الله وعلى لسان رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومعرفة هذه الأسماء واستيفائها عدًّا وحفظًا والإحاطة بها علمًا وفهمًا والقيام بحققها هو من أعظم الأعمال، فقد جاء في الحديث الشريف: ((إِنَّ اللَّهَ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ

ولا يعرف الإنسان ربه إلا بمعرفته بصفاته وأسمائه، فإذا ما تم له معرفة ذلك عرف ربه (جل وعلا)، وحينئذ يسأل ربه ويدعوه بأسمائه الحسنى كما أمر الله بذلك في محكم كتابه حيث قال: أأ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ {الأعراف:١٨٠} .

ويعتقد بعض مفسري الشيعة والسنة أنّ آية ﴿□ □ □ □﴾ تدلّ على اختصاص الأسماء الحسنى بالله تعالى؛ لأنّ تقدّم (الله) في الآية - بحسب قواعد اللغة العربية - يفيد الحصر، إضافة إلى أنّ كلمة (أسماء) وردت بصيغة الجمع وتحلّت باللام، فتفيد العموم^(٣). وعليه يرى السيد الطباطبائي أنّ معنى الآية هو أنّ كل اسم أحسن في العالم مختص بالله ولا يشاركه فيه أحد، وهذا لا يتنافى مع أن يمنح الله سبحانه بعض صفاته كالعلم والرحمة إلى غيره؛ لأن المراد من الآية أنّ حقيقة هذه الأسماء هي مختصة بالله تعالى^(٤).

ويجب أن يعتقد العبد اعتقادًا جازمًا أنَّ ما أخبر الله في كتابه من أوصافه العليا، وأسمائه الحسنى، وكذا ما جاءت به الأحاديث الصحيحة من أسمائه وصفاته هي على ما يليق بجلاله وعظمته وكبريائه.

(١) صحيح البخاري، ٣ / ١٩٨ كتاب الشروط – باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار حديث رقم (٢٧٣٦). وصحيح مسلم، ٤ / ٢٠٦٣ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار – باب في أسماء الله وفضل من أحصاها حديث رقم (٢٦٧٧). والخصال، الشيخ الصدوق، ٥٩٣ (٢) ينظر: التوحيد، أبي جعفر محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٩٥.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠ هـ، ١٥ / ٤١٤. والميزان، الطباطبائي، ٨ / ٣٤٣. والتفسير المنير، الزحيلي، ٩ / ١٧٥.

(٤) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ٨ / ٣٥٨.

الفرق بين الصفة والاسم :

ذُكرت عدة فروق بين الصفة والإسم نورد منها التالي:

١- إنّ الصفة هو المعنى الملحوظ المعتبر في الذات سواء كان عين الموصوف ذاتاً أو عارضاً له. والاسم هو المظهر والمرآة لهذه الصفة سواء كان تكوينياً له وجود خارجي عيني أو لفظياً له وجود لفظي، فمرتبة الأسماء متأخرة عن مرتبة الصفات^(١).

٢- الصفة تشير إلى معنى تتلبس به الذات، والاسم يشير إلى الذات باعتبار تلبسه بإحدى الصفات. فالحياة والعلم صفتان، والحي والعالم اسمان^(٢).

ثانيًا: الصفات

عُرِّفَت الصِّفَةُ بَعْدَةَ تَعْرِيفَاتِ مَنِهَا: ((هِيَ الْإِسْمُ الدَّالُّ عَلَى بَعْضِ أَحْوَالِ
الذَّاتِ))^(٣)، وَإِنَّ الصِّفَاتِ الْمُنْسُوبَةَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَنَزْهَةً مِنَ الْحُدُودِ الْمَشُوبَةِ بِالنَّقْصِ.
وَعَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّوْازِمَ الْإِمْكَانِيَّةَ الَّتِي تَقْتَرِنُ بِالصِّفَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ لَا مَجَالَ لَهَا فِي السَّاحَةِ
الْمُقَدَّسَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَيُثَبِّتُ مِنْهَا اللَّهُ فَقَطْ أَصْلَ الْكَمَالِ الْمَوْجُودِ فِيهَا مَجْرَدًا مِنَ اللَّوْازِمِ
وَالْحُدُودِ الْمَشُوبَةِ بِالنَّقْصِ. فَمَثَلًا عِلْمُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَنَزَهُ عَنِ النَّقْصِ، وَهُوَ لَيْسَ
كَالْعِلْمِ الْبَشَرِيِّ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ الْبَشَرِيَّ مُسْبِقٌ بِالْجَهْلِ مِنْ جِهَةٍ: أ □ □ □ □
□ □ □ □ {النحل: ٧٨}، وَمَلْحُوقٌ بِالنَّسْيَانِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى: أُ □ □ □ □
□ □ □ □ {الحج: ٥} □ □ □ □ وَالْجَهْلُ وَالنَّسْيَانُ مِنْ نَقَائِصِ الْعِلْمِ الْبَشَرِيِّ، وَعِلْمُ اللَّهِ

(١) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، الشيخ حسن المصطفوي، الناشر: مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ٥ / ٢٢٦.

(٢) ينظر: الميزان، الطباطبائي، ٨ / ٣٥٢.

(٣) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ١٣٣.

وسنبحث من هذه الصفات في هذا المطلب (القدرة)، كمثال على الصفات الجمالية التي تدل على كمال الله في وجوده، وتسمى أيضاً بالصفات الثبوتية. ونبحث أيضاً (رؤية الله تعالى)، كمثال على الصفات الجلالية والتي يجلّ الله تعالى عن وصفه بها؛ لأنّ هذه الصفات تدلّ على نقص الموصوف بها وعجزه، والله تعالى غنيٌّ غنيّاً مطلقاً، ومنزّه عن كلّ نقص وعيب، والجسمانية، والإحتياج إلى المكان والزمان. وتسمى هذه الصفات أيضاً بالصفات السلبية.

القدرة لغة كما عرّفها أصحاب المعاجم، الملك والغنى واليسار. قال ابن منظور: ((يقال قَدَرَ عَلَى الشَّيْءِ قُدْرَةً أَيْ مَلَكَه، فَهُوَ قَادِرٌ وَقَدِيرٌ... وقوله تعالى: أَأَ □ □ □^(٢)، أَيْ قَادِرٌ، وَالْقُدْرُ: الْغِنَى وَالْيَسَارُ))^(٣).

واعلم إنّ للحياة والممات في الاجتماع مظهر القدرة الإلهية بالنحو الأوفر والأوفى، كنتم أمواتًا ولا أثر لكم في الحياة، أأ ترى

(٤) ينظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، ١ / ١٦٦.

□ □ ١٠٣: {آل عمران}، وكنتم تقتاتون الورق وتشربون الطرق وتأكلون الجلد واللحم المجفف في الشمس، كنتم تذبحون أبناءكم وتستحيون نساءكم، وإذ كنتم بعيدين عن كافة الحضارات الإنسانية والدينية، فأصبحتم بنعمته إخوانًا. فأصبحتم سلاطين على الأمة وشرفاء في الرعية، فانقلبتم إلى مظاهر التمدن ومجالي البشرية والارتقاء، فأحياكم الله عن تلك الميتة، ثم يميّتكم أيضًا بعد تلك الحضارة إلى ما هو أفحش من الأول وأوحش من البدو، لأجل استعمال الذرة الهيدروجينية والقنبلة الذرية، فتصبحون على أرض لا حياة فيها ولا استقرار عليها، ثم يحييكم حياة ثانية ومماتًا ثالثًا، وهكذا فإنّ هذه التطورات الاجتماعية، والتبدلات القومية، والاختلافات النسلية بيد الله رب العالمين، فكيف تكفرون بمثله تعالى^(١).

ولكن المصيبة الكبرى أننا ننسى فلا ننظر إلى ما في أعماقنا، فهو مظهر من مظاهر القدرة الإلهية الحكيمة، فإذا نظرنا ازددنا إيمانًا بما هو أكبر، ومن هو أكبر، وهذا يتطلب منّا الإيمان، وكل ما يحتاج إليه أيماننا هو العقل؛ لأنّ الإيمان بغير عقل كالوجه بلا عيين. أجل، نحن بحاجة إلى الإيمان بقدرة الله لنفسر بها ما تعجز عن تفسيره عقول العباقر. وقد اعترفت هذه العقول بالعجز عن تفسير الحياة بالطبيعة، والتجأ الكثيرون من أربابها إلى ما وراء الطبيعة، إلى قدرة حكيمة عليمه يفسرون بها أصل الحياة^(٢) □ □ □ □ {الأنعام: ٩٥}.

ومن الآيات الكريمة التي تؤكد قدرة الله قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ □ □ □ ومن {الأنعام: ٩٥}، فهذه الآية الكريمة تتضمن الإشارة إلى سر الحياة الذي يسري في البذرة والنواة، والذي لا يعلم مصدره إلّا الله، ولا يدرك كنهه سواه. وأيضًا قوله تعالى: ﴿أَمْ يَتَوَكَّلُونَ عَلَى الْمَاءِ﴾ □ □ □ □ {الأنعام: ٩٦}، فهو يتضمن الإشارة إلى الحياة اليومية وتوزيعها بين الليل الساكن والنهار المشرق □ □ □ □ □ {الأعراف: ٥٤}، كما يتضمن الإشارة إلى أسباب هذا التوزيع وحكمته، والآثار العميقة في حياة الانسان والحيوان والنبات. وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَتَوَكَّلُونَ عَلَى الْمَاءِ﴾ □ □ □ □ {الأنعام: ٩٦}، فهو

(١) ينظر: تفسير القرآن الكريم، السيد مصطفى الخميني، ٥ / ١٨١.

(٢) ينظر: التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، ٣ / ٢٣٢.

إن هذه القدرة الإلهية مستمرة في هذا الكون إلى نهايته، وتظهر فيه جيلاً بعد جيل، قال تعالى: أأَنتَ الَّذِي خَلَقْتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِنَّ يَوْمًا تَخْلُقُ السَّحَابَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فَقَدْ أَنتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ {النحل: ٨}، فبقوله تعالى (ويخلق ما لا تعلمون) إشارة إلى ما تبرزه القدرة الإلهية جيلاً بعد جيل، من وسائل نقل حديثة وأصناف جديدة من المأكولات والأغذية، وكل ما لا يحيط بعلمه إلا بديع الأرض والسموات^(٢).

وبين في موضع آخر أنهم ينظرون إلى ربهم حسب مراتبهم فقال في تفسير قوله تعالى: أأ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ نعم نى {القيامة: ٢٢ - ٢٣}، أي:)) ينظرون إلى ربهم على حسب مراتبهم منهم من ينظره كل يوم بكرة وعشيا، ومنهم من ينظره كل جمعة مرة واحدة))^(٤).

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ٨٩٩.

وتابع السيد الطباطبائي في ذلك، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، فيرى أنَّ مشاهدته بالعين الظاهرة تستلزم جسمانيته. والوجود في المكان، والكيفية والحالة الخاصة وجود جسماني، ونعلم أنَّ ذاته المقدسة منزهة عن مثل هذا الاعتقاد الملوث. ويستشهد على ذلك بقوله تعالى: ﴿أَ يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ الْفَاسِقُونَ﴾ {الأنعام: ١٠٣}. ثم يؤكد أنَّ عدم النظر الحسي إلى الله تعالى أمرٌ واضحٌ لا يحتاج إلى كثير من البحث، ويقرُّ بذلك من له أدنى إطلاع على القرآن والمفاهيم الإسلامية^(٢).

والذي يميل إليه الباحث أنّ الرؤية ليست النظر الحسي، وإتّما هي رؤية قلبية، فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة قال: ينظرون إلى ربهم بلا كيفية ولا حد محدود ولا صفة معلومة^(٤). وهذه الرواية تؤيد أنّ النظر ليس النظر الحسي؛ لأنه يستلزم الجسمانية والتشبيه، والله تعالى منزّه عن ذلك.

(١) الميزان في تفسير القرآن، ٢٠ / ١١٢.

(٢) ينظر: الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٩ / ٢٢١.

(٣) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ، ٤ / ٦٦٢.

(٤) ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، ٨ / ٣٥٠. والميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ٢٠ / ١١٧.

كانوا قبله لشدة العناية بأمره لغلو اليهود في الطعن فيه والنصارى وفي تقديسه،
وخصّ داود بالزبور^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿أَأَمَّا أَتَتْكُمْ آلَاءُ رَبِّكُمْ فَاتَّبَعُوا أَمْرَهُمْ كَمَا يَنْتَظِرُونَ أَفْعَمَ عَنْكُمْ آيَاتُ الْبَاقِرِينَ﴾ {الشورى: ٣} يرى الشيخ ناصر الشيرازي أنّ مصدر الوحي واحد، وهو علم الله وقدرته، ومحتوى الوحي في الأصول والخطوط العريضة واحد أيضاً بالنسبة لجميع الأنبياء والرسالات، بالرغم من أنّ هناك خصوصيات بين دعوة نبي وآخر بحسب حاجة الزمان والمسيرة التكاملية للبشر^(٢).

وقيل أنّ الفرق بين النبي والرسول: هو أنّ النبي من أُوحي إليه وحي، ولم يؤمر بتبليغه، وأنّ الرسول هو النبي الذي أُوحي إليه، وأمر بتبليغ ما أُوحي إليه. وقد تطرق الشنقيطي إلى هذه المسألة في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَأَمَّا أَتَتْكُمْ آلَاءُ رَبِّكُمْ فَاتَّبَعُوا أَمْرَهُمْ كَمَا يَنْتَظِرُونَ أَفْعَمَ عَنْكُمْ آيَاتُ الْبَاقِرِينَ﴾ {الحج: ٥٢}، ويرى أنّ هذا القول غير صحيح؛ لأنّ قوله تعالى في الآية الكريمة، يدل على أنّ كلاّ منهما مرسل، وأنّهما مع ذلك بينهما تباين واستظهر بعضهم أنّ النبي الذي هو رسول أنزل إليه كتاب وشرع مستقل مع المعجزة التي ثبتت بها نبوته، وأنّ النبي المرسل الذي هو غير الرسول، هو من لم ينزل عليه كتاب وإنما أُوحي إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله، كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يرسلون ويؤمرون بالعمل بما في التوراة، كما بيّنه تعالى بقوله: ﴿أَأَمَّا أَتَتْكُمْ آلَاءُ رَبِّكُمْ فَاتَّبَعُوا أَمْرَهُمْ كَمَا يَنْتَظِرُونَ أَفْعَمَ عَنْكُمْ آيَاتُ الْبَاقِرِينَ﴾ {المائدة: ٤٤}.

(١) ينظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ١ / ٢٩٥.

(٢) بالرغم من الكلام الكثير للمفسرين حول المشار إليه في اسم الإشارة (كذلك)، لكن يظهر أنّ المشار إليه هو نفس هذه الآيات النازلة على النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) لذا يكون مفهوم الآية: إنّ الوحي هو بهذا الشكل الذي أنزله الله عليك وعلى الأنبياء السابقين، وقد استخدم اسم الإشارة للبعد بالرغم من قرب المشار إليه، وذلك للتعظيم والاحترام. { ينظر: الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٥ / ٤٦٦ }.

(٣) ينظر: أضواء البيان، الشنقيطي، ٥ / ٢٩٠.

إنّ الإيمان بنبوّة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هو إيمان بالإنسانية ورفاهيتها قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿ ١٠٧ ﴾ {الأنبياء: ١٠٧} (١).

وقال بعض العلماء أنّ النبوة لا تكون إلّا في الرجال، وليس في النساء نبية، وهذا يدل عليه قوله تعالى: ﴿ ١٠٩ ﴾ {يوسف: ١٠٩} (٢).

وقال البعض بنبوّة الرجل الصالح الذي صحب موسى (عليه السلام)، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ ٦٥ ﴾ {الكهف: ٦٥}؛ لأن الرحمة هي النبوة. والملاحظ أنّ الرحمة أعم من النبوة، ووجود العام لا يدل على وجود الخاص، فمثلاً إذا قلنا: أكلت فاكهة، فإن هذا القول لا يدل على أنك أكلت الرمان؛ لأن كلمة الفاكهة تشمل الرمان وغيره من الفواكه (٣). وهذا يعني أنّ إعطاء الرجل الصالح الرحمة، ليس دليل على إعطائه النبوة؛ لأن الرحمة تشمل النبوة وغيرها.

وورد في التاريخ أنّ هناك من ادعى النبوة في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد ارتد هؤلاء وادّعوا النبوة، بعد أن آمنوا برسول الله، وهم: الأسود العنسي الذي تنبأ في اليمن، وأخرج عمال رسول الله منها، ولكنه قُتل قبل وفاة النبي بيوم واحد. ومسيلمة الكذاب الذي ادّعى النبوة، وكتب إلى النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه الصلاة والسلام، أنّه شريكه في الأمر والأرض مناصفة بينهما، وقد قُتل في عهد أبي بكر (رض). وطلحة بن خويلد، ادعى النبوة، ثم عاد وأسلم. أما بعد وفاة رسول الله وفي خلافة أبي بكر فقد ادعت سجاح النبوة، وقد تزوجها مسيلمة (٤).

المطلب الثالث: الإمامة

(١) ينظر: التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، ١ / ١٢.

(٢) ينظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ٢ / ١١٩.

(٣) ينظر: التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، ٥ / ١٤٥.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ٣ / ٧٦.

ثم يذكر في تفسير الإمامة ((والذي نجده في كلامه تعالى: إِنَّهُ كَلَّمَا تَعْرَضَ
لِمَعْنَى الْإِمَامَةِ تَعْرَضَ مَعَهَا لِلْهِدَايَةِ تَعْرَضُ التَّفْسِيرُ، قَالَ تَعَالَى فِي قِصَصِ إِبْرَاهِيمَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ: أُوّ بَر □ □ بن جى بي تر □ تن تى^(٤)، فوصفها بالهداية
وصف تعريف، ثم قيّدناها بالأمر، فبين أنّ الإمامة ليست مطلق الهداية، بل هي
الهداية التي تقع بأمر الله))^(٥).

وأما أفعال الامام فهي ((خيرات يهتدى إليها لا بهداية من غيره بل بإهداء من نفسه بتأييد إلهي، وتسديد رباني))^(٧).

(١) الميزان في تفسير القرآن، ١ / ٢٧٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ١ / ٢٧٠.

(٣) الأنبياء / ٧٢ - ٧٣.

(٤) السجدة / ٢٤.

(٥) الميزان في تفسير القرآن، ١ / ٢٧٢.

(٦) التفسير الكاشف، ١ / ١٩٧.

(٧) الميزان في تفسير القرآن، ١ / ٢٧٤.

كما إنّ عصمة الأئمة (عليهم السلام) أكدها الله تعالى في كتابه الكريم، بدليل قوله سبحانه: ﴿أَ

العصمة هي: ((لطف يفعله الله تعالى بالمكلف بحيث يمتنع منه وقوع المعصية وترك الطاعة مع قدرته عليهما))^(٣).

وقد عقد السيد عبد القادر ملا العاني مطلباً في عصمة الأنبياء، عند تفسير قوله تعالى: أَلَّا تَجِدَ تَحْتَهُ تَحْزِناً تَهِئَةً ثَمَّ جَمْعٌ حَمٍ □ □ طه: {٢٢١} - {١٢٢}، ويرى فيه ما جاء في تفسير الرازي من أنّ خبط القول فيها يرجع إلى أربعة أقسام: الأول ما يقع في باب الاعتقاد وهو اعتقاد الكفر والضلال فإنّ ذلك غير جائز في حقهم البتة. والثاني ما يقع بالتبليغ فكذاك ممتنع في حقهم حتى الخطأ والنسيان فضلاً عن التعمد على الصحيح؛ لأنّ الأمة أجمعت على عصمتهم من الكذب ومواظبتهم على التبليغ والتحريض، وإلا لارتفع الوثوق بالأداء واتفقوا على أنّ ذلك لا يجوز وقوعه منهم عمداً ولا سهواً ولا خطأً ولا نسياناً، ومن الناس من جوز سهواً لأن الاحتراز منه غير ممكن وليس بشيء ولا عبرة ولا قيمة له. والثالث ما يقع

(٢) ينظر: التفسير المبين، محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ)، الناشر: مؤسسة دار الكتاب الاسلامي، الطبعة الثانية منقحة ومزودة، ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م، ٢٤.

(٣) النكت الإعتقادية، الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: رضا المختاري، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ٣٧.

والمختار عنده قول الفخر الرازي، الذي هو عند أهل السنة والجماعة، أنّه لم يصدر منهم ذنب لا صغير ولا كبير من حين تتبأهم؛ لأن الذنب لو صدر عنهم لكانوا أقل درجة من أحد الأمة. ولأن درجتهم غاية في الرفعة والشرف، ولو جاز صدوره منهم لأدى الى عدم قبول شهادتهم، ولوجب الافتداء بهم فيما صدر منهم وهو محال^(٢).

[illegible]

(١) ينظر: بيان المعاني على حسب ترتيب النزول، عبد القادر بن ملاً حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت: ١٣٩٨هـ)، الناشر: مطبعة الترقى، دمشق الطبعة الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥ م، ٢ / ٢٢٥ - ٢٢٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ٢ / ٢٢٦.

عاملاً على الاختلاف، ولو حصل تضاد بين أعمال وأقوال الأنبياء الإلهيين بارتكابهم الذنب فيكون أيضاً عاملاً وسبباً للاختلاف، وبهذا فإن الآية أعلاه يمكن أن تكون إشارة إلى عصمة الأنبياء في جميع الأقسام الثلاثة المذكورة^(١).

المطلب الخامس: القضاء والقدر

معنى القضاء والقدر هو ((أن الله تبارك وتعالى قدّر الأشياء في القدم وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى))^(٢).

والإيمان به هو التصديق بأن الله تعالى قدّر الأشياء في القدم، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة. وهذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿أَمْ تَرَاهُمْ ثَمَرًا﴾ {الصافات: ٩٦}، وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَرَوْنَ يَدَ اللَّهِ أَمْ يَرَوْنَ ثَمَرًا﴾ {القمر: ٤٩}، وغير ذلك من الآيات الكريمة^(٣). وهو أصل من أصول الدين عند أهل السنة والجماعة.

وقد بحث عبد الكريم الخطيب في مسألة القضاء والقدر في تفسيره لسورة الكهف، وتحديدًا في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَرَوْنَ يَدَ اللَّهِ أَمْ يَرَوْنَ ثَمَرًا﴾ {الكهف: ٧٩}، فقد عقد بحثاً تحت عنوان (القضاء والقدر والانسان)، وقد ذكر في بحثه هذا أن المشكلة في ذلك، عند المؤمنين بالله، أو المؤمنين بما وراء المادة، هي إذا قلنا أن الإنسان مخير، كان معنى هذا أنه مطلق من كل سلطان، وأن ليس بينه وبين الله، أو بينه وبين أية قوة أخرى غير منظورة علاقة، تحد من مجرى حياته، أو تؤثر في تصرفاته. وفي حدود هذا القول، لا مجال للنظر في القضاء والقدر، حيث يبدو الإنسان خارجاً عن دائرة المؤثرات التي تجعل للقضاء والقدر شأنًا معه. وإذا قلنا أن الإنسان مجبر، كان معنى هذا أن شيئاً ما

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، ٢ / ١٣٤.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت

٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢ هـ، ١ / ١٥٤.

(٣) ينظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، ١ / ١٦٩.

وراء الإنسان، يملأ عليه، ويؤثر في إرادته، أو يعطل مشيئته. وهنا تبدو الصلة واضحة بين الإنسان وبين القضاء والقدر. وهي صلة تظهر آثارها في تصرفاته، وفي موقفه حيال كل أمر يعرض له. ولكن هاتين المقولتين، لم يسلم العقل الإنساني بأيّ منهما، تسليماً مطلقاً. فالإنسان حرّ من جهة، ومقيد من جهة أخرى. ويرى أنّ النفس الإنسانية تعيش متأرجحة بين الجبر والاختيار، فهي في اختيار وجبر معاً، وذلك ما يشعر به كل إنسان في ذاته، وتشعر به الإنسانية جمعاء. وهذا القدر الذي في الإنسان من جبر أو اختيار، هو الذي يضع الأمر موضع الخفاء والحيرة. وهذه المسألة تختلف من إنسان إلى إنسان، بل أنّها تختلف في الإنسان نفسه على حسب الحالة التي يواجهها، والظروف المحيطة به^(١).

ثم يبيّن معنى القضاء والقدر عن طريق ذكر الآيات القرآنية التي ورد فيها هذين اللفظين ومشتقاتهما، ومن خلال عرض الآراء في هذه المعاني وبيانها، يتوصل إلى أنّ (القدر) أعم، و(القضاء) أخصّ؛ لأنّ آيات الكتاب الكريم توحى بهذا الفهم لكل من القضاء والقدر. ويتصور حسب فهمه هذا أنّ القدر، هو الأسباب التي أودعها الله سبحانه في المخلوقات، بحيث لو جرت إلى غايتها لنتج عنها مسبباتها التي تلازمها، والتي لا تتخلّف أبداً. ويضرب مثلاً في قصة موسى والعبد الصالح، ويرى أنّ في هذه القصة درس عملي ينكشف منه وجه القضاء والقدر، فقد كان موسى في هذه القصة، ممثلاً للإنسانية في حدودها التي أقامها الله عليها، وفي تصرفاتها مع الأشياء على مقتضى ما تعلم منها بإمكانياتها المحدودة. على حين كان العبد الصالح، ممثلاً للعالم العلوي، عالماً ما وراء المحسوس، يستملي معارفه من عالم النور، فيرى بعين الغيب، عواقب الأمور، ويصل إلى نتائجها الحاسمة، قبل أن تتحرك الأسباب، وتتولد المسببات^(٢).

وذكر محمد عزة دروزة في قوله تعالى: ﴿أَأَمَّا أَتَتْكُمْ الْحِسْرَةُ﴾ {السجدة: ١٣}، أنّ الآية توهم أنّ الله قد حتم على أهل النار من الأزل أن يحرموا من التوفيق والهدى ليملاً بهم النار. وهذا ما ذكره

(١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، ٨ / ٦٧٢ - ٦٧٤.

(٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، ٨ / ٦٧٤ - ٦٨٢.

بعض المفسرين والكلاميين في صدد القضاء والقدر. ولكن قوله تعالى: أأ □ □ ينسب الكفر والنسيان لأصحابه، ويجعل هذه النار جزاءً عادلاً لهم، من شأنه أن يزيل ذلك الوهم، ويجعل الكلام على التحتم في غير محله هنا، ويسوغ أنه في صدد بيان كون حكمة الله اقتضت أن يترك الناس إلى اختيارهم الذي أودعه فيهم بعد أن بيّن لهم طريق الهدى والضلال حتى تمتلئ جهنم بأهلها عن بينة وعدل والجنة بأهلها عن بينة وعدل وأن لا يجبر الناس على الهدى إجباراً^(١).

ومن المسائل التي أثارت عند الناس مشكلة في القضاء والقدر، هي مسألة نسيان العبد للمنهيات التي يترتب عليها عقاب وثواب، فبعض الناس يقول: لماذا يعاقبني الله على هذا الفعل ما دام قد كتبه عليّ؟ والعجب كل العجب على هذه المقولة، فلماذا لم يقل أيضاً لماذا يثيبني على هذا الفعل ما دام قد كتبه عليّ؟ فلم التوقف في الأولى والترك في الأخرى، فبالطبع أنّ الأولى ليست لصالحه. إذن على الانسان أن يتعامل مع ربه معاملة واحدة، ويقس الأمور بمقياس واحد^(٢).

ويرى محمد بن صالح العثيمين أنّ الذين جاء وصفهم في قوله تعالى: أأ □ □ □ □ {البقرة: ٥}، كأنّهم يسيرون على طريق واضح بيّن، فليس عندهم شك، فهم يُقبلون على الأعمال الصالحة وكأنّ سراجاً أمامهم يهتدون به. تجدهم مثلاً ينظرون في أسرار شريعة الله، وحكمها، فيعلمون منها ما يخفى على كثير من الناس، وتراهم عندما ينظرون إلى القضاء والقدر كأنّما يشاهدون الأمر في مصلحتهم حتى وإن أصيبوا بما يضرهم أو يسوءهم، ويرون أنّ ذلك من مصلحتهم؛ لأن الله قد أنار لهم الطريق، فهم على هدًى من ربهم وكأنّ الهدى مركب ينجون به من الهلاك، أو سفينة ينجون بها من الغرق، فهم متمكنون غاية التمكن من الهدى؛ لأنّهم عليه^(٣).

(١) ينظر: التفسير الحديث، ٥ / ٣٤٨.

(٢) ينظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي، ١٥ / ٩٤١٧.

(٣) ينظر: تفسير الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ، ١ / ٣١.

ليأمن المستعمر من المقاومة، بكسب رضاهم وتسليمهم له. فالإعتقاد بهذا الرأي، يعني تبرير كل ما يقوم به الطغاة والجناة، وتبرير جميع ذنوب المذنبين، وبالنتيجة، لا يبقى فرق بعد بين الصالح والطالح، والمطيع والعاصي^(١).

المبحث الثاني: البعد التشريعي

توطئة

المطلب الأول: العبادات

المطلب الثاني: العقود

(١) ينظر: المصدر نفسه، ١٩ / ٣٦٧.

المطلب الثالث: الإيقاعات

المطلب الرابع: الأحكام

توطئة

البعد التشريعي هو الذي يُعنى فيه المفسر باستنباط الأحكام الشرعية من خلال الآيات التي تتعلق بها الأحكام الشرعية. وقد جعل الله تعالى رسالة الإسلام آخر الرسالات وشريعته ختام الشرائع، وجعل نبيّها الكريم خاتم النبيّين. فحق لهذه الرسالة وهذه الشريعة أن تحقق الخير والسعادة للناس جميعاً على مدى الأزمان والعصور، واختلاف الأجناس والطبائع والأحوال. ومسؤولية الإنسان تجاه القرآن الكريم هي التدبر والتأمل والنظر فيه من أجل فهم معانيه، وكشف دلالات إعجازه، واستنباط الأحكام الشرعية منه والإلتعاض والاعتبار بهفوات من سبق، وعلى الإنسان أن يهتدي بالقرآن الكريم في جميع مجالات الحياة، حتى لا يخرج عن جوهر الدين ومقاصده. أما عدم فهم القرآن فإنّه يؤدي إلى الجمود والتقليد والتخلف وبالتالي ركود فكري وضياح للمصالح وتراجع حضاري، وهذا يتنافى ويتناقض مع مراد الله تعالى.

إنّ القرآن الكريم يؤكد أنّ التشريع لله تعالى، وأنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مبلغ لهذا التشريع، وإنّ ما صدر من سنة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ما هو إلّا بيان لما أوحى إليه وتعبير عنه، وهو في كل ما صدر عنه لا

يخطئ ولا يزل لما أوتي من علم وعصمة وتسديد إلهي، وقد ورد هذا الإيضاح على لسان الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، فقد روي عنه قوله: ((إن رسول الله كان مسددًا موفقًا مؤيدًا بروح القدس، لا يزل ولا يخطئ في شيء مما يسوس به الخلق))^(١).

وسنعمد في تقسيم مطالب البعد التشريعي على تقسيم أبواب الفقه الذي اعتمده المحقق الحلي (ت ٦٧٦هـ) في كتابه شرائع الإسلام، وقد قسم كتابه على أربعة أقسام العبادات، والعقود، والایقاعات، والاحكام، وقد سار على هذا المنهج جل فقهاء الامامية.

المطلب الأول: العبادات

العبادات هي روح الإسلام، وقلبه النابض، وهي معراج المؤمن إلى ربه، وبوابة الارتقاء الخلقي والسلوكي، والطريق الأقصر ما بين الخالق والمخلوق، ومن خلالها يتكون الوازع الديني في نفس الإنسان المسلم، وتتحقق بها الخشية من الله تعالى في السر والعلن.

وعُرفت العبادة بتعريفات عدة منها:

العبادة هي ((اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة))^(٢).

والعبادة تعرف كذلك ((بأنها فعل ما يرضي الرب من خضوع وامتنال واجتناب، أو هي فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيمًا لربه))^(٣).

(١) الكافي، الكليني، ١/ ٢٦٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ٣٩.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ١ / ١٨٠.

وتعرف العبادات بأنها: ((علاقة روحية معنوية بين العبد وربّه، ثابتة بصيغة محددة لا يعقل تغييرها بتغير الزمان، ولا تتأثر بتأثر الحياة العامة))^(١). وقيل: هي أعلى مراتب الخضوع لله، والتذلل له^(٢).

وإنّ العبادات هي الأحكام التي تحتاج متعلقاتها إلى نية القربة إلى الله تعالى كالصلاة والصوم والزكاة ... الخ .

إنّ العبادات في الإسلام هي وسائل إصلاح تسمو بها الروح وينمو بها الفكر، وهي تنظم ما يصلح الفرد وما ينهض بالجماعة على السواء. والعبادات لا تركز على جانب واحد، بل هي تجمع عدة جوانب منها الجانب الروحي والنفسي والجانب الجماعي والاجتماعي والجانب الخلقي. وسنأخذ في هذا المطلب كمثال عليه الصلاة الوسطى.

الصلاة الوسطى

بيّن الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ما هو المراد بقوله الصلاة الوسطى في قوله تعالى: أَلَمْ يَلْمِزْ لِي لِي □ □ □ □ {البقرة: ٢٣٨}، فقد ذكر أنّ للمفسرين في معنى الصلاة الوسطى آراءً عدة، فلصاحب تفسير مجمع البيان ستة أقوال، وللфخر الرازي في تفسيره سبعة أقوال، وبلغ بها القرطبي في تفسيره إلى عشرة أقوال، أما تفسير روح المعاني فذكر لها ثلاثة عشر قولاً. فالبعض منهم يرى أنّها صلاة الظهر، وآخر يرى أنّها صلاة العصر، والبعض يراها صلاة المغرب، والبعض عنده صلاة العشاء، وقال بعضهم هي صلاة الصبح، وذكر البعض أنّها صلاة الجمعة، وبعض يراها صلاة الليل أو خصوص صلاة الوتر، وذكروا لكل واحد من هذه

(١) الحكومة الإسلامية - منطقة الفراغ مساحة لتشريعات الحداثة والمعاصرة ، محمد إسحاق الفياض، مجلة النور، العدد (١٧١) السنة الخامسة عشر، لندن، ٢٠٠٥م، ٤.

(٢) ينظر: الموسوعة الفقهية، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الكويت، مطابع دار الصفوة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م، ٢٩ / ٢٥٦.

الأقوال أدلة وتوجيهات مختلفة، ولكن الشيرازي وبحسب القرائن المختلفة المتوفرة يرى أنها صلاة الظهر؛ لأنها فضلاً عن كونها تقع في وسط النهار، فإن سبب نزول هذه الآية^(١) يدل على أن المقصود بالصلاة الوسطى هو صلاة الظهر التي كان الناس يتخلفون عنها لحرارة الجو^(٢).

ويرى محسن قراءتي، أن المراد من الصلاة الوسطى في الآية الكريمة هي صلاة الظهر، وذلك بالنظر إلى سبب نزول الآية، وما ورد في الروايات والتفاسير^(٣).

ويرى محمد عبد اللطيف الخطيب أنها صلاة العصر، بناءً على توسطها صلاة اليوم، واشتغال الناس أثناء وقتها بأعمالهم ومتاجرهم^(٤).

وقد ذكر محمد عزة دروزة في تفسيره تعليقاً على قوله (والصلاة الوسطى)، قال فيه أن الأقوال قد تعددت في معنى الصلاة الوسطى، فمنها أنها صلاة الظهر؛ لأن وقتها وسط النهار، ومنها أنها صلاة الفجر؛ لأنها متوسطة بين صلاتي النهار الظهر والعصر وصلاتي الليل المغرب والعشاء، ومنها أنها صلاة العصر، وذكر أن كل مفسر اعتمد في قوله على روايات معزوة إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه. لكنه يرى أن القول بأنها صلاة العصر مؤيد بأحاديث أقوى، وبناءً على

(١) جاء في سبب نزول الآية عن زيد بن ثابت: إن النبي كان يصلي بالهجرة (وهي نصف النهار عند اشتداد الحر)، وكانت أثقل الصلوات على أصحابه، فلا يكون وراءه إلا الصف أو الصفان فقال: لقد هممت أن أحرق على قوم لا يشهدون الصلاة بيوتهم، فنزلت هذه الآية. { ينظر: تفسير مجمع البيان، الطبرسي، ٢ / ١٢٦. والجديد في تفسير القرآن المجيد، الشيخ محمد السبزواري، ١ / ٩٨ والصحيح المسند من أسباب النزول، مقبل بن هادي بن مقبل بن قائد الهمداني الوادعي (ت ١٤٢٢هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الرابعة مزينة ومنقحة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، ٣٧ - ٣٨ }.

(٢) ينظر: الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢ / ١٩٤.

(٣) ينظر: تفسير النور، ١ / ٣٥٨.

(٤) ينظر: أوضح التفاسير، ٤٦.

ما ذكر من أحاديث يكون تأويل الصلاة الوسطى بصلاة العصر هو الأوجه المؤيد بأحاديث صحيحة وهو ما عليه الجمهور^(١).

والصلاة الوسطى على الراجح من الأقوال هي صلاة العصر؛ لأنها وسط بين الفجر والظهر والمغرب والعشاء، ويقوي هذا ما ورد في الصحيحين من الأحاديث الصحيحة^(٢).

ويبدو للباحت أنّ الصلاة الوسطى هي صلاة الظهر، بناءً على ما جاء في سبب نزول الآية المذكور آنفًا، إلى جانب ما ذكر من روايات عن أهل البيت (عليهم السلام)، تُبين أنّها صلاة الظهر. ومن هذه الروايات ما جاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((الصلاة الوسطى الظهر وقوموا لله قانتين: إقبال الرجل على صلاته، ومحافظة على وقتها حتى لا يلهيه عنها ولا يشغله شيء))^(٣).

وجاء في التفسير الصافي: ((عن الباقر (عليه السلام) في الصلاة الوسطى قال هي صلاة الظهر، وهي أول صلاة صلاها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهي وسط النهار ووسط الصلاتين بالنهار صلاة الغداة وصلاة العصر))^(٤).

المطلب الثاني: العقود

وهي أعمال لا يشترط فيها قصد القربى وتحتاج إلى صيغة بواسطة طرفين. والعقد هو ((ارتباط الإيجاب الصادر من أحد العاقلين بقبول الآخر على وجه يظهر أثره في المعقود عليه))^(٥).

(١) ينظر: التفسير الحديث، ٦ / ٤٥٠ - ٤٥١.

(٢) ينظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ١٣٩.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ٨١ / ٢٣١ باب (آداب الصلاة).

(٤) التفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ١ / ٢٦٨.

(٥) بحوث في الفقه المعاصر، الشيخ حسن الجواهري، الناشر: مجمع الذخائر الإسلامية، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ، ٤ / ٢٤٣.

النكاح

وبيّن الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) أنّ بنات المرضعة ثلاث: الصغيرة الأجنبية التي أرضعتها أمك بلبان أبيك، سواء أرضعتها معك أو مع ولدها قبلك أو بعدك، والثانية أختك لأمك دون أبيك، وهي التي أرضعتها أمك بلبان غير أبيك، والثالثة أختك لأبيك دون أمك، وهي التي أرضعتها زوجة أبيك بلبان أبيك، وأم الرضاعة

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ٣٧٧.

(٤) ينظر: هداية الأمة إلى أحكام الأئمة (عليهم السلام)، الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية، مشهد - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، ٧ / ١٧٥. وينظر: جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، الشيخ محمد حسن النجفي الجواهري (ت ١٢٦٦هـ)، تحقيق وتعليق: محمود القوجاني، تصحيح: السيد إبراهيم الميانجي، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثانية، ١٣٦٦ش، ٢٩ / ٣١٤.

وأخت الرضاعة لو لا الرضاعة لم تحرم، فإنَّ الرضاعة سبب تحريمهما وكل من تحرم بالنسب من اللاتي مضى ذكرهن تحرم أمثالهن بالرضاع^(١).

أمَّا من المفسرين المعاصرين فيرى محمد رشيد رضا أنَّ ما حرم من جهة الرضاعة هو أنواع، منها النسب بينها وهو الذي بيَّنه قوله تعالى (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة) فسمى المرضعة أمًّا للرضيع، وبنتها أختًا له، فأعلمنا بذلك أنَّ جهة الرضاعة كجهة النسب تأتي فيها الأنواع التي جاءت في النسب كلها^(٢).

ولمَّا سمَّى المرضعة أمًّا، والمرضعة أختًا، فقد نبه بذلك على أنَّه أجرى الرضاع مجرى النسب^(٣).

وقد جاءت السنَّة مؤكدة بصريح العبارة لهذا المفهوم، فقد ثبت أن النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم قال: ((يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب))^(٤).

والواضح أن تحريم نكاح أب المرتضع ابنة المرضعة هو الرضاعة؛ لأن هذا الولد أصبح أخو هذه البنت بالرضاعة، وبما أنَّ الولد هو ابن الرجل وهذه اخته، فهي أصبحت ابنة الرجل أب المرتضع فأصبحت محرمة عليه بالنسب.

ونرى أنَّ محورية القرآن ومدارية السنة واضحة في هذا الأمر، فالتحريم بسبب الرضاعة فهم من القرآن الكريم، وتحديدًا من الآية (٢٣) من سورة النساء، والتي كانت مدار البحث في هذا المطلب، ثم جاءت السنة مؤكدة لهذا التحريم عن طريق ما ذكر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

المطلب الثالث: الإيقاعات

(١) ينظر: مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ٣ / ٥٤ - ٥٥.

(٢) ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٤ / ٣٨٣.

(٣) ينظر: تفسير آيات الأحكام، محمد علي السائيس، تحقيق: ناجي سويدان، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ٢٥٤.

(٤) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، ٢ / ١٠٧٠ باب تحريم الرضاعة من ماء الفحل حديث رقم (١٤٤٥).

ويقول محمد سيد طنطاوي في معنى الآية الكريمة: ((لقد تفضل الله عليكم- أيها المؤمنون- بأن رفع عنكم العقوبة والكفارة في الأيمان اللغو، ولكنه- سبحانه- يؤخذكم بتعقيدكم الأيمان وتوثيقها إذا ما حنثتم فيها ومتى حنث أحدكم في يمينه، فمن الواجب عليه لتكفير هذا اليمين ومحو إثمه أن يطعم عشرة مساكين طعامًا يكون من متوسط ما يطعم منه أهله في الجودة والمقدار، أو أن يكسو هؤلاء المساكين العشرة كساءً مناسبًا ساترًا للبدن أو أن يحرر رقبة بأن يعتق عبدًا من الرق فيجعله حرًا))^(١).

وقد ذكر الصابوني في تفسيره ثلاثة أقسام لليمين، وهي، اللغو: فهي اليمين التي لا يتعلق بها حكم. والغموس: فهي اليمين التي يتعمد فيها الإنسان الكذب كقوله: والله ما فعلت كذا وقد فعله، أو والله لقد فعلت كذا ولم يفعله، وسمي غموسًا لأنه يغمس صاحبه في نار جهنم، وذنبه أعظم من أن يكفر؛ لأنه استهان بعظمة الله جلّ وعلا حين حلف كاذبًا. والمنعقدة: فهي أن يحلف على أمرٍ في المستقبل بأن يفعله أو لا يفعله ثم يحنث في يمينه، فهذه يجب فيها الكفارة كما فصلها القرآن الكريم^(٢). فالكفارة على رأي الصابوني تكون باليمين المنعقدة، وهي إحدى الخصال الثلاث كما فصلها القرآن الكريم.

المطلب الرابع: الأحكام

جاء في تعريف الأحكام: ((هي أعمال يجب فيها مراعاة الموازين الشرعية لكن لا تشترط فيها الصيغة أو القربى، وهي اثنا عشر بابًا))^(٣)، منها: الصيد والذباحة،

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٤ / ٢٦٦.

(٢) ينظر: روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، طبع على نفقة: حسن عباس الشربتلي، الناشر: مكتبة الغزالي، دمشق، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، ١ / ٥٦٣.

(٣) مدخل إلى علم الفقه عند المسلمين الشيعة، الشيخ علي حازم، دار الغربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، ٤١.

والأطعمة والأشربة، واللقطة، والشهادات، الحدود والتعزيزات، والديات، وغيرها،
وسنبحث في هذا المطلب كمثال عليه:

الأطعمة والأشربة

قال تعالى: ﴿ ۱۱ ۱۰ ۹ ۸ ۷ ۶ ۵ ۴ ۳ ۲ ۱ ﴾

قرن الله تعالى الخمر بعبادة الأوثان تغليظاً في تحريمها، ولذلك قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((مدمن الخمر كعابد وثن، إذا مات عليه، يلقى الله عز وجل حين يلقاه كعابد وثن))^(١). وفي هذا دلالة على تحريم سائر التصرفات في الخمر من الشرب، والبيع، والشراء، والاستعمال على جميع الوجوه^(٢).

وقد ورد في الخمر أخبار منها: ((مدمن الخمر كعابد الوثن، والخمر أم الخبائث، من شربها لم يقبل الله له صلاة أربعين يوماً، ومن مات وفي بطنه شيء من الخمر حرم الله عليه الجنة))^(٣).

أما من المفسرين المعاصرين فيرى الحائري الطهراني أنّ في هذه الآية دلالة على تحريم الخمر، وهذه الأشياء المذكورة من أربعة أوجه: ((أحدها أنّه وصفها بالرجس وهو النّجس والنّجس محرّم بلا خلاف، والثاني أنّه نسبها إلى عمل الشّيطان، وذلك يوجب تحريمها، والثالث أنّه أمر باجتنابها والأمر يقتضي الإيجاب،

(١) تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية ، طهران، الطبعة الرابعة، ١٣٦٥ش، ٩ / ١٠٨ باب الذبائح والأطعمة.

(٢) ينظر: مجمع البيان، الطبرسي، ٣ / ٤١١.

(٣) تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ٢ / ٦٤.

والرَّابِع أنَّه جعل الفوز والفلاح في اجتنابها، ويجوز أن يكون الهاء في قوله (فَاجْتَنِبُوهُ) راجعة إلى عمل الشيطان، وتقديره: فاجتنبوا عمل الشيطان^(١). ويرى وهبة الزحيلي أنَّ أمر الله سبحانه باجتنب الخمر والميسر يدل على التحريم وزيادة، وهذه الزيادة هي التتفير من الإقتراب منها، والبعد عنها بعداً شديداً؛ لأنَّ تناول الخمر فيه هدر المال، وذهاب العقل، كما أنَّه يدمر صحة الانسان، وقد أثبت الأطباء أنَّ الخمر يلحق أضراراً شديدة بجميع أجزاء الجهاز الهضمي، فضلاً عن ذلك لها أضرار أدبية حيث يصير السكران موضع استهزاء وسخرية واحتقار بين الناس لما يصدر عنه عادة من هذيان في الكلام، الذي سببه ضياع عقله واهتزاز أفكاره، وفقد توازن شخصيته، لذا حرّم الله الخمر والمخدرات كالأفيون والحشيش والهروين، لما فيها من الأضرار على الفرد والمجتمع^(٢). وفي عصرنا الحالي كثرة تسميتها بالكرستال والخشخاش.

(١) تفسير مقتنيات الدرر، سيد علي الحائري الطهراني، ٤ / ٨٠.

(٢) ينظر: التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي، ١ / ١١٣.

المبحث الثالث: البعد الأخلاقي

توطئة

المطلب الأول: الممدوح من الأخلاق

المطلب الثاني: المذموم من الأخلاق

توطئة

عرّف الجرجاني الخُلُق بأنه ((عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة، سميت الهيئة: خلقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة: خلقاً سيئاً))^(١).

إنّ القرآن الكريم يُعد المصدر الأصيل للتربية الأخلاقية لدى المسلمين؛ حيث كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خلقه القرآن الكريم، يتصف بأخلاقه، ويُربي أمتَه بآداب القرآن الكريم.

وكتاب الله العظيم قد تضمن منهاجاً وافياً وشافياً في الاعتدال. وإبراز معالمه أمر ضروري ومُلح، ولا سيما في الظروف الحالية الصعبة التي طالت خطورتها الأمة الإسلامية والعالم كله.

وبسبب انحراف بعض الناس عن طريق القرآن الكريم القويم، وتقليد الأفكار المنحرفة المدمرة، واتخاذها منهجاً بديلاً عن القرآن الكريم، فنتج ذلك عن عدم تمثل القرآن الكريم في أخلاق أفراد الأمة، والإفساد في الأرض، وقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق.

(١) التعريفات، الجرجاني، ١٠١.

أولاً: الصدق

وهو أشرف الفضائل النفسية، وهو زينة الحديث، ورمز الاستقامة والصلاح، وسبب النجاح والنجاة، وهو من الصفات التي تقوم عليها كثير من الأخلاق. وقد مجّدته الشريعة الإسلامية، وحرّضت عليه في العديد من الآيات القرآنية منها: قوله تعالى: ﴿أَنتَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٩]. وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ جُودًا وَرَحْمَةً﴾ [الزمر: ٣٣-٣٤]. وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ جُودًا وَرَحْمَةً﴾ [المائدة: ١١٩]. وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ جُودًا وَرَحْمَةً﴾ [التوبة: ١١٩].

وقد أثنى نبينا محمد وأهل بيته (عليهم السلام) على هذا الخلق الرفيع، ودعوا إليه بالأحاديث التي نُقِلَت عنهم ومنها: عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: ((أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليفة، وعفة في طعمة))^(١).

وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): ((إلزموا الصدق فإنه منجاة))^(٢). وعن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: ((لا تغتروا بصلاتهم ولا بصيامهم، فإن الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة))^(٣). والصدق يتمثل في عدة أمور:

١ - الصدق من صفات الله تعالى

(١) مسند أحمد بن حنبل، ١١ / ٢٣٣ حديث رقم (٦٦٥٢).

(٢) الخصال، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤٠٣هـ، ٦١٤ حديث الأربعمئة.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني، ٢ / ١٠٤ باب الصدق وأداء الأمانة.

وقد كان نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قمة في الصدق، بشهادة الله سبحانه وتعالى الذي قال عنه: ﴿أَمْ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يَلَمْ يَلِدْ﴾ ^١ ﴿النجم: ٣-٤﴾، فزكاه في قوله، بل زكاه في كل شيء، إذ قال عنه: ﴿أَمْ لَمْ يَلِدْ﴾ ^٢ ﴿القلم: ٤﴾.

٣ - الصدق من صفات عباد الله المؤمنين:

وصف الله تعالى عباده المؤمنين بصفاتٍ عديدةٍ وخصالٍ حميدةٍ، من أعظمها صفة الصدق، قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يَلَمْ يَلِدْ﴾ ^١ ﴿النجم: ٣-٤﴾، فآية الكريمة تشير إلى فئة خاصة من المؤمنين، وهم الذين كانوا أكثر تأسيًا بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من الجميع، وصدقوا في ثباتهم على عهدهم الذي عاهدوا الله به، وهو التضحية في سبيل دينه حتى النفس الأخير، وإلى آخر قطرة دم. ولم ينحرفوا قيد أنملة عن خطهم، بعكس المنافقين أو ضعاف الإيمان الذين بعثرتهم عاصفة الحوادث هنا وهناك. وقيل أن جملة: من قضى نحبه إشارة إلى شهداء بدر وأحد، وجملة: ومنهم من ينتظر إشارة إلى المسلمين الصادقين الآخرين الذين كانوا بانتظار إحدى الحسينين: النصر، أو الشهادة^(١).

فالصدق بهذا المفهوم العام هو الذي يجب أن يكون عليه المسلم، فالأصل في المسلم الصدق، وأما الكذب فهو خلق طارئ على الفطرة السليمة والعقل المستقيم والخلق الحميد والدين الصحيح. وإن الصادقين حينما يخالطون الكافرين، يمثلون الوجه المشرق للمسلمين، وأما الكذبة فهم الوجه المشوه الذين أساءوا للمسلمين. وإن أهل الصدق يعيشون في طمأنينة وراحة، فليس عندهم قلق الكاذبين وخوفهم واضطرابهم.

ثانيًا: الصبر

(١) ينظر: الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر الشيرازي، ١٣ / ٩٩ - ٢٠٠.

الصبر هو حبس النَّفس على ما تحب أو عمّا تكره، وهو من القيم العليا التي يحث الإسلامُ معتنقيه على أن يتصفوا بها؛ لأنّه يزيّن الإنسان المسلم، ويمثّل علامة على إيمانه، ذلك الإيمان الذي قيل إنّهُ نصفان: ((نصفٌ صبرٌ، ونصفٌ شكرٌ))^(١). وفي هذا قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلاّ للمؤمن، إن أصابته سراءٌ شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراءٌ صبر، فكان خيراً له))^(٢).

وإنّ استعمال كلمة (أصاب) في الحديث الشريف، بما لها من ظلال المصيبة للخير والشر معاً؛ لأنهما جميعاً اختبار من الله تعالى، فتعرّض الإنسان إلى ما يستوجب الصبر لا يعني أنّ الله تعالى يُبغضه، كما أنّ النعمة التي تأتيه لا تعني أنّه يحبه، بل إنّ حب الله تعالى للعبد أو بُغضه له ناتجٌ عن كيفية تعامل الإنسان مع ما ابتلي به.

وقد زخر القرآن الكريم ببيان أهمية الصبر بصورة مباشرة من خلال الثناء على الصبر، أو بصورة غير مباشرة من خلال ما قصّه على النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعلى الناس من قصص الأنبياء والصالحين، وقد أمرنا تبارك وتعالى بالتحلي به، ورغبنا فيه من خلال أمره لنبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم) به، إذ قال: **أ □ □ □ {المعارج:٥}**.

أنواع الصبر

حري بالمرء أن يستحضر الصبر، وأن يجعله من الوسائل التي يخوض بها موج هذه الدنيا، التي هي أصل وجودها دارُ اختبار وابتلاء. وإنّ صُورَ الصبر تتعدد بتعدّد صور الحياة الدنيا ومظاهرها. والمتأمل في الآيات القرآنية يجد أمثلة لأوجه الصبر ومجالاته، من غير أن يعني ذلك أنّها هي المجالات الوحيدة التي

(١) تفسير مقتنيات الدرر، سيد علي الحائري الطهراني، ٨ / ٢٥٠.

(٢) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، ٤ / ٢٢٩٥ باب المؤمن أمره كله خير، حديث رقم (٢٩٩٩).

تتطلب صبرًا، بل هي عِيَّات يقاس عليها ما عداها، وإنَّ الحالات التي أضاءها القرآن الكريم بالصبر هي:

١ - الصبر المطلق

وقد ورد هذا في قوله سبحانه: ﴿أَبْرَأَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ أَخَذْنَا مِنْ آلِ إِبْرَءِيمَ الْوَعْدَ الْأُولَىٰ﴾ {الرعد: ٢٢}، فقد ذكرت الآية الكريمة عدة خصال للمؤمنين، أولها: الصبر ابتغاء وجه الله تعالى، وهذا معناه أنك تضبط النفس عن الشهوات، وتسيطر على منازع النفس فتقوى الإرادة، وتكون الأهواء أمةً لها، ولا تكون سيدًا عليه، وإنَّ الصبر في المصائب التي تنزل، والإصرار على الوقوف عند أمر الله تعالى ونهيه. وقيل هو الصبر عن المحارم والمآثم، وقيل (صَبَرُوا) مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والأموال، ومشاق التكليف^(١).

والواضح أنَّ هذا الصبر في هذه الآية غير مقيد بالإتيان بما أمر الله تعالى به، وباجتناب ما نهى عنه، أو بالصبر على البلاء، بل هو مطلق؛ ليشمل هذه الأبواب وما عداها، ولكن المهم هو ابتغاء وجه الله فيه، أي أن يكون خالصًا لوجهه، لا تشوبه شائبةٌ، ولا يخالطه رياء.

٢ - الصبر على العبادة

وقد وردت في هذا السياق آياتٌ عديدة تحت المسلمين على الصبر على العبادة، من ذلك قوله سبحانه: ﴿لَا يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَا الَّذِينَ آمَنُوا وَلَٰكِن يَخْتَصِمُونَ﴾ {مريم: ٦٥}، فقوله (واصطبر لعبادته)، يعني رَوْضَ نفسك ووطنها على العبادة وحمل أعبائها، فهي تكاليف لا يستطيع الإنسان القيام بها، إلا إذا استطاع أن يروض نفسه على الصبر، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿أَبْرَأَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ أَخَذْنَا مِنْ آلِ إِبْرَءِيمَ الْوَعْدَ الْأُولَىٰ﴾ {الرعد: ٢٢}، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿أَبْرَأَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ أَخَذْنَا مِنْ آلِ إِبْرَءِيمَ الْوَعْدَ الْأُولَىٰ﴾ {الرعد: ٢٢}.

(١) ينظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، ٨ / ٣٩٣٣ - ٣٩٣٤.

فالصلاة بحاجة إلى الصبر لتؤدى بأركانها كاملة، وتُبعدَ عن أن ينتهز الشيطان منها شيئاً، كأن تتشغلَ النفسُ عنها بأمور الدنيا فلا تؤدى في وقتها، أو تشغل النفس عنها في أثناء تأديتها فلا يبقى منها إلا حركاتها، ولو كانت النفس محمولةً على الصبر، لأدّيت الصلاة كاملة تامة. فالصبر على العبادة فهم معناه عن طريق محورية الخطاب القرآني من خلال مقابلة الآيات بعضها ببعض والتي أشارت إليها التفاسير المعاصرة.

[illegible]

فالصبر إذاً هو أساس الاتفاق على تحصيل العلم، ولقد عذر الخضر موسى (عليه السلام) أكثر من مرة؛ لصعوبة الصبر؛ ولأنّ ما حصل كان يتطلب قدرًا عاليًا منه، وبما أنّ موسى (عليه السلام) لم يُبدِ ذلك النوع الخاص من الصبر، فقد بطل

(۲) ينظر: تفسير النور، محسن قراءتی، ۵ / ۱۸۷ - ۱۸۸.

ولا شك أننا نُفيد من هذه الواقعة في ضرورة التحلي بالصبر، لا في ميدان التعلم وحسب، بل في مجال التعامل العام مع الآخرين، كتعامل المعلمين مع طلابهم، وبالعكس، والأطباء مع المرضى، وبالعكس، والناس بعضهم مع بعض في شتى شؤونهم ومصالحهم.

[illegible]

وهناك أنواع أخرى من المصائب والبلايا التي مر بها رجالُ الله تعالى، ولكنهم تَلَقَّوْها بالصبر الجميل والتسليم المطلق لمراد الله، من ذلك مثلاً ابتلاءُ إبراهيم (عليه السلام) بالحرق بالنار، وبتركِ فِلْذَةٍ كبده وزوجه في صحراءٍ قاحلةٍ، وبذبح ابنه، وما مُنِيَ به يعقوبُ (عليه السلام) بفقدِه ولده يوسف، وما مر به يوسف من كيدِ إخوته،

(٢) ينظر: تفسير المراغي، مصطفى المراغي، ٢٦ / ٤٠.

واسترقاقه، وسجنه، وبُعْده عن أهله ووطنه، وما أصاب أيوبَ (عليه السلام) مِنْ مرض أفردَه وحيدًا سنين طويلة، وغيرها.

٥ - الصبر المذموم وعدم الرضا

يَرِدُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ صَبْرٌ أَوْ تَوَاصٍ بِالصَّبْرِ يُبْدِيهِ غَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ بِرِسَالَةِ الْإِسْلَامِ، مِنْ أَجْلِ الْحِفَافِ عَلَى مَعْتَقَدِهِمْ، وَهَذَا الصَّبْرُ مَذْمُومٌ مِنْ وَجْهَةِ النَّظَرِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُبَدَّلُ مِنْ أَجْلِ الْحَقِّ، أَوْ أَنَّ عَاقِبَتَهُ لَيْسَتْ حَقًّا؛ وَلِأَنَّهُ صَبْرٌ لَيْسَ فِي اللَّهِ، فَالصَّبْرُ الْمَذْمُومُ هُوَ مَا يَكُونُ لْغَيْرِ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى. وَمِنْ الْمَوَاضِعِ الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا آيَاتٌ تُشِيرُ إِلَى هَذَا النَّوعِ مِنَ الصَّبْرِ هِيَ:

قوله تعالى: **أَأَحْمَ □ خَمْ □ □ □ سَم □ □ □** {الفرقان: ٤٢}. ((
أي يصرفنا عن عبادة آلهتنا لولا أن صبرنا وثبتنا على عبادتها. وهذا القول منهم
ناتج عن ظلمة الكفر والتكذيب بالبعث))^(١).

وقوله تعالى: أٌبَي تر □ □ تن تي تي □□ □ □ □ □ □

{ص:٦}. وكان هذا خطاب الأشراف من قريش، يقولون أن امشوا في طريقكم التي كان عليها آبائكم واصبروا على عبادة آلهتكم مهما هوّن محمد (صلي الله عليه وآله وسلم) من شأنها، ومهما نهى عن عبادتها. وقيل: أنّ هذا لشيء يراد تعليل للأمر بالصبر. وقيل: أنّ هذا الأمر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا، فلا حيلة إلاّ تجرع مرارة الصبر (٢).

ولهذا فَإِنَّ هؤلاء القومَ وَإِنْ صبروا، فَإِنَّ صبرهم كان على باطل، وكانت عاقبته النار، قال تعالى: ^أ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١

{فصلت: ٢٤}.

أَيُّ إِنَّ الصَّبْرَ الَّذِي يَبْدِيهِ الْكَافِرُونَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا سَيُلْقِي بِهِمْ فِي النَّارِ، أَوْ إِنَّهُمْ إِنْ يَصْبِرُوا عَلَى النَّارِ، لَا يَنْفَعُهُمْ صَبْرُهُمْ، وَلَا يَنْقُذُهُمْ مِنْهَا، بَلْ هُمْ مَأْكُوثُونَ فِيهَا؛ حَيْثُ سَتَكُونُ دَارُهُمْ وَمَسْتَقَرُّهُمْ.

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، ٣ / ٦١٧.

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ١٢ / ١٣٣ - ١٣٤.

ثالثاً: الإِشَار

الإيثار من محاسن الأخلاق الإسلامية، وهو مرتبة راقية من مراتب البذل، ومنزلة عظيمة من منازل العطاء، وأسمى درجات الكرم، ولا يتحلى بهذه الصفة المثالية، إلّا الذين بلغوا قمة السخاء.

وبعد الإيثار أحد أبرز الفضائل والقيم الإنسانية حيث وصفته الروايات بأوصاف
كريمة من قبيل أنه أعلى مكارم الأخلاق، فجاء عن الإمام علي (عليه السلام) أنه
قال: ((الإيثار أعلى المكارم، الإيثار أعلى الإحسان، الإيثار أحسن الإحسان وأعلى
مراتب الإيمان))^(١).

وسئِلَ الإمام الصادق (عليه السلام): ((أي الصدقة أفضل ؟ قال: جهد المقل
أما سمعت قول الله عز وجل: ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة))^(٢).

أقسام الإيثار

قيل في تعريف الإيثار هو: ((أن يُقَدِّم غيره على نفسه في النفع له والدفع عنه، وهو النهاية في الأخوة))^(٣).

ويمكن تقسيم الايثار إلى قسمين:

۱ - ایثار متعلق بالخالق

وهو أفضل أنواع الإيثار وأعلاها منزلة، وأرفعها قدرًا. وهو إيثار رضا الله تعالى على رضا غيره وإيثار حبه على حبِّ غيره وإيثار خوفه ورجائه على خوف غيره ورجائه. ومن علاماته الدالة عليه هي أن يفعل المرء كلَّ ما يحبه الله تعالى ويأمر به، وإن كان ما يحبه الله مكروهًا إلى نفسه، ثقيلًا عليه. كما قال تعالى: ﴿أَأَمْرٌ أَن تَقْرَءَ الْقُرْآنَ وَمِنْ أَدْنَىٰ ذَٰلِكَ يَخْشَىٰ ۚ﴾

[illegible]

(١) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، ١٦.

(٢) الكافي، الكليني، ٤ / ١٨ باب الايثار .

(٣) التعريفات، الجرجاني، ٤٠، والتعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار

الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م)، الطبعة الأولى،

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ٤٠.

الكرامة، إن كنتم تريدون أن تخلصوا الله في عبوديتكم بالبناء على الحب حقيقة، فاتبعوا هذه الشريعة التي هي مبنية على الحب، الذي ممثله الاخلاص والاسلام وهو صراط الله المستقيم. فإن اتبعتموني في سبيلي أحبكم الله وهو أعظم البشارة للمحب وعند ذلك تجدون ما تريدون وهذا هو الذي يبتغيه محب بحبه^(١).

أو أن يترك ما يكرهه الله تعالى وينهى عنه، وإن كان محباً إليه، تشتهيه نفسه، وترغب فيه، وأن يكون حبّ الله هو الأساس عنده في علاقاته مع الآخرين، كما قال تعالى: أ^١ بن بي بي تر □ □ تن تي تي □ □ □ □ □ □^٢ {البقرة: ١٦٥}. دلت الآية الكريمة على أنّ البعض من الناس يجعلون الله أمثالاً ونظراء، يحبونهم كحب الله، ويعظمونهم ويخضعون لهم كتعظيم الله والخضوع له ومحبته. أو أنهم يحبونهم كحب المؤمنين لله. والذين آمنوا أشد حبا لله من الكافرين والمشركين والملحدين لمن أعطوهم صفات الألوهية وخصائصها؛ لأنّ المؤمنين لا يعدلون عن الله إلى غيره بحال. كما دلت الآية على أنّ من مقتضيات الإيمان الواضحة الكبيرة محبة الله. ومحبة الله تكون أثراً عن الشعور بنعمه^(٢).

٢ - إثثار متعلّق بالخلق

ومنه الايثار في النفس، قال تعالى: أ^١ ير □ □ ين □ □ □ □ □ □^٢ {البقرة: ٢٠٧}. فقله تعالى هو وصف مقابل لما ذكر في الآية التي قبلها: أ^١ □ □ □ □ □ □^٢ {البقرة: ٢٠٤}، التي تفيد أنّ هناك رجلاً معترّاً بإثمه معجباً بنفسه متظاهراً بالإصلاح مضمراً للنفاق لا يعود منه إلى حال الدين والانسانية إلّا الفساد والهلاك. فهذه الآية تبين أنّ هناك رجلاً آخر باع نفسه من الله سبحانه لا يريد إلّا ما اراده الله تعالى لا هوى له في نفسه ولا اعتزاز له إلّا بربه ولا ابتغاء له إلّا لمرضاة الله تعالى، فيصلح به أمر الدين والدنيا، ويحيى به الحق، ويطيب به عيش الانسانية، ويدر به ضرع الاسلام^(٣).

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ٣ / ١٥٩.

(٢) ينظر: الأساس في التفسير، سعيد حوى، ١ / ٣٥١ - ٣٥٣.

(٣) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ٢ / ٩٨.

والمفهوم من الآية الكريمة أنها نازلة بحق الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، عندما بات في فراش النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، كما بيّنه سبب نزول الآية الكريمة^(١)، فالإيثار هو خلق أهل البيت (عليهم السلام).

ومنه الإيثار في المال، فعن جعفر بن محمد عليهما السلام قال: ((امتحنوا شيعتنا عند ثلاث: عند مواقيت الصلاة كيف محافظتهم عليها، وعند أسرارنا كيف حفظهم لها عند عدونا، وإلى أموالهم كيف مواساتهم لإخوانهم فيها))^(٢).

فالحديث الشريف أكد أنّ الامتحان في ثلاث: المحافظة على أوقات الصلاة، وحفظ الأسرار، والمواساة بالأموال. فإنّ هذا الامتحان يعني كيفية تعامل الشيعة مع إخوانهم المحتاجين. هل يشاركونهم ويقاسمونهم أموالهم؟ هل يفتحون قلوبهم وأيديهم للمحتاجين؟ إنّ هذا ما أراده الإمام بالمواساة في المال. فهل يستطيع الإنسان أن يضع ماله وممتلكاته في تصرف إخوانه حتّى يستوفوا منها حاجتهم؟ هل تحبّ لأخيك ما تحبّه لنفسك؟ وعليه إنّ من صفات الشيعة مواساة الآخرين بأموالهم.

ومنه الإيثار في الدعاء، أي تقديم الآخرين على أنفسنا كما هو منهج أهل البيت عليهم السلام فقد كانوا يؤثرون الآخرين على أنفسهم. فقد كانت السيدة الزهراء (عليها السلام)، إذا دَعَت تدعو للمؤمنين والمؤمنات ولا تدعو لنفسِها، فقد ورد عن الإمام الحسن (عليه السلام) قال: ((رأيت أُمّي فاطمة (عليها السلام) قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راکعة ساجدة حتّى اتّضح عمود الصّبح وسمعتها تدعو

(١) روي عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال: نزلت في علي (عليه السلام) حين بات على فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما أرادت قريش قتله، حتى خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وفات المشركين أغراضهم. { ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ٢ / ١٨٣. وينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٥ / ٣٥٠. وينظر: تفسير القرآن الكريم (تفسير شبّر)، العلامة المحقق الجليل السيد عبد الله شبّر (ت ١٢٤٢هـ)، مراجعة: الدكتور حامد حفني داود، الناشر: السيد مرتضى الرضوي، الطبعة الثالثة، ١٣٨٥هـ - ١٩٩٦م، ٧٠. }

(٢) الخصال، الشيخ الصدوق، ١٠٣.

للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء فقلت لها يا أمّاه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بنيّ الجار ثمّ الدار^(١).
ومن خلال ما تقدم نجد أنّ الأساس الوحيد الذي يولّد هذه الخصلة الأخلاقية الحميدة هو الإيمان، فكّلما كان إيمان الإنسان أقوى وأرسخ وأثبت في النفس كلّما كانت أعماله أصلح، والعكس صحيح، أي كلّما كان إيمانه بالله تعالى أضعف كانت أعماله ضعيفة وهزيلة بمقدار ضعف إيمانه. فالسعادة الحقيقية للإنسان تُبتنى على الإيمان بالله تعالى. وإنّ الأعمال الصالحة والأخلاق الحميدة لا بدّ أن تكون ناشئة من الإيمان. ومن دون هذا الإيمان لا أثر للأعمال في الآخرة على الإطلاق، وإن كان لها أثر في الدنيا.

المطلب الثاني: المذموم من الأخلاق

لقد ذكر القرآن الأخلاق السيئة وحذّر منها، كما حذرت منها السنة النبوية، ومن هذه الأخلاق: الكذب، والظلم، والعجب والغرور، والغش، والتكبر، والخيانة، وغيرها، وسنبحث في هذا المطلب ثلاث منها وهي:

أولاً: الكذب

وهو خلقٌ ذميمٌ لا ينال صاحبه هداية الله، وهو محرم، وهذا ما يعرفه كل مسلم يؤمن بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) نبياً ورسولاً، وذلك لأنّ الأمر في الإسلام مبناه على الصدق، فالصدق أمانة، والكذب خيانة.

(١) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، تقديم السيد: محمد صادق بحر العلوم، الناشر: منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م، ١٨٢.

وجاء في الحديث ((لا يزال الرَّجُل يصدق ويتحرَّى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، ولا يزال يكذب ويتحرَّى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً))^(١).

والكذب من الكبائر، وقد ورد التحذير منه في القرآن الكريم والسنة النبوية، فمن النصوص القرآنية التي تحذر منه قوله تعالى: ﴿أَأَمَّا أَتَتْكُمْ الْحَبْثَةُ فَابْشِرُوا بِهَا إِنَّهَا خَبْرٌ بَاطِلٌ﴾ {المرسلات: ١٥}، وقوله تعالى: ﴿أَأَمَّا أَتَتْكُمْ الْحَبْثَةُ فَابْشِرُوا بِهَا إِنَّهَا خَبْرٌ بَاطِلٌ﴾ {النساء: ٥٠}. ومن السنة النبوية، جاء عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال: ((آية المنافق ثلاث إذا حدّث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أُوْتِمِن خان))^(٢). وعن علي (عليه السلام) قال: ((إنّ الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، وما يزال أحدكم يكذب حتى يقال: كذب وفجر وما يزال أحدكم يكذب حتى لا يبقى في قلبه موضع إبرة صدق، فيسمى عند الله كذاباً))^(٣).

من أقسام الكذب

الكذب على الله: ويعد أخطر أنواع الكذب لما يتضمنه من عبث في الدين وزيادة أو إنقاص لشرع الله تعالى، قال عز وجل: ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبَاقِعَاتُ مِنَ الْأَنْعَامِ ذُرِّيَّةً فَتَحْتَمِلُهُنَّ الْمَافِقَاتُ﴾ {الأنعام: ٢١}. فالمقصود في افتراء الكذب في هذه الآية، هو الكذب على الله تعالى سواء كان ذلك بإثبات الشريك له، أو دعوى النبوة، أو ينسبون حكم مبتدع ومكذوب إلى الله تعالى^(٤).

الكذب على الناس: وهذا يقول فيه الحق جلّ وعلا: ﴿أَأَمَّا أَتَتْكُمْ الْحَبْثَةُ فَابْشِرُوا بِهَا إِنَّهَا خَبْرٌ بَاطِلٌ﴾ {المنافقون: ١}، فهؤلاء المنافقون كانوا كاذبون في ما يقولونه؛ لأنّ ما يقولونه على خلاف الحقيقة التي يعتقدون بها، والقول على ألسنتهم مكذباً لما في قلوبهم، فكانوا

(١) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، ١ / ٤١٠. وينظر: صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، ٨ /

٢٩. وكنز العمال، المتقي الهندي، ٣ / ٣٤٦.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، ١ / ١٦ باب علامة المنافق، حديث رقم (٣٣). وصحيح

مسلم، مسلم النيسابوري، ١ / ٥٦. وسنن الترمذي، الترمذي، ٤ / ١٣٠.

(٣) الأمالي، الشيخ الصدوق، ٥٠٥ وبحار الأنوار، العلامة المجلسي، ٦٩ / ٢٥٩.

(٤) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ٧ / ٤٥.

الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((إياكم واليمين الفاجرة فإنها تدع الديار من أهلها بلاقع^(١)))^(٢).

وفيهما قال تعالى: أ □ □ □ □ بج بـ به تج تحت تر
ته ثـ □ جم □ حم {فاطر: ٤٢}. تذكر الآية الكريمة أن المشركين عندما سمعوا أن اليهود كلما جاءهم نبي جادلوه ولم يؤمنوا به، أقسموا بأنهم لم يكونوا مثلهم، فإذا جاءهم الرسول يسلمون له دون جدال، لكن لما جاءهم الرسول لم يجد منهم إيمان ولا تسليم، بل وجد جدال وعناد. وعليه فلا يمكن الاعتماد على كل يمين، فالمهم هو العمل لا القول. فبعض الأيمان كاذبة. ونسأل الله أن لا يكون بعض منتظري الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) اليوم، من مصاديق الآية، فهم يدعون الانتظار، ثم عندما سيأتي سيتجاهلون مجيئه^(٣).

خلف الوعد: الوفاء بالوعد من خلال الكريمة التي يزدان بها العقلاء، ويتحلى بها النبلاء، وقد نوه الله عنها في كتابه الكريم فقال: أ □ □ □ □ يم ي □ □ □ {مريم: ٥٤}.

الآية الكريمة خطاب للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، بأن يذكر لقومه صفات أبيهم اسماعيل (عليه السلام)؛ ليهتدوا بهديه، ويحذون حذوه، ويتخلقون بمناقبه وفضائله، والتي منها صدق الوعد، فيُذكر عنه (عليه السلام)، أنه ما وعد وعدًا إلا وفى به، حتى وعد أباه بالصبر على الذبح فقال: أ □ □ □ □ □ {الصافات: ١٠٢}، فصدق وامتلأ في ذلك حتى جاءه الفداء. وصدق الوعد من الصفات التي حثَّ عليها القرآن الكريم وشدد فيها أيما تشديد، فقال: أ □ □ □ □

(١) وهي الدار الفقْرُ التي لا شيء بها، أي خالية من كل شيء. {ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ٣ / ١١٨٨}.

(٢) الكافي، الكليني، ٧ / ٤٣٦ باب اليمين الكاذبة.

(٣) ينظر: تفسير النور، محسن قراءتي، ٧ / ٤٤٩.

□ نى نى □ ير {الصف: ٢}. وقد فُقدت هذه الصفة من كثير من المسلمين، فلا تجد عالماً ولا جاهلاً إلا وهو بمنأى عنها ولا سيما التجار والصناع والعمال^(١).

ومن صور الكذب: الكذب في الشهادات، وإعطاؤها لمن لا يستحقها، وهذه خيانة عظيمة للدين ولدنيا الناس، فكم سيفسد صاحب الشهادة المزورة في المجتمع، فكم من مريض مات لأن معالجه لم يكن طبيباً متخصصاً في مرضه، أو لكونه غير طبيب ابتداءً. ومن صور الكذب: الظهور بمظاهر العلماء والتحدث باسمهم ممن ليس عالماً حقاً؛ ولذلك أصبحنا نرى من يحل الحرام، أو يحرم الحلال. ومن صور الكذب: إقامة الحفلات والمسرحيات التي مبناهما على الكذب والغرض منها إضحاك الناس والترويج على الجمهور كما يقولون.

وقد روي أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ((أنا زعيم ببيت في ربض الجنة وبيت في وسط الجنة، وبيت في أعلى الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً، ولمن ترك الكذب وإن كان هازلًا، ولمن حسن خلقه))^(٢).

وفي الختام نرى أنّ الكذب في الأزمنة السابقة لعصرنا شيئاً مقبوحاً وأمرًا مشيناً، أما في عصرنا فقد لبس الكذب لبوس الصدق وغدا حقاً بعدما كان باطلاً، ومعروفًا بعد ما كان منكراً، وذكاءً ومروءةً وكياسةً بعدما كان لؤماً، وحسن تصرف وحصافة بعدما كان جهلاً، حتى لقد أضحى أهله يُشار إليهم بالبنان، فسبحان الله، هذا الذي جرى بسبب انقلاب الموازين، ومن تابع ما يُعرض حوله سيجد أنّ الكذب فيه يغزل غزلاً ويصنع صناعة ثم يقدم للجمهور على أنّه الحقيقة والصدق وما سواها الباطل والكذب، إلا ما قل، فكم غيرت هذه الوسائل من مفاهيم صحيحة، وقَلبت من سلوكيات مستقيمة.

(١) ينظر: تفسير المراغي، احمد مصطفى المراغي، ١٦ / ٦٢.

(٢) الخصال، الشيخ الصدوق، ١٤٤ . وينظر: السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ١٠ / ٤٢٠.

وإذا ذهب الإنسان إلى الأسواق سيري أنّ الكذب قد أقام فيها وخرج من نسله المشؤوم: الغش والتدليس واليمين الغموس، والحيلة والخداع وذهاب البركة ومحق الأرباح.

ثانيًا: التكبير

وهو التّعالّي على الغير، بالقول أو الفعل. وقد قيل في تعريفه هو: ((أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره وأعظم))^(١). ففي بعض الأحيان يظهر للإنسان أنّه أكبر من غيره شرفاً أو جاهاً أو نحو ذلك فيتكبّر عليه، ويعدّه صغيراً. وقد جاء ذمه في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ أ □ □ بج بج {النحل: ٢٣} . وقال تعالى: ﴿ أ بن بج بج تر □ {الزمر: ٦٠} .

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أنه قال: ((إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبُكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَجْلِسًا أَحْسَنَكُمْ خُلُقًا، وَأَشَدَّكُمْ تَوَاضُعًا وَإِنْ أَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَثَارُونَ، وَهُمْ الْمُسْتَكْبِرُونَ))^(٢). وعن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: ((إِنَّ فِي السَّمَاءِ مُلْكِينَ مُوَكَّلِينَ بِالْعِبَادِ، فَمَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَاهُ، وَمَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَاهُ))^(٣).

أنواع التكبير

١ - التكبرُ على الله تعالى

وهو أقبح وأشدّ أنواع التكبر هلكة، وتراه في أهل الكفر والجحود، ومثاله تكبر النمرود وفرعون وإبليس، يقول فرعون لقومه: أَأُتَّىٰ □ □ {النازعات: ٢٤}. فقد بينت الآية الكريمة ما كان عليه فرعون وملأؤه من الكبر والغرور والتطاؤل على الله^(٤). فهو لم يكتف بكذبه وعصيانه، ومقاومته لدعوة الحق والوقوف أمامها، بل

(١) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوى القاهرى، ١٠٧.

(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ١٥ / ٣٧٨ باب تحريم التكبر. وبحار الأنوار، العلامة المجلسي، ٦٨ / ٣٨٥. وجامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي، ١٣ / ٤٤٨.

(٣) الكافي، الكليني، ٢ / ١٢٢ باب التواضع.

(٤) ينظر: التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري، ٦ / ٣٧٤.

تعدى حدود المخلوق بصورة مفرطة جدًا، وافترى على الله وعلى نفسه بأقبح ادّعاء، حينما ادّعى لنفسه الربوبية على شعبه وأمرهم بطاعته. فعندما يقع المتجبر في عرش الغرور، وتلفه أمواج الأنانية المفرطة، فإنّه سوف يدعى لنفسه الربوبية^(١).

٢ - التكبر على الأنبياء والرسل

وكثيرًا ما كان يحصل في زمن الأنبياء (عليهم السلام)، قال تعالى على لسان الكفار المتكبرين: أأ □ □ تن تي ۞ {المؤمنون: ٤٧}. أي أتهم أعرضوا عن الاستجابة لدعوة موسى وهارون (عليهما السلام)؛ لأنهم متكبرين، فكان شأنهم الكبرياء والعلو، والكبر خلقهم وسجيتهم^(٢). فكيف نؤمن لهما وقومهما خدم لنا، يأتُمرون بأمرنا، بل ونذلهم ونذبح أولادهم، ونستحيي نساءهم، ونسومهم سوء العذاب. وسمى ذلك عندهم عبادة؛ لأن من يخضع لإنسان، ويطيع أمره كأنه عبده^(٣).

وقال سبحانه على لسان آخرين منهم: أأَجْرُ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ تَجْزَىٰ عَنْ تَحَرُّمِهِمْ أَجْرُ كُلِّهِمْ وَهُوَ بِمَا فَعَلُوا خَافٍ ۝٣١ {الزخرف: ٣١}. وهذا معاندة الحق والاستهانة به. أي يقول المشركون لو أنزل هذا القرآن على رجل عظيم من مكة أو الطائف، فاستبعدت قريش نزوله على محمد (عليه الصلاة والسلام)، وهو فقير ويقيم. واقترحوا أن ينزل على أحد الرؤساء والعظماء. فالمقياس عندهم أن العظيم هو صاحب المال والجاه، فلم يعلموا أن العظيم هو الذي يكون عند الله عظيمًا، فمقياس العظمة الحقيقية عند الله تعالى وعند العقلاء هو عظمة النفس وسموُّ الروح، ومن أعظم نفسًا وأسمى روحًا من محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٤). وما قولهم هذا إلا لاستكبارهم وعنادهم.

۳ - التكبر على عباد الله تعالى

وهذا النوع من التكبر له علامات منها: أنَّ المتكبر يتوقع من الناس أن يبتدؤوه بالسلام، وأن لا يدخل أحد إلى المجلس قبله، وأن يجلس في صدر المجلس دائماً.

(١) ينظر: الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ١٩ / ٣٨٧.

(٢) ينظر: التحرير والتتوير، الطاهر بن عاشور، ١٨ / ٦٣.

(٣) ينظر: تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ١٦ / ١٠٠٤٨.

(٤) ينظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ٣ / ١٥٦.

ويتصور أنّ على الناس أن تقف خاضعة وخاشعة أمامه، وتعظمه عند الحديث معه، بحيث لا يرون لأنفسهم شخصيّة أمامه، ولا يتكلّمون معه من موقع الانتقاد بل حتّى من موقع النصيحة والموعظة، فعليهم أن يُعظّموه دائماً، فهو فوق الانتقاد والموعظة والتوجيه والنصيحة. ومن هذا التكبر رفض مجالسة الفقراء، والتبختر في المشي، وأقبحه التكبر على العلماء الأتقياء المخلصين، بحيث لا يسمع لهم قولاً ولا يقبل موعظة ونصيحة، بل يتهمّ عليهم ويستهزئ بهم. يقول تعالى: ﴿أَ تَنْتَهِى عَنِ النَّاسِ أَنْ يُقَالُوا لِمَنْ خَلَقَ الْفُلْكَ أَنْتَ أَعْلَمُ بِالشَّارِقِ وَالْبَاقِ﴾ [البقرة: ٢٠٥ - ٢٠٦].

ويقول أيضاً على لسان لقمان وهو يعظ ابنه: ﴿أَ تَنْتَهِى عَنِ النَّاسِ أَنْ يُقَالُوا لِمَنْ خَلَقَ الْفُلْكَ أَنْتَ أَعْلَمُ بِالشَّارِقِ وَالْبَاقِ﴾ [لقمان: ١٨]. فهذه الآية الكريمة توضح وصايا لقمان لابنه، فمن وصاياهم لابنه، يوصيه بأن لا يتكبر على الناس، ويحتقر عباد الله، ولا يعرض عنهم بوجهه إذا كلموه، كما يفعل المتكبرون، وأن لا يمشي في الأرض متكبراً وجباراً^(١).

وعليه فيجب علينا أن نتواضع ونبتعد عن التكبر، ونتأسى بنبينا الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإنه كان يجلس على الأرض ويأكل الطعام ويقول: ((أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد))^(٢). وعلينا أيضاً أن نتأسى بالإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فعن أبي البوار بائع الخام بالكوفة قال: ((جاء علي بن أبي طالب عليه السلام إلى السوق ومعه غلام له، وهو خليفة، فاشتري مني قميصين وقال لغلامه: اختر أيهما شئت، فأخذ أحدهما وأخذ علي الآخر، قال ثم لبسه ومد يده فوجد كفه فاضلة، فقال: اقطع الفاضل، فقطعته ثم كفه وذهب))^(٣).

(١) ينظر: الأساس في التفسير، سعيد حوى، ٨ / ٤٣١٩.

(٢) مكارم الأخلاق، أبي نصر الحسن بن الفضل الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، الناشر: منشورات الشريف الرضي، الطبعة السادسة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢ م، ٢٧. وسنن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، السيد الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، الناشر: كتاب فروشي اسلامية، الطبعة الخامسة، ١٣٧٠ش، ١٦٤.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ٤١ / ١٦١.

٢ - المعصية

ومن ذلك قوله تعالى: أَّا □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ {البقرة: ١٨٧}. والمعنى هو تخونون أنفسكم إذ تعتقدون شيئاً ثم لا تلتزمون العمل به، فهو مبالغة من الخيانة، التي هي مخالفة مقتضى الأمانة، ولم يقل تختانون الله، للإشعار بأن الله تعالى لم يحرم عليهم بعد النوم في الليل ما حرمه على الصائم في النهار، وإنما ذهب بهم اجتهادهم إلى ذلك فهم قد خانوا أنفسهم في اعتقادها، فكانوا كمن يتغشى امرأته ظاناً أنها أجنبية، فعصيانه بحسب اعتقاده لا بحسب الواقع، فهم على أي حال كانوا عاصين بما فعلوا محتاجين إلى التوبة والعفو^(٢).

وقوله تعالى: أَّا □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ {الأنفال: ٢٧}، وهو خطاب من الله تعالى للمؤمنين يحذّرهم فيه من العصيان الخفي، بعد أن أمرهم بالطاعة والاستجابة لله ولرسوله (صلى الله عليه وسلم)، حذّرهم من أن يُظهروا الطاعة والاستجابة في ظاهر أمرهم، ويبطنوا المعصية والخلاف في باطنه^(٣).

٣ - نقض العهد

من ذلك قوله تعالى: أَّا □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ بج بـ به تج تح تـ تهـ □ جم □ حم □ خم □ سم □ {المائدة: ١٣}. تشير الآية إلى أن بنو إسرائيل نقضوا الميثاق الذي أخذه الله عليهم، فكفروا بآيات الله وجحدوا نعمه وأفضاله، وكذبوا رسله وآذوه، فبسبب هذا لعنهم الله^(٤).

وقوله تعالى: أَّا □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ين □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ {الأنفال: ٥٨}. ((والمعنى إذا كان بينك يا محمد وبين قوم عهد، وعلمت يقيناً أنهم خائنون بظهور أمارات قاطعة على أنهم يضمرون الغدر والاغتيال، ويتخذون

(١) ينظر: الأمالي، الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ)، تصحيح وتعليق: السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، الناشر: منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، الطبعة الأولى، ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م، ٢ / ١٤٥.

(٢) ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٢ / ١٤٢.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ٩ / ٣٢١.

(٤) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ٣ / ١٠٥٣.

من العهد ستارًا يدبرون من ورائه المكر السيء، إذا كان كذلك فألق إليهم عهدهم، وأعلمهم أنك قد نقضته، بحيث تكون أنت وهم في العلم بالنقض سواء ... إن الإسلام يوجب الوفاء بالعهد لأهل الوفاء، أما الذين يتخذون من العهد وسيلة للغدر والاعتيال فإن الإسلام يأمر بنقضه لأنه كيد لا عهد^(١).

٤ - سوء الأمانة

سواء كان ذلك بالسرقة، أو جحد الحقوق، أو الخيانة، أو غير ذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿أَأَمَّا الْكِرَامُ وَالْقِدَاطُ فَأُولَٰئِكَ يَفْعَلُونَ﴾ ^{١٠٥}. فالآية الكريمة توضح أنّ الهدف من إنزال الكتاب السماوي هو تحقيق مبادئ الحق والعدالة بين الناس، ثم يحذر الله تعالى النبي من حماية الخائنين، ومع أنّ الآية خطاب للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولكن مما لا شك فيه هو أنّ هذا الحكم حكم عام لجميع القضاة والمحكمين، وبهذا الدليل فإنّ مثل هذا الخطاب ليس المفهوم منه أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تبذر منه مثل هذه الأعمال؛ لأن الحكم المذكور يشمل جميع الأفراد^(٢).

٥ - وضع الأمر في غير أهله

فمن الأمانة أن توضع الأمور في الأكفاء من أهلها، وهذا ما أكّده الله تعالى بذكر قول إحدى ابنتي شعيب، عندما قالت في حقّ سيدنا موسى (عليه السلام): ﴿أَأَمَّا ابْنَةُ شُعَيْبَ لَآتِيكِ الْكِرَامُ وَالْقِدَاطُ فَأُولَٰئِكَ يَفْعَلُونَ﴾ ^{٢٦}. ففي الآية الكريمة ذكرت ابنة شعيب لأبيها كفاءته، وهي القوة البدنية والأمانة. فسألها: كيف علمت ذلك فذكرت له عن القوة في سقيه لهما وعن الأمانة في غض بصره عن النظر إليها^(٣). فوصفته بأفضل صفات الأجير: القوة في القيام بالأمر، والأمانة في حفظ

(١) التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، ٣ / ٤٩٩.

(٢) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ٣ / ٤٣٨.

(٣) ينظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ٤ / ٦٦ - ٦٧.

الشيء. ومصدر هاتين الصفتين ما شاهدت من حاله^(١). فكان الاختيار في مكانه، ووضع الأمر في موضعه، لما يحمله من الصفات النبيلة.

أما من وضع الأمور في غير أهلها خان الأمانة، فصلاح الأعمال لا يتأتى إلا من أهل الكفاءة والقدرة والإتقان، أمّا من ضَعُف عن القيام بالواجب المُتَّاط به فلا ينبغي أن تُسند إليه الأعمال بأيّ شكل من الأشكال.

(١) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، ٢٠ / ٨٦.

المبحث الرابع: أبعاد أخرى (اجتماعي، علمي،
سياسي)

المطلب الأول: البعد الاجتماعي

المطلب الثاني: البعد العلمي

المطلب الثالث: البعد السياسي

المطلب الأول: البعد الاجتماعي

في تراثنا الإسلامي ملاحظة بارزة وقوية، وهي مركزية القرآن الكريم ومحوريته في كلّ ما أنتجته الأمة من علوم ومعارف، وأيضًا في كل الأبعاد التي اتسعت لها التفسير المعاصرة، ومنها البعد الاجتماعي.

امتازت التفسير المعاصرة بتلونها باللون الاجتماعي، أي لم يعد يظهر عليها ذلك الطابع التقليدي الجاف، من معالجة مسائل شكلية كادت تصرف الناس عن هداية القرآن الكريم، وانشغالهم بمباحث لا تمس روح القرآن وحقيقته.

فقد ظهر على هذه التفسير طابع آخر، وتلونت بلون يكاد يكون جديدًا وطارئًا على التفسير. وهذه النهضة الاجتماعية قامت بمجهود كبير في تفسير كتاب الله، قرّبت القرآن إلى أفهام الناس، في مستوى عام كان أقرب إلى الواقعية من الأمس الماضي.

إنّ هذه التفسير نظرت إلى القرآن نظرة بعيدة عن التأثير بمذهب من المذاهب، على العكس من التفسير القديمة، التي كان تأثرها بالمذهب إلى درجة تجعل القرآن تابع إلى مذهب المفسر، فيؤول القرآن بما يتفق مع مذهبه، وإن كان تأويلًا متكلفًا ويعيدًا.

ومن مميزات هذه التفسير أنها فتحت في وجه التفسير بابًا كان مغلقًا عليه منذ زمن بعيد، فهي أعطت للعقل حرية واسعة النطاق، وأتاحت للعقل والفكر البشري مجاله الواسع الذي منحه الله له.

وقد تناول المفسرون المعاصرون مشكلات الحضارة، والانحطاط والتخلف، وتقشّي الأميّة، والجهل، والمرض، والفقر، ومصادرة الحريات، والظلم والاستبداد، وغياب الدور الاجتماعي للمرأة، وغيرها من الأبعاد الغائبة في معظم آثار السابقين. واقترن ذلك بالدعوة لتحرير التفسير من الاستغراق في المباحث اللغوية، وسرد آراء الفرق، والافتراضات البعيدة عن روح القرآن.

وكانت السمة المميّزة لخطاب المفكرين والباحثين في هذا العصر تتمثّل بإحياء دور القرآن في حياة الأمة، واستلهام رؤيته حيال المشكلات والهموم الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية للمواطن، كي يعود القرآن من جديد لتوجيه المجتمع، والحضور الفاعل في دنيا الناس.

وقد استفاق نخبة من المفسرين على أفكار السيد جمال الدين الذي اهتم بالتعامل مع القرآن الكريم من منظور اجتماعي، وحرص على استجلاء معالجات القرآن وتدابيراته وسننه في الإجماع البشري، فمثلاً خصّ جمال الدين مسألة التفسير السنني بأكثر من مقال. وفي فترة لاحقة سعى تلميذه محمّد عبده لتطوير هذا المنحى في فكر أستاذه، فتوسّع في بيان جذور السنن في القرآن الكريم في تفسيره، ولم يقتصر محمّد عبده على ذلك، بل دعا لتدوين علم جديد يعنى بفقه السنن، فيرى أنه لما اختلفت حالة العصر اختلافاً احتاجت معه الأمة إلى تدوين علم الأحكام وعلم العقائد وغيرهما، كانت محتاجة أيضاً إلى تدوين هذا العلم، ولك أن تسميه علم السنن الإلهية أو علم الاجتماع أو علم السياسة الدينية^(١).

واستخلص الشهيد الصدر أشكال السنن التاريخية في القرآن، وحلّل في سياق بحثه عن نماذجها عناصر المجتمع في القرآن وموقع الدين في هذه العناصر، وانتهى إلى صياغة قوانين الثورة في ضوء ما يقرره التفسير السنني^(٢).

وقد عالج أشهر المفسرين في العصر الحديث مشكلات المجتمع الإسلامي، في ضوء ما يشي به النص القرآني، وحرصوا على استتطاق الآيات القرآنية واستكشاف رؤية القرآن ومعالجاته لهذه المشكلات. كما يتجلّى ذلك في تفسير الطاهر بن عاشور، الذي عمل فيه على استيعاء مقاصد القرآن وأهدافه، وهي المقاصد التي خصّص لها المقدّمة الرابعة من المقدّمات العشر الممهّدة لتفسيره، ودعا فيها المفسّر

(١) ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٤ / ١١٥.

(٢) ينظر: المدرسة القرآنية، السيد محمد باقر الصدر، ٣١ وما بعدها.

إلى استقراء المقاصد وبيانها في التفسير، والقارئ إلى طلب المقاصد عوض الوقوف الجامد عند الجزئي من معاني وألفاظ القرآن^(١).

ونطالع أيضاً تجربة رائدة جسدت النموذج الأمثل للتفسير الاجتماعي، نهض بها السيد محمود الطالقاني، فمنذ عام ١٩٣٩م تقريباً شرع الطالقاني بدروس لتفسير القرآن، ولم يقتصر على تلك الدروس، وإنما انطلق في مواعظه وخطبه على المنبر من القرآن، وتوكل في دعوته لإقامة القسط والعدل، وشجب الطغيان والظلم، على مفاهيم القرآن. فاصطبغ التفسير لدى الطالقاني بصبغة المقاومة والثورة ومناهضة الاستبداد، مما أثار حفيظة البعض الذين فوجئوا بتوظيفه للقرآن في بعث الحياة واستنهاض المجتمع؛ لأن هؤلاء ألفوا القرآن يوظف في حالات موت الإنسان، أو دفنه، أو تلقينه تحت الثرى، أو إقامة العزاء عليه، فاقترن الكتاب الكريم بالموت والأموات، ولم يألفوا أية صلة له بالحياة والاحياء، حسب تعبير السيد الطالقاني^(٢).

ويبدو المدلول الاجتماعي للقرآن بأجلى صورة في تفسير (الكاشف) للشيخ محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ)، الذي قال عن تفسيره ((حاولت ان أطبق آيات القرآن على حياتنا، واربطها بأفعالنا ما استطعت))^(٣). وقد أشبع تفسيره بالمشاغل والهموم اليومية للمجتمع، وعبر عن رؤية القرآن ببيان ميسر يفهمه كل أحد، ولم يتكلف فيه لغة خاصة بالنخبة، ولهذا كان تفسير (الكاشف) من أوفر التفاسير حظاً من الانتشار بين القراء.

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ١ / ٣٨ وما بعدها.

(٢) ينظر: التفسير والتفاسير الحديثة، بهاء الدين خرماشاهي، ٣٩ - ٤٠.

(٣) تجارب محمد جواد مغنية، الشيخ محمد جواد مغنية، مراجعة وتحقيق: رياض الدباغ، الناشر: أنوار الهدى، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، ١٥٤.

المطلب الثاني: البعد العلمي

يرمي هذا البعد إلى جعل القرآن مشتملاً على إشارات عابرة إلى كثير من أسرار الطبيعة، التي كشف عنها العلم الحديث، ولا تزال على مسرح الاكتشاف.

ويعتمد هذا البعد على تحكيم الفرضيات والنظريات والقوانين العلمية في معاني آيات الكتاب الكريم، وبذل محاولات تأويلية تتجاوز المدلول الظاهر للآية أحياناً، بغية القول بتطابق مدلولها مع معطيات العلم الحديث. ويرجع هذا البعد من التفسير إلى عدة قرون تسبق العصر الحديث، أمثال الغزالي والفخر الرازي وغيرهم. لكن تعرف المسلمين على مكاسب العلوم الحديثة ومنجزاتها الواسعة، أوجد أرضية جديدة للتفسير العلمي، فعمد بعض المفسرين إلى اقتباس معطيات العلم وتطبيقها على النص القرآني.

فمن المفسرين الذين أشاروا إلى البعد العلمي في تفاسيرهم، هو محمد رشيد رضا، ففي قوله تعالى: أَوَّيْمُ يَوْمٍ نَأْتِيكُم بِغَمٍّ مِّن دُونِكُمْ وَلَٰكِن تَعْجَلُونَ

فقد ذكر أنّ هذه الآية هي أكبر مثال للعجب بهذا التعبير (موزون) فإنّ علماء الكون الأخصائيين في علوم الكيمياء والنبات قد أثبتوا أن العناصر التي يتكون منها النبات مؤلفة من مقادير معينة في كل نوع من أنواعه بدقة غريبة لا يمكن ضبطها إلا بأدق الموازين المقدرّة من أعشار الغرام والمليغرام، وكذلك نسبة بعضها إلى بعض في كل نبات. أعني أنّ هذا التعبير بلفظ (كل) المضاف إلى لفظ (شيء) الذي هو أعم الألفاظ العربية الموصوف بالموزون تحقيق لمسائل علمية فنية لم يكن شيء منها يخطر ببال بشر قبل هذا العصر، ولا يمكن بيان معناها بالتفصيل إلا بتصنيف كتاب مستقل^(١).

وقد ظهرت الكثير من المؤلفات بمرور الزمن في التفسير العلمي، غير أن أشهر هذه المؤلفات وأوسعها، هو (الجواهر في تفسير القرآن الكريم) للشيخ

(١) ينظر: تفسير المنار، ١ / ١٧٧.

طنطاوي جوهري، الذي مزج فيه كما يقول الآيات القرآنية بالعجائب الكونية والبدائع الأرضية، وجعل آيات الوحي مطابقة لعجائب الصنع، وكان يرمى إلى أن يكون كتابه هذا داعيًا حثيثًا إلى درس العوالم العلوية والسفلية، وليقومن من هذه الأمة من يفوقون الفرنجة، في الزراعة، والطب، والمعادن، والحساب، والهندسة، والفلك، وغيرها من العلوم والصناعات^(١).

والشيخ الجوهري كان منذ صباه مولعًا بالاكشافات العلمية الدينية، مغرمًا بالعجائب الكونية، ومعجبًا بالبدائع الطبيعية، مشوقًا إلى ما في السماء والأرض من جمال وكمال وبهاء كما يقول هو عن نفسه في مقدمة تفسيره: ((لما تأملت الأمة الإسلامية، وتعاليمها الدينية، ألفت أكثر العقلاء وبعض أجلة العلماء، عن تلك المعاني معرضين، وعن التفرج عليها ساهين لاهين، فقليل منهم من فكر في خلق العوالم وما أودع فيها من الغرائب. فأخذت أولف كتبًا لذلك شتّى، كنظام العالم والأمم، وجواهر العلوم، والتاج المرصّع، وجمال العالم ... ومزجت فيها الآيات القرآنية بالعجائب الكونية، وجعلت آيات الوحي مطابقةً لعجائب الصنع))^(٢).

ويقرر في تفسيره هذا أن في القرآن من آيات العلوم ما يربو على سبع مائة وخمسين آية، في حين أن علم الفقه لا تزيد آياته الصريحة على مائة وخمسين آية^(٣).

(١) ينظر: الجواهر في تفسير القرآن الكريم المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات، الأستاذ الشيخ طنطاوي جوهري (ت ١٣٥٨هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٠هـ، ١ / ٢ - ٣.

(٢) الجواهر في تفسير القرآن، ١ / ٢.

(٣) ينظر: الجواهر في تفسير القرآن، ١ / ٣.

والناظر في تفسيره يجده كثيرًا ما يهيب بالمسلمين أن يتأملوا في آيات القرآن التي ترشد إلى علوم الكون، ويحثهم على العمل فيها، ويندد بمن يغفل عنها على كثرتها.

وبالرغم من أن تفسير طنطاوي جوهرى اشتمل على مباحث وإشارات عديدة تعالج مشكلات التخلف، وتدعو إلى مقاومة الاستعمار، والثورة ضد الاحتلال، ومناهضة الاستبداد، إلا أن النزعة العلمية طغت على هذا التفسير، فاستغرق صاحبه في اقتباس الفرضيات والحقائق العلمية، وتطبيقها على الآيات القرآنية، بمناسبة أو غير مناسبة، مما أثار حفيظة الكثير من الدارسين، الذين رأوا في طريقة طنطاوي جوهرى إسرافًا ومبالغة مفرطة في مزج فروض العلم واحتمالاته وقوانينه بمعاني القرآن، فظهر تيار يعارض هذا الأسلوب في التفسير، ويحذر بشدة من التفسير العلمي للقرآن.

غير أن الكثير من المفسرين في العصر الحديث أفاد من نتائج الاكتشافات العلمية، ففسروا بعض الآيات التي تتحدث عن الظواهر الطبيعية على ضوء هذه الاكتشافات، وصدرت مجموعة دراسات تعالج قضية الإعجاز العلمي وتسعى للاستعانة بشيء من معطيات العلوم الحديثة في البرهان على إعجاز القرآن.

المطلب الثالث: البعد السياسي

قد يبدو هذا المصطلح غريبًا في محيطنا العلمي، لاعتبارات ارتباط المصطلح بمجمل مداخلات واقعية ومنهجية، إلا أنه على وفق شمولية القرآن الكريم وهيمنته يبدو هذا المصطلح واقعيًا، بل ضروريًا، وواجبًا أحيانًا، بوصفه يمثل البديل الحضاري والرد العلمي، فقد كانت كتب التفسير توفر رؤية واضحة للأمة في كل مرحلة تتعرض فيها أمتنا لأزمة حضارية.

الله وجد العدل، فقال: ((وكل من كان بصدد الحكم في شيء من هذه الجنايات فأعرض عما أنزل الله من القصاص المبني على قاعدة العدل والمساواة بين الناس، وحكم بهواه أو بحكم غير حكم الله فضله عليه فهو من الظالمين حتمًا))^(١).

وأما (الفاسقون) فقوم تجاوزوا الحد في ظلمهم لأنفسهم، فكأنما بدأوا خروجهم من دين ربهم؛ لأن الفسق بداية الخروج، فقال: ((فأولئك هم الخارجون من حظيرة الدين، الذين لا يعدون منه في شيء، أو الخارجون من الطاعة له، المتجاوزون لأحكامه وآدابه))^(٢).

ثم علل رأيه الذي استخلصه من آيات التحكيم بقوله: ((وإذا تأملت الآيات أدنى تأمل، تظهر لك نكتة التعبير بوصف الكفر في الأولى، وبوصف الظلم في الثانية، وبوصف الفسوق في الثالثة. ففي الآية الأولى كان الكلام في التشريع وإنزال الكتاب مشتملاً على الهدى والنور والتزام الأنبياء وحكماء العلماء العمل والحكم به، والوصية بحفظه. وختم الكلام ببيان أن كل معرض عن الحكم به، رغبة عن هدايته ونوره، مؤثراً لغيره عليه، فهو الكافر به... وأما الآية الثانية فلم يكن الكلام فيها في أصل الكتاب الذي هو ركن الإيمان وترجمان الدين، بل في عقاب المعتدين على الأنفس أو الأعضاء بالعدل والمساواة، فمن لم يحكم بذلك فهو الظالم في حكمه. وأما الآية الثالثة فهي في بيان هداية الإنجيل، وأكثرها مواظ وآداب وترغيب في إقامة الشريعة على الوجه الذي يطابق مراد الشارع وحكمته، لا بحسب ظواهر الألفاظ فقط، فمن لم يحكم بهذه الهداية، ممن خوطبوا بها، فهم الفاسقون بالمعصية والخروج من محيط تأديب الشريعة))^(٣).

ثم أسقط دلالة هذه الآيات على مسلمي هذا العصر، وبين موقعهم من تلك الأوصاف، فقال: ((وقد استحدث كثير من المسلمين من الشرائع والأحكام نحو ما استحدث الذين من قبلهم، وتركوا بالحكم بها بعض ما أنزل الله عليهم، فالذين يتركون ما أنزل الله في كتابه من الأحكام، من غير تأويل يعتقدون صحته، فإنه يصدق

(١) المصدر نفسه، ٦ / ٣٣١.

(٢) المصدر السابق، ٦ / ٣٣٢.

(٣) تفسير المنار، ٦ / ٣٣٤.

عليهم ما قاله الله تعالى في الآيات الثلاث، أو في بعضها، كل بحسب حاله، فمن أعرض عن الحكم بحد السرقة أو القذف أو الزنا غير مذعن له؛ لاستقباحه إياه، وتفضيل غيره من أوضاع البشر عليه، فهو كافر قطعاً، ومن لم يحكم به لعة أخرى فهو ظالم، إن كان في ذلك إضاعة الحق، أو ترك العدل والمساواة فيه، وإلا فهو فاسق فقط؛ إذ لفظ الفسق أعم هذه الألفاظ، فكل كافر وكل ظالم فاسق، ولا عكس^(١).

وسنبحث في هذا المطلب موضوع من أهم الموضوعات في البعد السياسي، وهو الشورى.

الشورى

الشورى هي مفهوم إسلامي استُمد من آيات القرآن الكريم، وقد عرف التاريخ الإسلامي صوراً متنوعة للشورى، وورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مشاورته أصحابه في مواضيع عديدة على الرغم من كونه معصوماً عن الخطأ، وتعتبر الشورى مبدأً إنسانياً رائعاً، وعظيماً، حيث أنها تعود بالنفع على المجتمع، ويسود فيه التعاون، وحرية الرأي.

تختلف الشورى عن الديمقراطية، فالشورى نظام قائم على أحكام الإسلام وتعاليمه، ويعود الأصل في اتخاذ القرارات المناسبة للشرعية الإسلامية وما يتناسب معها، أما الديمقراطية فهي تعطي حق تقرير المصير، واتخاذ القرارات بشكل كامل في يد الشعب، والديمقراطية تمنح الشعب حق عزل الإدارات السياسية، والحكومية، وحتى عزل الرئيس، وهو نظام مستحدث، وذلك يمنح الشعب القدرة على اتخاذ القرارات دون العودة إلى مرجع، وبعيداً عن الدين والشرعية الإسلامية.

قرر الإسلام مبدأ الشورى في قوله تعالى: ﴿أَأَمَّا إِنْ كَانَ لَكُمْ الْحُكْمُ فَاتَّخِذُوا أَمْرَكُمْ شُورًا ۚ وَتِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الَّتِي كُنَّا نُزِيلُ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ {آل عمران: ١٥٩}.

وأكد للأمة أنّ الشورى مبدأً أساسياً، يقوم نظام الإسلام عليه، أما شكل الشورى

(١) المصدر نفسه، ٦ / ٣٣٤ - ٣٣٥.

ووسيلة تطبيقها، فهي أمور قابلة للتحوير والتغيير، حسب أوضاع الأمة وملابسات الحياة فيها^(١).

وإنّ بنص كتاب الله الذي تقدم ذكره من سورة المائدة، فإن الذين لا يحكمون بما أنزل الله ظالمون، وهم لا يستحقون الإمامة فكيف يعطيهم مسلم تأييده وولاءه، وكيف لا يضع يده بيد أهل الله للوصول إلى حكم الله. ولكن يجب التوضيح أنّ الحركة الإسلامية وهي تواجه أوضاعاً متعددة، قد ترى شرّاً أهون من شر، وضرراً أهون من ضرر، وظلماً دون ظلم، وبالتالي فإنّها على ضوء الموازنة والمقايضة تختار أهون الشرين، وأخف الضررين مبقية على نظام ما دامت لا تستطيع أن تغيّر النظام إلى إسلام كامل، فليس المهم أن تسقط نظاماً، ولكن المهم أن يكون النظام البديل إما هو أحسن لإسلامنا، أو هو إسلامي خالص، وهذه قضية خطيرة، وموازناتها صعبة، وحكم الله أولاً، ثم الشورى ثانياً هما عصام الحركة عن الزلل الشرعي، أو السياسي^(٢).

وعند التشاور حول القضايا المختلفة تقوم العقول والتجارب المختلفة بمساعدة بعضها البعض، عند ذلك ستتوضح الأمور، وتقل العيوب والنواقص ويقل الانحراف، لذا قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((ما من رجل يشاور أحداً إلا هدي إلى الرشد))^(٣).

وقد بيّن الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره للآية الكريمة: أأ □ ء ء ّ ّ {ال عمران: ١٥٩}، أهمية الشورى، فقد أمر الله نبيّه الكريم بها، لكنّه بعد ذلك بيّن الأمور التي تجب فيها المشاورة فقال: ((صحيح أنّ كلمة (الأمر) في قوله تعالى (وشاورهم في الأمر) ذات مفهوم واسع يشمل جميع الأمور، ولكن من المسلم أيضاً أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يشاور الناس في الأحكام الإلهية مطلقاً،

(١) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ١ / ٥٠١.

(٢) ينظر: الأساس في التفسير، سعيد حوى، ١ / ٢١٩.

(٣) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ٢ / ١٥٢٤.

بل كان في هذا المجال يتبع الوحي فقط. وعلى هذا الأساس كانت المشاورة في كيفية تنفيذ التعاليم والأحكام الإلهية على أرض الواقع^(١). ومن خلال هذا القول يتبين أن الشورى تختص بالأعمال التنفيذية ومعرفة الموضوع وليست لمعرفة الأحكام؛ لأنها يجب أن تؤخذ من مصدر الوحي ومن الكتاب والسنة فالأحكام ليست من شأن الناس، بل هي من أمر الخالق. فهذه الأبعاد قد بيّنتها المدونات التفسيرية المعاصرة، وذلك بالإعتماد على محورية الخطاب القرآني ومداريته، فبالرجوع إلى الآيات القرآنية الكريمة، عن طريق مقابلتها مع بعضها، والنظر إلى سياق الآية عند تفسيرها، وكذلك الاستفادة من السنة النبوية، تبينّت أبعاد محورية الخطاب القرآني ومداريته في هذه المدونات التفسيرية المعاصرة.

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢ / ٧٤٩.

الفصل الرابع: رؤية المفكرين المعاصرين لطبيعة العلاقة بين خطاب الوحي ومدارية التراث التفسيري

المبحث الأول: مفهوم التراث

المبحث الثاني: الفريق الأول: الوحي جزء من التراث

المبحث الثالث: الفريق الثاني: الوحي لا يدخل في مسمى
التراث

المبحث الأول: مفهوم التراث

توطئة

المطلب الأول: التراث لغةً

المطلب الثاني: التراث اصطلاحاً

المطلب الثالث: اشكالية التراث في الفكر العربي المعاصر

توطئة

الله مصدر الأديان الإلهية التي نزلت على هذه الأرض، والوحي يمثل الوسيلة التي يتصل بها الله سبحانه بالإنسان، وذلك لأن الله يرسل رسله إلى البشر فينقلون لهم التعاليم الإلهية.

وبعد أن انتشر الإسلام في الجزيرة العربية، واستسلم العرب للدين الجديد، أصبح القرآن موضع اهتمام المسلمين، والمحور الأساس لدراساتهم، وشغلهم الشاغل. وكانت دراساتهم منصبّة على فهم هذا الكتاب وبيان مضامينه، ووجوه إعجازه. ولم يتبادر الشك إليهم بمصدريته الإلهية، وإن اختلفوا في بعض التفاصيل كما في حدوثه وقدمه، ولكن لم يساورهم الشك من جهة أنّه كتاب الله، ولكن هذا لا يعني عدم وجود بعض الحركات والاتجاهات التي كانت تدعو إلى الإلحاد وعدم الاعتراف بالدين والقرآن، ولكن هذه الاتجاهات لم تأخذ حيّزاً واسعاً، ولم تستمر طويلاً، بل كانت محدودة من حيث الزمان والمكان.

وفي العصر الحديث وبعد ظهور الحضارة العلمانية في أوروبا، وظهر حركة الاستشراق بدأوا يشككون في مصدر القرآن وتفسيره، وبدأت تظهر تفسيرات جديدة لظاهرة الوحي، والتي جميعها تنتهي إلى أن القرآن نص بشري لا إلهي.

وبعد خمسة عشر قرناً من ظهور الإسلام، ما زال النص الديني يستحوذ على اهتمام المفكرين مشكلاً مركز أبحاثهم ومنطلق تفكيرهم. هذا الاهتمام متجه إما إلى إعادة تكريسّه في الواقع، وإما إلى جعله نصّاً مثل بقية النصوص الأخرى.

واحتلت إشكالية التراث مكاناً بارزاً عند الحداثيين، وفي الفكر السياسي الإسلامي المعاصر، وبصفة خاصة في النصف الثاني من القرن العشرين، حيث أصبح مفهوم التراث كثير التداول في الأوساط الفكرية العربية والإسلامية، وصار

يتردد على ألسنة معظم المفكرين، وعلى اختلاف اتجاهاتهم؛ لأنه يشكل رافداً من روافد تكوين بنية الوعي العربي الإسلامي، ولهذا أصبح محل جدل واسع في مساجلات الفكر السياسي الإسلامي المعاصر، وأصبحت إشكالية التراث واحدة من أهم الإشكاليات الثقافية الراهنة.

ومن الأسئلة القديمة المتجددة المثارة حول التراث ودلالته، هل يستوعب مفهوم التراث نصوص الوحي أم لا؟ فاختلف العلماء والمفكرون مذاهب في ذلك، بين معتبر الوحي جزءاً لا يتجزأ من التراث محتجاً بأدلته الخاصة، وبين معارض لذلك مانحاً خصوصية لنصوص الوحي تجنبه مجال التراث. فما وجهة وصحة كل اتجاه منهما؟ وهذا ما نبينه في هذه المباحث، مع بيان نظرة هؤلاء المفكرين المعاصرين إلى التراث التفسيري، ورأيهم في اعتماده على محورية الخطاب القرآني ومداريته.

لقد شغلت قضية التراث حيزاً كبيراً في أوساط المفكرين والكتاب المسلمين بمختلف اتجاهاتهم وانتماءاتهم وتصوراتهم، وذلك لأنه يشكل السمات الثقافية والحضارية، والاجتماعية والإقتصادية لكل الشعوب، كما أنه عملية تراكمية دائمة ومستمرة، بدأت قبل مئات السنين ومازالت مستمرة حتى اليوم، فالتراث ليس مجرد حنين إلى الماضي ومشاعر فياضة تجاه هذا الماضي، وقيمه ومفاهيمه ومكوناته، فهو العامل الذي يشكل هوية الأفراد والشعوب، وأن تراث أية أمة لا يتكون من تراكم معرفة وخبرة وتجارب فقط، وإنما يمثل خلاصة شخصية الأمة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وبناءً عليه سنحاول من خلال هذه المطالب توضيح مفهوم التراث.

المطلب الأول: التراث لغةً

لتعريف التراث في اللغة يجب الرجوع إلى جذر هذه الكلمة في المعاجم اللغوية، وعند الرجوع إلى المعاجم، وجدنا أنَّ مادة (التراث) في اللغة تشير إلى ما يُورث عن الآباء من مال أو جاه^(١). والواو والراء والتاء كلمة واحدة، هي الورث. والميراث أصله (الواو). وهو أن يكون الشيء لقوم ثم يصير إلى آخرين بنسب أو سبب^(٢). وجاء في لسان العرب: ((والتراث أصل التاء فيه واو، والورث والإرث والتراث والميراث ما وُِرث، وقيل: الورث والميراث في المال، والإرث في الحساب))^(٣). ويتبين من ذلك أنَّ لفظة التراث لفظة عربية، ومعناها السائد بيننا الآن له أصل لغوي تستند عليه، فتاء الميراث مبدلة عن واو، والورث والميراث والإرث ما يخلفه الرجل لورثته، وما يكون لأناس ثم ينتقل إلى آخرين بنسب أو سبب، والأصل في الميراث، ومن ثم التراث أنه: المال والأشياء المادية، ولكنه ليس محصوراً بها، إذ يطلق على الأشياء المعنوية كالثقافة بما فيها الجوانب المعرفية والقيم الانسانية. وقد جاء هذان المعنيان - المادي والمعنوي - في الوحي الإلهي (القرآن والسنة)، فمن المعنى المادي ما ورد في قول الله تعالى: ﴿أ □ □ □ □ (الفجر: ١٩)، أي ميراث اليتامى، وأصله الورث من وِرِثْتُ، فأبدلوا الواو تاء^(٤). ومن المعنى المعنوي ما ورد في قوله تعالى: ﴿أ □ □ □ □ يم ي □ (فاطر: ٣٢). فالمقصود هنا وراثة الاعتقاد والايمان بالكتب المنزلة من قبل القرآن، فالذي أورثه الله لهؤلاء العباد هو الهدى والايمان وتعاليمه التي تحملها كتب الأنبياء.

ومن المعنى المعنوي ما جاء في الحديث المروي عن أبي هريرة أنه مرَّ بسوق المدينة، فوقف عليها فقال: ((يا أهل السوق ما أعجزكم قالوا وما ذاك يا أبا هريرة

(١) ينظر: المعجم الوسيط، ابراهيم مصطفى وآخرون، ١٠٢٤.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٦ / ١٠٥ مادة (ورث).

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ٢ / ٢٠٠ فصل الواو مادة (ورث).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٠ / ٥٣.

قال ذاك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم التجارة هاهنا لا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه قالوا وأين هو قال في المسجد فخرجوا سراعاً إلى المسجد ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا فقال لهم ما لكم قالوا يا أبا هريرة فقد أتينا المسجد فدخلنا فلم نر فيه شيئاً يقسم فقال لهم أبو هريرة أما رأيتم في المسجد أحداً قالوا بلى رأينا قوماً يصلون وقوماً يقرؤون القرآن وقوماً يتذكرون الحلال والحرام فقال لهم أبو هريرة ويحكم فذاك ميراث محمد))^(١).

وهذا البيان للميراث، تأوله أبو هريرة من حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((إِنْ العلماء ورثة الأنبياء، إِنْ الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكن ورثوا العلم))^(٢).

ونلاحظ أن أبا هريرة أطلق كلمة الميراث على التراث بمعناه المعنوي، فبين لهم أن الصلاة وقراءة القرآن والتذاكر، هو ميراث النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

وهكذا نخلص إلى أن التراث في لغة العرب بمعنى الميراث، ويطلق على وراثته المال والعقيدة والدين والمجد والحسب.

ونرى أيضاً أن الأصل في البداية استخدام لفظ الميراث نيابة عن كلمة التراث ولكن مع تقدم العصور أصبحت (التراث) هي الكلمة الأكثر شيوعاً للدلالة على الماضي وتاريخ الأمة و حضاراتها وما وصل إلينا من الحضارات القديمة سواء أكان هذا التراث متعلق بالأدب أو العلم أو القصص (أي كل ما يمت للقديم).

المطلب الثاني: التراث اصطلاحاً

(١) المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: قسم التحقيق بدار الحرمين، الناشر: دار الحرمين للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ٢ / ١١٤.

(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق، ١١٦.

يعد مفهوم التراث من أكثر المفاهيم التي تنازعتها التيارات الفكرية والثقافية المختلفة، وقد انعكس ذلك التنازع على المفهوم ذاته من حيث معناه الاصطلاحي. وبذلك فقد تعددت أقوال العلماء حول تعريف مصطلح (التراث) حسب الزاوية التي نظر منها كل واحد منهم، ونذكر هنا أهم هذه التعريفات مع التعقيب عليها:

التراث : ((هو كل ما وصل إلينا مكتوباً في أي علم من العلوم أو فن من الفنون، أو هو بالتالي كل ما خلفه العلماء في فروع المعرفة المختلفة))^(١).

وقيل التراث: ((المكتوبات التي جاءت لنا في صورة مادية مات أصحابها))^(٢).

نلاحظ من هذين التعريفين أنهما يحتويان على قيد، وهو أن مصطلح التراث يطلق على المكتوبات، وقيد آخر، وهو أن يحوي هذا التراث المكتوب وعاء مادي بأنواعه المختلفة.

ويعرفه الجابري بالقول: ((التراث هو كل ما هو حاضر فينا أو معنا من الماضي، سواء ماضينا أم ماضي غيرنا، سواء القريب منه أم البعيد))^(٣). ويبدو أن هذا التعريف يُظهر التراث منفصلاً على الثقافات الأجنبية، فلم ينشأ التراث بفعل عوامل داخلية فقط، بل تأثر بالتراث العالمي القريب منه والبعيد، فقد تأثرت الحضارة الإسلامية بالفلسفة اليونانية مثلاً. وذلك عن طريق ترجمة الكتب اليونانية إلى العربية، والتي كانت السبب في نمو الفلسفة بين المسلمين، وقد امتد هذا الاتجاه الفلسفي إلى ساحة التفسير^(٤). وقد عملت اليهودية والمسيحية على إقحام بعض

(١) مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، دكتور رمضان عبد التواب، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م، ٨.

(٢) مدخل إلى التراث العربي الإسلامي، د. خالد فهمي، د. أحمد محمود، الناشر: مركز تراث للبحوث والدراسات، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٤ م، ١٨.

(٣) التراث والحدائق - دراسات ومناقشات -، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩١ م، ٤٥.

(٤) ينظر: علم طبقات المفسرين محاضرات في الرؤى والتصنيفات، الدكتور حكمت عبيد الخفاجي، دار الصادق الثقافية، العراق، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠ م، ٤٥.

أفكارهما في الدين الإسلامي، مثل الاسرائيليات التي أدخلها البعض في تفاسيرهم، مما استدعى ظهور علم الكلام من أجل الدفاع عن العقائد الدينية.

ويقول حنفي في تعريفه للتراث: ((هو كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة، فهو إذا قضية موروثة، وفي نفس الوقت قضية معطى حاضر (على عديد من المستويات)).^(١) وبهذا التعريف يكون حنفي بخلاف الجابري، فهو لم يتجه لتأثير الغرب، بل يبقى داخل الفضاء المشرقي.

ويعرف طارق البشري التراث بأنه ((هو ما آل إلى مجتمع راهن عن الأجيال الغابرة له، من قيم ونظم وأفكار، ومن عادات وأخلاق وآداب)).^(٢) ويمكن القول أن التراث: هو مجموع ما خلفه الأقدمون والأسلاف من فكر وعلم وفن ونمط عيش وفنون حضارة مما يمكن لجيلها الحالي الاستفادة منه، والاستعانة به على حل ما يواجهه من المشكلات والتحديات. أما التراث الإسلامي فهو: ((الجانب الفكري في الحضارة العربية الإسلامية، العقيدة والشريعة، واللغة والأدب والفن، والكلام والفلسفة والتصوف)).^(٣) فالعقيدة والشريعة فهما يعد تراثاً أما هما فلا يعدان تراثاً. وبناءً على هذا التعريف فهو يشمل كل ما خلفه العلماء المسلمون عبر العصور من مؤلفات في مختلف فروع المعرفة، وبشتى اللغات، وفي كل بقعة من بقاع الأرض.

ويعرف في تعريف آخر بأنه: ((النتاج الإنساني الفكري والوجداني، الذي خلفته لنا أجيال الأمة الإسلامية السابقة، ويمكن بلورته وتحديده في أقسام ثلاثة ضرورية التمييز والفصل، وهي (التراث الديني)، (التراث الفكري العام)، (التراث

(١) التراث والتجديد، حسن حنفي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الرابعة، ١٩٩٤م، ١٣.

(٢) ماهية المعاصرة، طارق البشري، ٩.

(٣) التراث والحداثة، محمد عابد الجابري، ٣٠.

الوجداني)))).^(١) وإذا كان نتاج انساني، فإنه يتضمن في داخله الأفكار والأفعال الصحيحة والخاطئة، والسلبيات والايجابيات.

والتراث التفسيري: هو كل ما خلفه المسلمون عبر العصور، وفي كل بقعة من بقاع الأرض، من نشاط فكري حول بيان معاني آيات الذكر الحكيم. ولطالما أثير النقاش حول مفهوم التراث الإسلامي، وكيفية التعامل معه، وحدود مساحات الأخذ والترك منه. وهنا نأتي للسؤال الذي نحن بصددده، هل القرآن الكريم والسنة النبوية داخلان في اطار هذا التراث ومضمونه، أم خارجان عنه غير مُدرَجَيْن فيه؟ وفي الإجابة عن ذلك، يمكن أن نلاحظ ثلاثة اتجاهات، سنذكرها في المباحث اللاحقة.

المطلب الثالث: اشكالية التراث في الفكر العربي المعاصر

تحتل مسألة التراث في الفكر العربي والإسلامي مكانة مهمة لما تقتضيه هذه المسألة الفكرية والمعرفية من أهمية في الفكر والعقل العربي والإسلامي، وفي الواقع الثقافي، وأخيرًا في علاقتها بالآخر الحضاري، وخاصةً أمام التحديات الجديدة على العالم العربي والإسلامي من خلال ظاهرة العولمة واستتبعاتها الثقافية والحضارية، وهوس المفكرين والمتقنين العرب بذلك.

وثمة عدة رؤى ومنظورات متفاوتة ومختلفة ومتباينة حول مفهوم التراث، وثمة أيضًا تصنيفات عديدة قدمها المثقفون العرب أثناء تعاملهم مع التراث. وقد برز الكثير من الباحثين والدارسين الذين يهتمون بالتراث، مثل: حسين مروة، والطبيب التزيني، وعبد الله العروي، ومحمد عابد الجابري، وعبد الكبير الخطيبي، وغالي شكري، وزكي نجيب محمود، وأدونيس، ويوسف الخال، وحسن حنفي، ومحمد عمارة وغيرهم.

وهكذا يرى عبد الله العروي صاحب التوجه التاريخاني، أنّ ثمة نوعين من

(١) الغارة على التراث الاسلامي، جمال سلطان، مكتبة السنة، الدار السلفية للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ٢٠.

المثقفين: مثقف سلفي ينظر نظرة تقليدية إلى التراث، ومثقف انتقائي يختار من التراث ما يعجبه، ويخدم رؤيته. لكن هذين الاتجاهين يغفلان الجانب التاريخي للتطور الحضاري والفكري، سواء أكان ذلك في الغرب أم عند العرب. فلا بد إذا من تبني المقاربة التاريخية لعقلنة موروثنا الثقافي والحضاري، وتحقيق التقدم الهادف والبناء. وفي هذا السياق، يقول عبد الله العروي: ((الغالبية العظمى منهم بحسب المنطق التقليدي السلفي، والباقي بحسب منطق انتقائي، إلا أن الاتجاهين، يعملان على إلغاء البعد التاريخي، ولكن إذا محا المثقف التاريخ من فكره، فهل يمحوه من الحقيقة الواقعة؟ بكل تأكيد لا. إنَّ التاريخ من حيث هو بنية ماضية - حاضرة يشكل الشرط الحالي للعرب، تماما - بمقدار ما يشكل شرط خصومهم. ذلك أن الفكر اللاتاريخي لا يؤول إلا إلى نتيجة واحدة: عدم رؤية الواقع. وإذا ترجمنا هذا بعبارات سياسية، قلنا: إنه يوطد في جميع المستويات التبعية))^(١).

ومن زاوية أخرى، يرى الباحث المصري الدكتور حسن حنفي أنه من الضروري العودة إلى الماضي لفهمه جيدا، واستيعابه بشكل متأن وواع، وقراءته قراءة سياقية وظيفية، وذلك لفهم حاضرننا المعاصر، وتنويره بطريقة إيجابية بناءة وهادفة، قصد تحقيق أصالتنا من أجل السير به نحو التقدم والازدهار. وفي هذا النطاق، يقول الدكتور حسن حنفي: ((الحديث عن القديم يمكن من رؤية العصر فيه، وكلما أوغل الباحث في القديم، وفك رموزه، وحل طلاسمه، أمكن رؤية العصر، والقضاء على المعوقات في القديم إلى الأبد، وإبراز مواطن القوة والأصالة لتأسيس نهضتنا المعاصرة، ولما كان التراث يشير إلى الماضي، والتجديد يشير إلى الحاضر، فإن قضية التراث والتجديد هي قضية التجانس في الزمان، وربط الماضي بالحاضر، وإيجاد وحدة التاريخ))^(٢).

(١) أزمة المثقفين العرب تقليدية أم تاريخانية، د. عبد الله العروي، ترجمة: دكتور ذوقان قرطوط، المؤسسة الغربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م، ١٥١ - ١٥٢.

(٢) التراث والتجديد، موقفنا من التراث القديم، حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٧.

ويرى حسن حنفي أيضاً أنه من الصعب الفصل بين ثنائية الأصالة والمعاصرة أثناء حديثنا عن التراث، فبينهما اتصال بنيوي عضوي، وجدلية مترابطة حاسمة، إنما تعني الأصالة والمعاصرة وحدة باطنية عضوية بينهما، بحيث تتحقق وحدة شخصية في حياة الفرد والمجتمعات^(١).

ويرى الدكتور سعيد بنسعيد بأنّ التراث: ((يستعمل في خطابنا المعاصر استعماراً نهضوياً، ويربط النهضة بالغرابة في وعي الذات، وخاصةً باعتباره نوعاً من ميكانيزمات الدفاع عن الذات، فإنّ التراث بالنسبة للنهضة ولفكر النهضة، وحتى الآن، يلعب دوراً إيجابياً...))^(٢)، وعليه فالتراث في مفهومه البسيط والعادي هو الذاكرة الإنسانية بكل تجلياتها المعرفية، والتقنية، والعلمية، والثقافية، والأدبية، والفنية، والجمالية، سواء أكانت عبارة عن ثقافة شعبية، أم ثقافة عالمية، أم ثقافة رسمية.

ويذهب الدكتور عباس الجراري، ضمن منظوره التاريخي الجدلي، إلى القول بجدلية الماضي والحاضر والمستقبل، وتربط هذه الأزمنة في وعاء واحد لفهم ذواتنا، وفهم حقيقة الآخر، وفهم الطريقة التي نتعامل بها مع التراث، يقول: ((إنّ الارتباط وثيق بين الماضي والحاضر والمستقبل في علاقة جدلية حتمية، تجعل الماضي منعكساً على الحاضر، ومؤثراً في المستقبل، وتجعل بذلك حركة التاريخ حركة كلية لا تتجزأ))^(٣).

أما علي زيعور فينظر إلى توظيف التراث نظرة سيكولوجية، وذلك باعتباره مؤشراً حقيقياً للدفع الذاتي، ومنبعاً للاستقرار والتوازن النفسي، ووسيلة لتحقيق الشعور بالانتماء الحضاري والثقافي، وتوفير الراحة النفسية أثناء التعامل مع الآخر، ويرى علي زيعور بأن التشكيك بقيمة الموروث الحضاري عملية تزعزع الثقة بالنفس

(١) ينظر: تصور الباحث في مجلة المستقبل العربي، لبنان، العدد: ٢٩ يوليو ١٩٨١، السنة الرابعة، ١٣٣.

(٢) مناقشة مقال محمد عابد الجابري حول التراث ومشكل المنهج، المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية، سعيد بنسعيد، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م، ٨٩.

(٣) الثقافة في معترك التغيير، عباس الجراري، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ٥٦-٥٧.

وبالنص؛ لأنها تخل بالتوازن بين الأنا وحقلها الحضاري الذي يعطي الإنسان عمقاً، وقيمةً، وشعوراً بالانتماء. ومن ثمة، بالأمن والاطمئنان. أي: بالقدرة على الاستمرار والتكيف^(١).

زد على ذلك، يرى أدونيس في معظم كتاباته، ولاسيما في كتابه: (الثابت والمتحول)، أنّ التعامل الحقيقي مع التراث العربي الإسلامي ينبغي أن يقوم على خلخلة هذا التراث، وغربلته غربلة جيدة، وذلك في ضوء مناهج حديثة ومعاصرة، عن طريق قراءة واعية ومتعمقة قائمة على التفكيك والتركيب، والبحث عن نقط التحول والتغير والمغامرة الحداثية في هذا الموروث الإنساني، مع إبعاد كل ما يمت بصلة إلى الدين والمقدس والثابت القيمي والأخلاقي. ويعني هذا أنّ أدونيس يدعو إلى قراءة للتراث قائمة على التثوير والتغيير والتطوير. وإن كانت هذه القراءة الحداثية غير موضوعية إلى حد ما، لكونها خاضعة لمشرح التغريب والاستلاب والهدم، وتنطلق من مرجعية تفكيكية أجنبية، لا تعترف بالدين والقيم والأخلاق والأعراف^(٢).

المبحث الثاني: الفريق الأول: الوحي جزء من التراث

(١) ينظر: التحليل النفسي للذات العربية وأنماطها السلوكية والأسطورية، علي زيعور، دار الطليعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١١٥.

(٢) ينظر: الثابت والمتحول، أدونيس، دار الساقي، بيروت، لبنان، الطبعة التاسعة ٢٠٠٦م.

توطئة

المطلب الأول: أسس هذا الاتجاه والقائلون به

المطلب الثاني: القرآن في ميزان النقد عند محمد أركون

المطلب الثالث: خطاب الوحي (الكتاب والسنة) جزء من

التراث مع لزوم العصمة للوحي بخلاف مكونات التراث

توطئة

إنّ هذا الاتجاه لا يرى مانعاً من إدماج الوحي ضمن مكونات التراث، فيُدخلُ
نصوص الوحي الإلهي في مفهوم التراث الإسلامي، ويجعل أي إنتاج علمي ورثاه

عن السابقين تراثاً مقدساً لا ينبغي أن نحيد عنه، ولا يظن أن فيه خطأً، أو شيئاً سلبياً، بل كله صواب، وكله إيجابيات، ويخلعون ما للكتاب والسنة من قداسة على الجهد البشري، وهؤلاء يدافعون عن التراث كله على أنه شيء مقدس، لا ينبغي المساس به، ولا يفصلون نصوص الوحي عن الجهد البشري.

فلا يقتصر التراث الإسلامي عندهم على المنجزات الحضارية، بل يشمل الوحي الإلهي (القرآن والسنة)، الذي ورثناه عن أسلافنا.

وسنتناول في هذا المبحث أهم المفكرين المعاصرين القائلين بهذا الاتجاه، وما هي نظرتهم للوحي، وموقفهم من التراث.

المطلب الأول: أسس هذا الاتجاه والقائلون به

أولاً: أسس هذا الاتجاه

يقوم الاتجاه الذي يرى في نصوص الوحي تراثاً، على أسس أهمها:

١- إنّ المعاني المستفادة من النصوص الشرعية من قرآن كريم وحديث نبوي، توحى بشمول التراث على الوحي وغيره من المعارف الأخرى، وقد يبقى بيان ذلك في المدلول اللغوي.

٢- إنّ إدراج الوحي ضمن التراث لا يعني استواء الوحي مع غيره من حيث القيمة العلمية، بل لكل خصوصياته ومميزاته.

٣- إنّ التعامل مع التراث، سيأخذ بعين الاعتبار قدسية نصوص الوحي وتتنزهه عن الإنتقاء، عكس ما ورثناه عن علمائنا من علوم ومعارف أخرى، فهي تخضع للنقد والإختبار، فالتراث يجمع بين الاعتقاد في الأصول الثابتة، وبين الإجتهد في الفروع،

اجتهادًا يتغير مع تغير المكان، واختلاف الزمان حيث ينظر إلى الإسلام على أنه منهج رباني، من حيث الأصول، وممارسة إنسانية من حيث التطبيق^(١).

ثانيًا: القائلون بهذا الاتجاه

يوجد العديد من المفكرين المعاصرين الذين يتبنون هذا الإتجاه، ومنهم الدكتور أكرم ضياء العمري، الذي يرى أن التراث الاسلامي هو ما ورثناه عن آبائنا من عقيدة وثقافة وقيم وآداب وفنون وصناعات وسائر المنجزات الأخرى المعنوية والمادية، ومن ثم فلن يقتصر التراث على المنجزات الثقافية والحضارية والمادية، بل أنه يشتمل على الوحي الإلهي (القرآن والسنة) الذي ورثناه عن أسلافنا^(٢).

ومن الذين يُدخلون الوحي في مفهوم التراث، محمد جميل فالتراث عنده يشتمل على ((نصوص الوحي والعلوم والمعارف التي أنتجها السابقون حولهما من أجل توظيف وخدمة الحقيقة الإسلامية التي تضمنتها تلك النصوص ليرثها عنهم اللاحقون ليضمنوا بها استمرار العيش في ظلال تلك الحقيقة الإسلامية))^(٣).

ونفس الإتجاه يستفاد من كلام شامل شاهين وهو يتحدث عما خلفه علماء الأمة من تراث إنساني عظيم وضخم منتشر في مكتبات العالم شرقية وغربية، بالإضافة

(١) ينظر: إشكالية التراث في العلوم السياسية، نيفين عبد الخالق مصطفى، مجلة المسلم المعاصر، العدد ٤٣، رمضان، ١٤٠٥هـ، ٨١.

(٢) ينظر: التراث والمعاصرة، أكرم ضياء العمري، سلسلة فصلية تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ٢٧.

(٣) مفهوم التراث محددات ومفاهيم، محمد جميل، الندوة التدريبية المنعقدة بفاس، كلية الآداب، نحو منهجية للتعامل مع التراث الإسلامي، بتعاون مع معهد الدراسات المصطلحية، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي سنة ١٤١٧هـ — ١٩٩٦م، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ — ٢٠٠٠م، ١٠٠.

إلى المزية الأهم والأرفع وهو شمول التراث الإسلامي على الوحي الإلهي القرآن والسنة^(١).

ومن القائلين بهذا الاتجاه ابن باز، فقد ذكر ذلك في كلمة له بعنوان (العناية بالتراث الاسلامي)، قال فيها: ((لا شك أنّ التراث الإسلامي أمره مهم والعناية به واجبة، وعلى رأس هذا التراث كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، فهما أعظم تراث وأفضل تراث وأنفع تراث، وهما أصل دين الإسلام وأساسه، خلفهما لنا رسولنا ونبيينا وإمامنا محمد بن عبدالله عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم، والله يقول في كتابه العظيم: ﴿ أ □ □ □ □ يم ي □ ﴾^(٢)، وعلى رأس المصطفين رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام ... فكتاب الله فيه الهدى والنور، وهو أعظم التراث وأفضل التراث وأصدقه^(٣))). فهو يرى أنّ الوحي الإلهي (القرآن والسنة)، هما من التراث الاسلامي، ويكونان على رأس هذا التراث، لما لهما من العظمة والفضل.

ومن الذين أدخلوا الوحي في مفهوم التراث هو مالك بن نبي، والذي أطلق مفهوم الظاهرة على الوحي القرآني، وجعل مصطلح (الظاهرة القرآنية) عنوانًا لأحد أهم مؤلفاته، والذي عرض فيه محاولات أولية لربط الوحي القرآني بالدراسة العلمية الموضوعية، مستعينًا بالعلوم الاجتماعية والتحليل النفسي، بحيث تحدث عن ((الظاهرة القرآنية التي تضع الدين في سجل الأحداث الكونية بجانب القوانين

(١) ينظر: منهجية البحث عن التراث بين الواقع والطموح، شامل شاهين، ندوة: نحو منهجية للتعامل مع التراث الإسلامي، ١١٥.

(٢) فاطر / ٣٢.

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن باز، جمع وإشراف: دكتور محمد بن سعد الشويعر، دار القاسم للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٦ / ٢٠٧.

الطبيعية))^(١). فقد بحث في الوحي القرآني كظاهرة تخضع لقوانين ثابتة شأنها شأن الظواهر الطبيعية.

ومن هؤلاء أيضاً محمد أركون الذي أكد بدوره على ضرورة الانطلاق من مفهوم الظاهرة القرآنية واستعمالها مصطلحاً بديلاً للقول بالقرآن الكريم، وإخضاعها للدراسة العلمية الوضعية بغض النظر عن مصدرها الإلهي وعدم اعتبارها متعالية ومفارقة للواقع، إذ يطرح أركون سؤالاً حول طبيعة هذا المفهوم الجديد الملحق بالقرآن الكريم ويجب عنه في الوقت نفسه، مما يبين أنه يكتسي عنده أهمية كبرى، يقول: ((ما الذي أقصده بالظاهرة القرآنية؟ أقصد القرآن كحدث يحصل لأول مرة في التاريخ، وبشكل أدق أقصد ما يلي: التجلي التاريخي لخطاب شفهي في زمان ومكان محددين تماماً الزمان هو بدايات التبشير، والبيئة الاجتماعية والثقافية التي ظهر فيها هي الجزيرة العربية. ألح هنا على الطابع الشفهي للقرآن في البداية، لأنه لم يكتب أو لم يدون إلا فيما بعد))^(٢)، فهو عنده بمثابة الحادث الذي يقبل الملاحظة والدراسة العلمية الاستقرائية بمناهج علم النفس وعلم الاجتماع.

كذلك أكد الجابري أنّ المفهوم الأنسب لتحليل وفهم القرآن الكريم هو مفهوم الظاهرة القرآنية، إذ يقول: ((نحن نقصد بالظاهرة القرآنية ليس فقط القرآن كما يتحدث عن نفسه، في الآيات التي ذكرنا من قبل، بل ندرج مختلف الموضوعات التي تطرق إليها المسلمون، وأنواع الفهم والتصورات العالمة التي شيدها لأنفسهم قصد الاقتراب من مضامينه ومقاصده))^(٣). وهنا يشير الجابري إلى أنّه لا يكتفي بمختلف المفاهيم التي يلحقها القرآن الكريم بنفسه من خلال آياته المختلفة، بل يسعى

(١) الظاهرة القرآنية، مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي (١٣٩٣هـ)، تحقيق: (إشراف ندوة

مالك بن نبي)، دار الفكر، دمشق — سورية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠ هـ — ٢٠٠٠ م، ٧٢ .

(٢) قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الاسلام اليوم، محمد أركون، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت — لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م، ١٨٦ .

(٣) مدخل إلى القرآن الكريم، الجزء الأول التعريف بالقرآن، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦ م، ٢٣ .

إلى طرحها في سياق أشمل وهو ما يعرف بالظاهرة القرآنية أي تحليل واسع لمفهوم القرآن الكريم وفق رؤى متعددة ومتباينة.

ومن هؤلاء المفكرين الذين تكلموا عن النص القرآني، المفكر المصري نصر حامد أبو زيد الذي أكد أن ((القرآن نص لغوي يمكن أن نصفه بأنه يمثل في تاريخ الثقافة العربية نصًا محوريًا))^(١). وصرّح ((لقد تحول النص القرآني في الثقافة إلى أن يكون هو النص المعياري، النص الذي يمثل النظام اللغوي تمثيلًا دقيقًا))^(٢). ومن خلال هذين القولين يؤكد أبو زيد أن القرآن يمثل نصًا لغويًا أو جزءًا من النصوص المتداولة في الثقافة العربية، لكنّه محورها تدور كل قضاياها حوله.

والواضح أنّ هؤلاء لديهم تصور جديد للوحي القرآني، قام بنقله من الغيب إلى الظاهرة، ومن اللاتاريخي إلى التاريخي، ومن القداسة إلى الدراسة، كما أنّهم لا يميزون بين نصوص الوحي والنصوص البشرية والدينية الأخرى، فهم يدخلون الوحي في مفهوم التراث، إلّا أنّ البعض منهم، مثل نصر حامد أبو زيد يعدونه هو النص المحوري الذي تدور حوله كل النصوص الأخرى.

المطلب الثاني: القرآن في ميزان النقد عند محمد أركون

إنّ تعامل محمد أركون مع النص القرآني ينطلق من اعتباره جزءًا من التراث الذي يستلزم القراءة النقدية، وإعادة كتابة تاريخه وفق محددات المشروع الذي يتبناه. بمعنى أنّ القرآن ليس أكثر من نص تشكّل تاريخيًا ضمن شروط معينة كغيره من النصوص التي يحفل بها الموروث الفكري للحضارة الإسلامية، مثله في ذلك مثل الشعر الجاهلي أو الشعر العباسي أو غيرهما من منتجات الفكر الإنساني عبر

(١) مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد، الناشر: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، ٩.

(٢) إشكاليات القراءة وآليات التأويل، نصر حامد أبو زيد، الناشر: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، ١٩٠.

العصور المختلفة، وهو ما يعني نزع القداسة عنه باعتباره نصًّا إلهيًّا له خصوصيته، من حيث إخضاعه للنقد التفكيكي والقراءة الحفرية عن طريق توظيف كل المناهج الممكنة من أجل فرض قراءة تاريخية عليه^(١).

ومن ثم إخضاعه لمحك النقد التاريخي المقارن، وللتحليل الألسني التفكيكي، وللتأمل الفلسفي المتعلق بإنتاج المعنى وتوسعاته وتحولاته وانهدامه^(٢).

وهكذا فإنَّ موقفه من القرآن لا يتميز في شيء عن موقفه من التراث عمومًا، وهو وإن كان يعتبر ((أن الدراسة العلمية للمقدس لا تعني الانتقاص منه أو المس به، وإنَّما تعني فهمًا أفضل لكل تجلياته وتحولاته، وتحذيرًا لبعض الفئات أو بعض الأشخاص من التلاعب به لمصالح شخصية أو سلطوية))^(٣)، فإنه لا يخفي نزعه التشكيكية في دراسته هذه، بل إنَّه يقول في نفس السياق: ((ويمكنني أن أقول بأنَّ المقدس الذي نعيش عليه أو معه اليوم لا علاقة له بالمقدس الذي كان للعرب في الكعبة قبل الإسلام ، ولا حتى بالمقدس الذي كان سائدًا أيام النبي))^(٤).

وبناءً على ذلك فهو يشكك في الرواية الإسلامية لقصة جمع القرآن، حيث يقول: ((راح الخليفة الثالث عثمان ... يتخذ قرارًا نهائيًّا بتجميع مختلف الأجزاء المكتوبة سابقًا والشهادات الشفهية التي أمكن التقاطها من أفواه الصحابة الأول. أدّى هذا التجميع عام ٦٥٦م إلى تشكيل نص متكامل فرض نهائيًّا بصفته المصحف

(١) ينظر: الفكر الإسلامي قراءة علمية، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، الناشر: مركز الانتماء القومي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م، ٥١ .

(٢) ينظر: تاريخية الفكر العربي الاسلامي، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، الناشر: مركز الانتماء القومي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م، ٥٦ .

(٣) الاسلام والحدائث، محمد أركون، مجلة مواقف، دار الساقى، العدد (٥٩ - ٦٠)، بيروت - لبنان، ١٩٨٩م، ٢٠ .

(٤) الاسلام والحدائث، محمد أركون، ٢٠ .

الحقيقي لكل كلام الله كما قد أُوحى إلى محمد. رفض الخلفاء اللاحقون كل الشهادات الأخرى التي ترى تأكيد نفسها (مصداقيتها) مما أدّى إلى استحالة أي تعديل ممكن للنص المشكل في ظل عثمان^(١).

بل إنّ هذا التشكيك يمتد إلى طريقة تبليغ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للقرآن وكيفية نقله عنه حفظاً وكتابةً، حيث ينتقد الرواية الرسمية القائلة بأنّه ((عندما ينقل محمد سورة قرآنية فإنّه عندئذ ليس إلّا أداة بحتة للتوصيل والنقل دون أي تدخل شخصي، وأنه فقط يتلفظ بكلام الله، وهو إذن الناطق بكلام الله في اللغة العربية، كان هناك شهود وصحابة يحيطون به في أثناء ذلك، وقد حفظوا عن ظهر قلب السور واحدة بعد الأخرى، ويطيب للتراث المنقول أن يذكر أنه في حالات معينة فإنّ بعض السور كان قد سُجِّل كتابة فوراً على جلود الحيوانات وأوراق النخيل أو العظام المسطحة، إلخ ... واستمر هذا العمل عشرين عاماً))^(٢).

وبعد إثارة هذه الشكوك حول ما نقل من روايات عن حقيقة كتابة وجمع القرآن سواء في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، أو في عهد خلفائه (رضي الله عنهم) وخاصة عثمان بن عفان (رض)، فإنّه ينتقل إلى تحديد ما يعتبره مهام عاجلة تتطلبها المراجعة النقدية للنص القرآني، فيقول: ((ينبغي أولاً إعادة كتابة قصة تشكّل هذا النص بشكل جديد كلياً، أي نقد القصة الرسمية للتشكيل التي رسخها التراث المنقول نقداً جذرياً، هذا يتطلب منا الرجوع إلى كل الوثائق التاريخية التي أتيح لها أن تصلنا سواء كانت ذات أصل شيعي أم خارجي أم سني. هكذا نتجنب كل حذف تيولوجي لطرف ضد آخر، المهم عندئذ هو التأكد من صحة الوثائق المستخدمة.

(١) تاريخية الفكر العربي الاسلامي، ٢٨٨ .

(٢) المصدر نفسه، ٢٨٨ .

بعدها نواجه ليس مسألة إعادة قراءة هذه الوثائق فحسب، وإنما أيضًا محاولة البحث عن وثائق أخرى ممكنة الوجود كوثائق البحر الميت^(١).

فإذا كانت التوراة والأنجيل قد تعرضت للنقد والتفكيك وطبقت عليها كل المناهج المعاصرة في قراءة النصوص، فإنّ القرآن باعتباره يشترك معها في نفس الخصائص العامة لكل كتب الوحي، لا ينبغي أن يخرج عن القاعدة، ويجب إخضاعه لنفس المعايير النقدية، من أجل الوصول إلى نفس النتائج، ولذلك نرى أركون يتأسف لأنّ الديانتين السابقتين قد شكّك في كتابيهما ((أما الإسلام، ومن ثم القرآن، فقد بقي في منأى عن انقلابات الحداثة وشكوكها^(٢).

ولعل في قيامه بالمراجعة النقدية للقرآن ما يلبي حاجته إلى إيجاد مجال حيوي لاستخدام ترسانته المعرفية المتراكمة من العلوم الاجتماعية والإنسانية. وإنّ القراءة النقدية التي يباشرها أركون للنص القرآني تدخل ضمن تصور خاص للوحي القرآني، يحاول من خلاله أن ينزع عنه طابعه المقدس باعتباره أنّ هذه القداسة إنما هي رداء تم إضفاؤه عليه عن طريق تحويله إلى ((نص مثبت ومحدد في مصحف مغلق راح يُستغل ... باعتباره مجموعة من الصيغ المعيارية التي تحدد المفكر فيه على المستوى المعرفي، وتحدد المؤسسات والقانون على المستوى السياسي والقضائي^(٣).

فإذا بحثنا عن الجانب الذي يمثله النص القرآني داخل هذا التصنيف المعياري، وجدنا من القرائن ما يثبت أنّ هذا النص باعتباره جزءًا من التراث حسب رؤية أركون يعبر عن معنى أسطوري يتجسد من خلال خطابه المثالي وبنيته الفكرية التي تترجم عن نوع من التعالي وتجاوز التاريخ، ولذلك فمما يعيبه أركون على المستشرقين

(١) تاريخية الفكر العربي الاسلامي، ٢٩٠ .

(٢) الفكر الاسلامي قراءة علمية، ٢٧٨ .

(٣) تاريخية الفكر العربي الاسلامي، ٢١١ .

تقديمهم ((القصص القرآنية والحديث النبوي والسيرة على أنها تشكيلات استدلالية وعقلانية في حين أنها مدينة للمخيال الذي يبلور الأساطير الخاصة بأصول كل فئة أو ذات جماعية، وتساهم في تأسيسها وإنجاز هويتها))^(١).

وهكذا يتبين أنّ أركون في تحليله لعلاقة الأسطوري بالمقدس يزواج بينهما انطلاقاً من أنّ أحدهما يعبر عن الآخر، أو أنهما يعبران عن شيء واحد، على اعتبار أنّ تشكلهما كان متلازماً، أي أن كلاً منهما تشكل تاريخياً من خلال الآخر وبه، ومن ثم لا يمكن الفصل بينهما. ولعل هذا هو الأساس الذي يَبْنِي عليه قراءته لمجمل التراث الإسلامي بنصوصه وأشخاصه وأحداثه.

وبعد الاطلاع على آراء هؤلاء المفكرين المعاصرين وموقفهم من الوحي القرآني، تبين لنا إنّ إدخالهم الوحي في مفهوم التراث يعني عدم إعطائهم المحورية للخطاب القرآني، كونهم جعلوا الخطاب القرآني بنفس المرتبة مع التراث، وهذا يعني أنهما لدى هؤلاء بنفس المرتبة.

المطلب الثالث: خطاب الوحي (الكتاب والسنة) جزء من التراث مع لزوم العصمة للوحي بخلاف مكونات التراث

يرى أصحاب هذا الاتجاه أنّ خطاب الوحي جزء من التراث، لكن مع لزوم العصمة للوحي، بخلاف مكونات التراث الأخرى.

ويجب التفرقة بين مستويين من التراث، المستوى المعصوم المقدس، وهو القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، والمستوى غير المعصوم وغير المقدس، وهو الفكر البشري المستمد من القرآن والسنة، وعندما ندعو إلى الاعتداد بالكتاب والسنة، ووضعهما في المرتبة الأولى، فإننا بحاجة إلى غريزة ما دار حولهما وما نتج عنهما

(١) تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ١٤.

من فكر واجتهاد. وعلى الذين يدخلون القرآن والسنة في التراث، أن يفرقوا بين مكونات التراث إلى فئتين: الفئة المقدسة المعصومة من الخطأ والزلل والتحريف وهي القرآن والسنة، وهذه العصمة لا تقتضي التقديس العاطفي فحسب، بل تقتضي الانصياع الكامل لهما، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ أُمَّةَ إِلَّا بِمَنْعٍ مِنْ اللَّهِ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ يَوْمَ الْقِيَامِ﴾ (الأحزاب: ٣٦).
 والأخرى: الإسهامات العلمية التي قام به العلماء لخدمة الفئة الأولى (القرآن والسنة).
 يقول محمد الغزالي: ((المسلمون الآن عبء ثقيل على الاسلام، وهم لا يستحقون الحياة إلا إذا أنصفوا الوحي النازل بين ظهرانيهم، وخلصوه من تخليطهم وجهلهم المعيب قرناً بعد قرن. لا قداسة إلا للوحي الأعلى، ولا مكانة إلا للرجال الذين أحسنوا الفقه فيه والعمل به حيث أقامهم القدر. يجب أن تغربل الأفكار والمذاهب والأعراف والتقاليد التي سادت تاريخنا، فقدمها لا يعطيها حق البقاء، والاحترام للحق وحده))^(١).

ورأى أنه لكي يكون انتماؤنا للإسلام واقعاً ملموساً، لا بد من غربلة التراث الإسلامي الذي آل إلينا في هذا العصر لاستبقاء ما يوافق الكتاب والسنة، واستبعاد ما عداه. ونحن أصحاب وحي معصوم، وفي تاريخنا العلمي قمم وأئمة، قد تختلف أفهامهم في الفروع الثانوية، ولكنهم لا يختلفون في الأصول والغايات^(٢).

ومن أصحاب هذا الاتجاه يوسف القرضاوي، الذي يشير إلى ضرورة التمييز بين الاسلام وبين التراث فيرى أن عدّ الإسلام من جملة التراث تهوين من شأن الإسلام و حط من قدره، وإن كان لا بد من إدخال الإسلام في جملة التراث فإن أول واجب هنا هو التفريق بين المستوى الإلهي والمستوى البشري من التراث، ومن صفات المستوى الإلهي، إنه معصوم دلّ عليه محكم القرآن والسنة، ومن ثم ينبغي

(١) دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، محمد الغزالي، دار الشروق، القاهرة، ٩ — ١٠.

(٢) ينظر: تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، محمد الغزالي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ — ١٩٩١ م، ٣٨.

أن يتلقى بالسمع والطاعة^(١). ويضيف أما المستوى الثاني فهو نتاج العقل البشري في مجالات العلم والفلسفة والأدب والفن، ويدخل في هذا عمل العقل البشري في فهم الجانب المعصوم، وهو يشمل علوم التفسير وعلوم الحديث، والفقه وأصوله والكلام والتصوف، ولكن في كل الأحوال يبقى الجانب الإلهي، المتمثل في محكمات القرآن والسنة فوق التراث، بل هو الحاكم على التراث بالقبول أو الرد^(٢).

وبنفس السياق يذهب فهمي جدعان بأن ما ينبغي على مفكري الإسلام المحدثين أن يعوه هو ضرورة الفصل بين الإسلام من حيث هو دين أو عقيدة، وبين الإسلام من حيث هو تراث فلا يضعوا التراث في مرتبة العقيدة، إذ العقيدة أو أصلاها الأساسيان القرآن وما صحّ من الأحاديث النبوية ليست من التراث؛ لأنها ليست منجزات بشرية تورث وإنما هي معطيات إلهية مباشرة^(٣)، وبهذا المعنى فالنص القرآني هو البنية الرئيسية للتراث الإسلامي بأكمله، ولكن مع ضرورة التمييز أن التراث لا يعني النص في ذاته، بل فهم البشر له في زمن معين، وطُرق استخدامه وتوظيفه ومواقفهم المتعارضة منه^(٤).

وبناءً عليه يذهب عبد الكريم سروش إلى ((أن الدين وإن كان أمرًا واحدًا ولكننا نملك رؤى وقراءات متعددة ومتنوعة وسيالة وتاريخية عن الدين، وبإمكانها التعاطي مع المكتسبات العلمية والفلسفية الأخرى، وفي الواقع إن فهمنا لسائر العلوم والمعارف يؤثر بشكل كبير على رؤيتنا الدينية))^(٥).

(١) ينظر: الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، يوسف القرضاوي، ٥٩ - ٦٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ٦٠.

(٣) ينظر: أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، فهمي جدعان، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م، ٥٤٨ - ٥٤٩.

(٤) ينظر: فلسفة العلوم الاجتماعية، صلاح قنصوة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، ٢٣٣.

(٥) التراث والعلمانية، البنى والمرتكزات والخلفيات والمعطيات، عبد الكريم سروش، ترجمة احمد القبانجي، دار الفكر الجديد، النجف، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ٦٦ - ٦٧.

وعلى الرغم من أنّ ثمة جدلية بين الدين كبنية جوهرية لهذا التراث، وبين التراث من جهة أخرى إلا أنّ هناك أشياء توجد في التراث ولا توجد في الدين، وهذا ما يذهب إليه حسن حنفي بالقول: ((فكل ما في التراث ليس في الدين، فقد ظهر التأليه والتجسيم والتشبيه في التراث ولم يظهر في الدين، وظهر الجبر في التراث ولم يظهر في الدين، وظهرت دعوات في التراث إلى الخنوع والاستكانة والرضا، والقناعة والخوف ولم تظهر في الدين، فالتراث إن هو إلا عطاء زمني أو مكاني، يحمل في طياته كل شيء))^(١).

وهذا يعني أنّ للتاريخ الإنساني بكل قواه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية دورًا كبيرًا في تشكيل التراث، فالتاريخ هو محور التراث، ذلك لأنّ أيّ تراث لا يستحق أن يقال أنّه تراث، إلا إذا أصبح جزءًا من تاريخ، ولكنّه يتجاوز التاريخ في حضوره المعاصر، ولا شك أنّ أحكام الإسلام صالحة لكل زمان ومكان، على الرغم من تأثيره الواضح فيهما، فهو وحي مستقل عن تاريخ المسلمين وفكرهم وتراثهم الحضاري، وهذا على خلاف ما تزعمه المذاهب الفكرية المعاصرة التي انبثقت من الحضارة الغربية الحديثة مثل الماركسية والليبرالية والعلمانية، إذ عدت هذه المذاهب الإسلام عقيدة وشريعة جزءًا من التراث^(٢).

وبتعبير آخر لا تراث إلا ما هو عرض انساني زمني، ولا مورث إلا ويكون عرضيًا انسانيًا زمنيًا، وهذا يعني أنّه لا مدخل ذاتيًا للأمور الإلهية في دائرة التراث^(٣).

إنّ أصحاب هذا الاتجاه يفرقون في النظرة والتعامل بين الوحي الذي لا يقبل الانتقاء والاختيار منه، ولا محاولة تطويعه للواقع، وبين المنجزات البشرية الحضارية

(١) التراث والتجديد، حسن حنفي، ٢٠.

(٢) ينظر: تجديد الفكر الاسلامي، محسن عبد الحميد، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، فرجينيا، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، ٢٦.

(٣) ينظر: نظرية التراث ودراسات عربية وإسلامية أخرى، الدكتور فهمي جدعان، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان - الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م، ١٧.

والثقافية، فهي قابلة للانتخاب والتوظيف وفق الرؤية المعاصرة، وحسب الحاجة والمصلحة^(١).

وقد حذر القرآن الكريم نفسه من محاولة الإنتقاء هذه، قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُ أَنْ لَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ خَلَقُوا الْبَشَرَ مِنْ نَارٍ فَكُفِّرُوا وَلَمْ يَتُوبُوا﴾ (البقرة: ٨٥). فالآية الكريمة تحمل تحذيراً من خطر الانتقائية والالتقاط في السلوك، وتبيّن أن بعض الأفراد يقبلون ببعض أحكام الدين ويتركون البعض الآخر، فالكفر ببعض الآيات، هو في الحقيقة كفر بجميع الأحكام، وبهذا فإنّ جزاء من لا يعمل بقسم من الآيات الذل والهوان في الدنيا، وعذاب أليم في يوم القيامة^(٢).

وإنّ هذا الاحتراز يقتصر على الوحي الإلهي فقط (القرآن والسنة)، فهو لا يتعدى إلى الفقه أو الاجتهادات الفكرية، التي أنتجها العقل البشري، من خلال تفاعله مع الوحي الإلهي، ومحاولته الاستنباط من الكتاب والسنة^(٣).

وفي مواجهة دعوات التمسك بالتراث وعدم التمسك به واعتماده في القضايا المعاصرة، فهناك من يرى أنّه باستثناء الكبريات السلمية فإنه لا توجد ثوابت مطلقة لا تخضع للدراسة والنقد العلمي فكل المشهورات والضروريات وما تسالم عليه الأصحاب هو أمرٌ يجب إخضاعه من جديد للبحث والتمحيص لأنّه لا أحد يعلم كيف تشكلت تلك الاجتماعات والضرورات والمشهورات وفي أي ظروف وفي أي محيط اجتماعي وثقافي لأنّها كانت محكومة بلون تلك الظروف^(٤).

(١) ينظر: التراث والمعاصرة، أكرم ضياء العمري، ٢٨.

(٢) ينظر: تفسير النور، محسن قراءتي، ١ / ١٥٢.

(٣) ينظر: التراث والمعاصرة، أكرم ضياء العمري، ٢٩.

(٤) ينظر: الأصالة والمعاصرة في نظرية اهل البيت، صدر الدين القبانجي، مجلة الاجتهاد والتجديد، طهران، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب السلمية، ٢٠٠٣، ١ / ٢٠٥.

وعلى وفق هذا الاتجاه فهناك من فرقوا في تعاملهم مع التراث الإسلامي بين

قسمين:

الأول: ما هو نصوص سماوية أو وحي رباني بالمفهوم العام للوحي الذي يشتمل على القرآن والسنة النبوية الصحيحة وما يدخل في حدود قوله تعالى: ﴿أَأَمَّنَّا﴾ □ □ □ □ □ نعم □ في {النجم: ٣- ٤}، وهذا لا شك أنه دين مقدس يجب الالتزام به، ولا يصح بحال التلاعب به لا زيادة ولا نقصاً ولا تبديلاً، فضلاً عن إخضاعه لعملية النقد البشري.

الثاني: ما هو اجتهادات بشرية في فهم هذه النصوص وتطبيقها على الواقع، وهذا بلا شك موروث تاريخي له قيمة كبيرة، يمكن الانتفاع به، والانطلاق منه، والبناء عليه، ولا يصح تجاوزه أو تجاهله، ولكنه مع ذلك لا يحمل صفة الدين والقداسة، لذا فهو قابل للنقد أو حتى النقض والأخذ والرد والتطوير.

وبهذا المفهوم يمكن للتراث الإسلامي أن يجمع بين ما هو دين مقدس، وما هو تاريخ في ذات الوقت، أما الدين فهو النصوص القطعية - أقصد القرآن والسنة الثابتة- وهذه تمثل الأصول والكليات والأهداف والقواعد العامة، والمرن هو النصوص الظنية أي المحتملة لثبوت النقل وعدمه، وهي ما سوى القرآن والأحاديث النبوية الثابتة، أو النصوص المحتملة لأكثر من معنى، وهذه تمثل الفروع والجزئيات والوسائل وأساليب التطبيق.

وعلى وفق ذلك فالقول بأن القرآن الكريم والسنة النبوية تراث، وإدخالهما في دائرة التراث، لا يعني إخضاعهما للشك أو الريبة كما يفهم المصطلح الغربيون وثلة من المفكرين المتغربين من بعض العرب والمسلمين، فهم قلة على الرغم من علو صوته.

وهكذا فالقرآن الكريم والسنة النبوية إن أدخلنا في التراث فإنهما يسموان عليه، فالتراث ينطلق منهما وينضبط بهما. فالقرآن الكريم قوام على التراث وحفيظ على ما فيه من القيم، كما أنه - أي القرآن - قوام على السنة الصحيحة التي هي تطبيق له، وهما الإطار الذي يجب أن نرجع إليه ونحتكم في كل قضايا التراث.

المبحث الثالث: الفريق الثاني: الوحي لا يدخل في
مسمى التراث

توطئة

المطلب الأول: أُسس هذا الاتجاه

المطلب الثاني: القائلون بهذا الاتجاه

توطئة

إنَّ أصحاب هذا الإتجاه ينادون بالفصل التام بين نصوص الوحي وبين التراث الإسلامي، ويرى أصحاب هذا الموقف أنَّ الوحي له خصيصة الإلهية، أما التراث فتُخلع عليه صفة البشرية، ولا ينبغي أن نخلط بين البشري والإلهي.

ويرى أصحاب هذا الموقف أنّ الذي أضفى على التراث صفة القداسة - التي هي للوحي الإلهي - توهم دخول القرآن والسنة في التراث الإسلامي، وقالوا : من المؤكد أنّ (علوم القرآن) و(علوم الحديث) و(علم أصول الدين) و(علم الفقه وأصوله) وبقية العلوم الدينية، قد عززت هذا التوهم؛ لأنّ القرآن ليس هو علوم القرآن؛ ولأنّ علم أصول الدين أو الفقه أو أصول الفقه ليست هي الدين نفسه، فهذه العلوم ليست وحيًا، وإنما كلام تاريخي على الوحي، أما الوحي فهو الإلهي المجاوز للتاريخ، لذلك فتلك العلوم تراث، أما الوحي الإلهي فليس بتراث.

وعلى هذا الاتجاه الغالبية الكبرى من أصحاب التوجّه الإسلامي من العلماء والمفكرين والباحثين، فهم مع عدم دمج الوحي بالتراث، وبعّدونه مفارقًا ومغايرًا له؛ لأنّ التراث في اعتقادهم هو إنجاز إنساني خالص، وجهد بشري، أي أنّه من صنف الإبداعات الإنسانية التي يكون الإنسان فيها هو الصّانع، وهو السّلف المورث للخلف الآتي بعده.

وهؤلاء عندهم حرّية في إخضاع نصوص التراث للتّقيّة والتّصفية مع تجنب نصوص الوحي المقدّسة هذا السلوك الذي ينطوي على الكثير من العبث الفكريّ.

فحدود المقدّس عندهم واضحة تتطبق فقط على القرآن الكريم والسّنة النبويّة الثّابتة، فلا ينسحب هذا إلى تقديس التراث غير المقدّس، ولا يؤثّر عدم تقديس التراث عندهم على نظرتهم المقدّسة لنصوص الوحي من القرآن الكريم والسّنة النبويّة.

المطلب الأول: أسس هذا الاتجاه

يسوغ هذا الاتجاه موقفه بالمبررات الآتية:

١- إنَّ وسم نصوص الوحي بالتراث، يجعلها عرضةً للانتقاء والنقد والتقويم، وهذا ما تتعالى عنه نصوص القرآن والسنة عن غيرها بكونها وحي مطلق^(١).

٢- إن مفهوم التراث بهذا الشكل، مفهوم مستورد من مناهج البحث الغربية الاستشراقية، له حمولة ثقافية من شأنها أن تسيء إلى نصوص الوحي، وتتعامل معها معطيات تاريخية كغيرها.

٣ - إن هناك اختلافًا واضحًا بين نصوص الوحي وغيرها من المعارف والتركات العلمية، من حيث المصدر والخصائص المميزة؛ فالأولى مصدرها إلهي وخاصيتها اليقين ولا تقبل النقض، في حين الثانية مصدرها بشري وخاصيتها الصواب والخطأ^(٢).

٤- إن مفهوم التراث الذي درج استعماله مقابلًا للمعاصرة، فيه إجحاف في حق النصوص الشرعية المتعالية عن مفهوم التاريخ زمانه ومكانه^(٣).

وخلاصة القول أنه يمكن تلخيص مقصد هذا الاتجاه مما ذهب إليه، في أنه يريد الحفاظ على القدسية المطلقة، التي يتمتع بها كل من القرآن والسنة، عند دراسة التراث وفحصه، خصوصًا في وقت تبسط فيه النظريات الغربية مناهجها بكل قوة، لا تفرق فيه بين ما هو مقدس وآخر غير مقدس.

المطلب الثاني: القائلون بهذا الاتجاه

(١) ينظر: مبادئ أساسية في تقويم التراث، عبد المجيد النجار، ضمن ندوة: نحو منهجية للتعامل مع التراث الإسلامي، ١٦٧.

(٢) ينظر: نحو منهجية للتعامل مع التراث الإسلامي، محمد جميل، ١٢٤.

(٣) ينظر: منهجية البحث عن التراث بين الواقع والطموح، شامل شاهين، ١١٥.

من المفكرين المسلمين الذين يرون عدم إدخال خطاب الوحي في التراث، الدكتور عماد الدين خليل، الذي يقول: ((وهذا لا يعني، بالضرورة، إدراج النصوص القرآنية والنبوية التي ينبني عليها علم العقيدة والشريعة في سياق المعطى التراثي بسبب اختلاف المصدرين، والخصائص المميزة لكل معطى))^(١). فنصوص الوحي عنده ينبغي تنزيهها عن هذا الخلط المنهجي؛ لأنها تتميز عن غيرها في المصدر والخصائص. فنصوص الوحي مصدرها الله سبحانه وتعالى، أما نصوص التراث الأخرى فمصدرها بشري.

وكذلك من القائلين بهذا الاتجاه الأستاذ أنور الجندي، فهو يعتبر كلمة تراث، كلمة ملغومة يراد بها أن يصبح الاسلام تراثاً شبيهاً بغيره، لدى الأمم الأخرى، وقال: ((أما بالنسبة للإسلام فإنّ هناك شيء قائم كالمنار لا يمكن أن يوصف بأنه تراث، هو (القرآن والسنة)، وهذا هو ميراث المسلمين الأصيل الذي حفظ الله ما أنزل منه وهو القرآن، والذي وصفه الرسول الكريم بقوله: لقد أوتيت هذا الكتاب ومثله معه ... كيف يمكن أن يصفه بضعة شعوبيين وعلمانيين بأنه تراث))^(٢).

كما نرى أنّ هناك من يتحفظ عن إطلاق معنى التراث على ما هو وحي إلى حد الامتناع^(٣).

إنّ القراءات الحداثيّة للنصّ القرآني بما اصطبغت به من مواصفات وما قامت عليه من ركائز، فهي تحاول قطع الصلة بالتراث التفسيري، وتُغلبُ العقل على ما

(١) في منهج التعامل مع التراث، مجلة إسلامية المعرفة، العدد ١٩، (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ١٢٤.

(٢) المعاصرة في إطار الأصالة، الأستاذ أنور الجندي، دار الصحوة للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ٤.

(٣) ينظر: النص الإسلامي في قراءات الفكر العربي المعاصر، سعيد شبار، منشورات الفرقان، دار القرويين، المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ٢١.

سواء من الأصول للنظر في القرآن الكريم، كما أنّها تستبعد مفهوم القداسة في التعامل مع نصوص الوحي؛ لذلك يرى عبد المجيد الشرفي أنّ إحاطة القرآن بالقداسة يجعلنا لا نهتدي إلى دلالاته العميقة، قال: ((مهما كان التوجّه فإن معظم التفسير حاولت أن تُوجد معنى للقرآن في إطار القداسة، فلم نوفق إلى بلوغ منطقه العام))^(١).

وقال أيضاً: ((لو أبعدنا - وهذا مجرد افتراض نظري - هذه النصوص الثواني^(٢) وهذه السُنّة التأويلية، فإننا إذ ذاك نتعامل مباشرة مع النصّ القرآني بطريقة مختلفة عن هذه التأويلات التاريخية. وهنا يمكن أن نشير إلى أن ما نقوله بالنسبة للنص المقدس وتعامل المسلمين معه، لا يختلف اختلافاً نوعياً مع حكم التقليد في المسيحية (La tradition)، ففي المسيحية الكاثوليكية نرى أنّ هذا التقليد له أولوية بالنسبة إلى النصّ... ولهذا السبب فإنّ الإصلاح البروتستانتي كان بمثابة ردّ فعل على هذه الوساطة، وقد رفع البروتستان شعار الكتاب وحده))^(٣).

ويرى عماد الدين خليل أنّ المنجزات البشرية الحضارية، قابلة للانتخاب والتوظيف وفق الرؤية المعاصرة، وظروف الزمان والمكان، وتغير الوقائع والأحداث، وشتان بين التعامل مع الأشياء المحددة الساكنة، والتعامل مع الحياة المتحركة المتخصصة، التي لا تكف عن التدفق والنمو والتجدد والإبداع، إنّنا في الحالة الأولى نبحت ونكتشف ونحمي ونصون ونستمتع، وأمّا في الحالة الثانية فنتحرك ونتفاعل

(١) في قراءة النص الديني، عبد المجيد الشرفي وآخرين، سلسلة موافقات، ١٩٨٩ م، ٨٩.

(٢) يسمّي التفسير نصّاً ثانياً بدعوى أنّ المسلمين يقدسونه تقديس النصوص، وهذا ما لم يقل به أحد، وإنما هي دعوى أطلقها الحداثيون لتبرير هجومهم على التراث التفسيري.

(٣) تحديث الفكر الإسلامي، عبد المجيد الشرفي، دار المدار الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩ م، ١٦ - ١٧.

ونبدع ونتجدد ونستمر ونمضي قُدماً في حوار متناغم هادف بين ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا^(١).

ومن الذين سفَّهوا التراث التفسيري ودعَّوا إلى التعامل المباشر مع القرآن الكريم، جمال البنا فقال: ((المسلمون فهموا القرآن عبر التفاسير فضَّلُوا... لا بدَّ أن نستبعد الالتزام بالتفاسير، إذ لا فائدة فيها، ونقرأ القرآن مباشرة))^(٢). ولكن هذا الكلام يفتقد إلى الدقة، فهناك تفاسير قيِّمة كان لها دور كبير في فهم القرآن الكريم، فليست كل التفاسير يجب أن تستبعد حسب كلام البنا.

وعلى هذا فإنَّ نصوص الوحي (القرآن والسنة) تسمُّوا وترتفع على التراث، وهي قيِّمة وحاكمة عليه، والتراث الإسلامي ينطلق منها وينضبط بها، وهي الإطار الذي يجب أن نرجع إليه ونحتكم في كل قضايا التراث الإسلامي.

ونرى أنَّ جمال سلطان لا يُدخل خطاب الوحي في مسمى التراث، إذ يقول: ((التراث هو نتاج إنساني، يعتريه ما يعتري الإنسان من قصور وخلل، وخضوع لضغط الزمان والمكان وأثرهما ونحو ذلك، أما الوحي فهو مطلق من الزمان والمكان، ومنزه عن الباطل جملةً وتفصيلاً، وبالتالي فالمنهج الذي يصح في التعاطي مع الوحي يختلف جذرياً عن المنهج الذي نتعاطى به مع التراث))^(٣).

إنَّ هناك خلطاً خطيراً يقع في التراث الإسلامي، عن قصد أو عن غير قصد، وهو اعتبار الوحي جزء من التراث الإسلامي، فيخضعونه للنقد والتقييم، كما يخضعون التراث البشري لذلك. فلا يجوز بحال الخلط بين الوحي الرباني وبين النتاج البشري، فكل خصائصه ومعالمه ومقوماته الذاتية.

(١) ينظر: موقف إزاء التراث، عماد الدين خليل، مجلة المسلم المعاصر، العدد (٩) مارس ١٩٧٧م، ٤٧.

(٢) نحو قراءة جديدة للقرآن في ظلِّ التحديات المعاصرة، حوار أجرته معه صباح البغدادي، مجلة: (رؤى)، تصدر عن مركز الدراسات الحضارية بباريس، العدد ٢٣، ٢٤، عام ٢٠٠٤م، ١٠٨.

(٣) الغارة على التراث الاسلامي، ٢٢.

ويأتي التأكيد على هذا من مشكلة أساسية وهي أنّ عامة الاتجاهات الفكرية العربية المعاصرة، المتأثرة أو التابعة لاتجاهات الفكر الأوربي، تنطلق من قواعد ومناهج البحث الأوربي، التي لا تسلم بقضية الوحي، وتتنظر إلى القرآن أنّه إبداع إنساني أتى به محمد صلى الله عليه وآله وسلم^(١).

لذلك نجد عند هؤلاء قلة النضج في الأسلوب حين الحديث عن نصوص الوحي الإلهي، وهذا ناتج عن تلك الروح الأوربية التي تأثروا بها، فهم لا يفرقون بين الدين وبقية الإرث الحضاري، بل يسوون بين التراث الذي مصدره الإنسان المخلوق، وبين التراث الذي مصدره الإله الخالق، فيخضعون التراث للنقد والانتقاء والقبول والرفض. فمشكلة (التراث) الإسلامي مشكلة استنفدت الكثير من الجهود والبحوث، كما أثارت وأثير حولها الكثير من المعارك، والأصل في المسألة تحديد ما هو المقصود من كلمة (التراث)، فإن كانت ما تعنيه أنه مما ورثه جيل عن جيل من جهد بشري معرفي ثقافي أو علمي، فإنه من المؤكد عندها أن (القرآن الكريم) و(السنة المطهرة الصحيحة) ليسا من التراث بأي معنى من المعاني؛ لأنهما وحيان من السماء وهما فوق التاريخ وأدواره في إنشائهما، ولكن معظم المشاريع الفكرية الحداثوية تتجاهل عن قصد أو عمد هذا التفريق لتجعل من القرآن والسنة جزءًا من التراث الإسلامي يصدق عليهما ما يصدق على غيرهما، وما يقوله الحداثيون عن طبيعة القرآن الكريم والسنة المشرفة المرحلية هو مجرد كلام عام أصله عدم الإيمان، وإن عارضوه، وهم لا يملكون مثالًا واحدًا على ادعاءاتهم، فمن جهة هم يتجاهلون المشترك الإنساني العام عبر التاريخ مع أنهم لا ينسونه أو يتناسونه عندما يتحدثون عن أرسطو أو أفلاطون ، ومن جهة ثانية لا يؤمنون بقدرة الله عز وجل مع علمه الأزلي على تنزيل وحي يكون فوق المتغيرات البشرية ويصلح لجميعها، بل يُصلح (بضم الياء وكسر اللام) جميعها، ويتحدث البعض عن التنجيم في التنزيل (تنزيل الآيات تباعًا خلال فترة الوحي بكاملها)، وعن نسخ قليل من آيات القرآن الكريم تلاوةً أو حكمًا، وعن أسباب النزول حيث نزلت بعض الآيات استجابة لظروف أو أحداث معينة في حياة النبي،

(١) ينظر: الغارة على التراث الاسلامي، ٢٥.

صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته، ويعتبرون ذلك دليلاً على أنّ الواقع لعب دوراً أو أدواراً في صياغة النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، ومن الواضح أنّ هذه الحيل مردودة على أصحابها من منطلق الإيمان بالله قادر حكيم عليم، علمه أزلي وأبدي، وحكمته لا حدود لها، وقد شاء بصفاته العلية هذه أن يكون الوحي على هذه الهيئة المتفاعلة مع مجتمع أريد إنشاؤه ليكون نموذجاً لمجتمع رباني تقاس إليه أحوال المجتمعات .

فالقرآن الكريم والسنة الصحيحة المشرفة وحيان من السماء وهما فوق التاريخ ومتغيراته، وكل ما عداهما تراث قابل للأخذ والرد والتفسير والتأويل، وهذا من منطق الإيمان.

وربما كانت المشكلة عند كثير من الحداثيين أنّهم لا يريدون المجاهرة بعدم إيمانهم، ولذلك تراهم يدورون ويلفون حول معانٍ توحى بأنّ القرآن الكريم والسنة المشرفة ابنا البيئة التي وجدا فيها ويحملان كل ملامحها، وذلك يوهم بأنّهما ليس من قبيل الوحي النازل من السماء، بينما المسلمون اليوم في مشارق الأرض ومغاربها يقرؤون القرآن الكريم والأحاديث النبوية ولا يشعرون بهذا الذي يلح عليه الحداثيون، بل يشعرون بأنّ القرآن والحديث كأنّهما يتنزّلان الآن ويخاطبان كل مسلم بنفسه مع اختلاف الأعراق والشعوب والأمكنة.

وخلاصة القول أنّنا نرى أنّ إطلاق لفظ التراث على القرآن والسنة، وهما أصل الدين، إطلاق فيه تساهل وتوسع في التعبير، وإلا فإنّ القرآن والسنة ليسا تراثاً ولا ماضياً، إنّهما الماضي والحاضر والمستقبل، وهما رسالة الله العامة الخالدة التي تخاطب الإنسان وتهديه في كل زمان ومكان، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ ۖ تَدْعُونَ إِلَهُاتِكُمْ ۖ الَّذِينَ اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَ إِلَهُاتِهِمْ بِالْبَغْيِ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۚ﴾ الأنعام: {١٦٢-١٦٣}.

الفصل الخامس: السمات المميّزة لمحورية القرآن ومدارية السنة في التفاسير المعاصرة

المبحث الأول: عالمية الخطاب القرآني

المبحث الثاني: حاكمية الخطاب القرآني

المبحث الثالث: هداية الخطاب القرآني

المبحث الرابع: رسالة الخطاب القرآني

المبحث الخامس: تكامل الخطاب القرآني وشموليته

المبحث الأول: عالمية الخطاب القرآني

توطئة

المطلب الأول: عالمية القرآن في الكتاب والسنة

المطلب الثاني: معنى عالمية الخطاب القرآني وأهميتها

المطلب الثالث: المجالات المعاصرة لعالمية الخطاب القرآني

توطئة

زعم أعداء الإسلام أنَّ القرآن العظيم كتاب تاريخي، خاطب عصرًا محددًا فقط ثم انتهت صلاحيته بعد ذلك، ولم يبقَ له في الواقع المعاصر أدنى تأثير.

ونحن المسلمون نعتقد اعتقادًا جازمًا لا مرية فيه، أنَّ القرآن العظيم هو الكتاب الذي خاطب الله تعالى به جميع البشر إلى يوم القيامة، فلم يُقَيَّدَ بزمان، ولا بمكان، ولا جنس، ولا طبقة، بل هو موجَّهٌ إلى الثَّقَلَيْنِ، في كلِّ زمانٍ ومكان، خاطبهم جميعًا بما يسعدهم في الدنيا والآخرة من العقائد الصحيحة، والعبادات الحكيمة، والأحكام الرِّفِيعَةِ، والأخلاق الفاضلة التي تستقيم بها حياتهم.

إنَّ مما يميز به القرآن الكريم والرسالة المحمدية أنَّهما عالميا النطاق، فهما يخاطبان الناس جميعًا وحتى قيام الساعة لكونهما الوحي الأخير والرسالة الخاتمة.

وإنَّ كلام الله ليس خطابًا خاصًا بالمسلمين، بل يشمل المسلمين وغير المسلمين، فبعض خطاب الله يوجه للناس بشكل عام، وبعضه الآخر يوجه للمؤمنين، وبعضه موجه للكافرين والمنافقين، وبعضه لأهل الكتاب، وبعضه للإِنس، وبعضه للجن، وغير ذلك.

وحقيقة عالمية الخطاب القرآني للبشرية جمعاء تكرر كثيرًا في القرآن الكريم، فكثيرًا من الآيات الكريمة تدل على عالمية القرآن الكريم وعموم مخاطبته للناس، فهناك آيات ورد فيها لفظ (الإنسان) في مخاطبة جنس الإنسان، وليس لقوم أو شعب بعينه، وأيضًا تكرر في القرآن مخاطبة جنس الناس (يا أيُّها الناس) عدة مرات، وعدد آخر من الآيات كان النداء فيها بقوله (يا بني آدم) في إشارة واضحة لعموم الخطاب القرآني للناس جميعًا.

٥- وقوله تعالى: أَأَيُّ ي □ □ □ □ ؕ ؕ ؕ ؕ {ص: ٨٧- ٨٨}، أي أن هذا القرآن هو موعظة للخلق أجمعين، والعاقل من يشهد بصحته، كما أنه للعالمين كافة من الجن والانس^(١).

ثانيًا: عالمية القرآن في السنة

من الأحاديث الدالة عل عالمية القرآن في السنة نذكر الآتي:

١- عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: ((أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعِلَتْ لي الأرضُ مسجدًا وطهورًا، فأَيُّما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأُحِلَّت لي المغنم ولم تحل لأحد قبلي، وأُعطيَت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة))^(٢).

٢- عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ((من سمع بي من أمتي أو يهودي أو نصراني، ثم لم يؤمن بي دخل النار))^(٣).

٣- عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال: ((... ولو أن الآية إذا نزلت في قوم ثم مات أولئك القوم ماتت الآية، لما بقي من القرآن شيء ولكن القرآن يجري أوله على آخره ما دامت السماوات والأرض))^(٤).

المطلب الثاني: معنى عالمية الخطاب القرآني وأهميتها

أولًا: معنى عالمية الخطاب القرآني

(١) ينظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٢٣ / ٢٣٥.

(٢) صحيح البخاري، ١ / ٧٤ كتاب التيمم، حديث رقم (٣٣٥). وصحيح مسلم، ١ / ٣٧٠ كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم (٥٢١). وينظر: الخصال، الشيخ الصدوق، ٢٠١ مع اختلاف في اللفظ.

(٣) مسند احمد بن حنبل، ٣٢ / ٣٣٢ حديث رقم (١٩٥٦١).

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ٨٩ / ١١٥

يُقصد بعالمية الخطاب القرآني أنّ القرآن الكريم كتاب عالمي، فخطابه عام لكل أبناء البشرية دون استثناء أحد، ويتصل بهذا الأمر النظم التي شرعها الله سبحانه وتعالى، والتي تتصف أصولها بسمة العالمية والشمولية، حيث أنّ هذه النظم عامة لجميع أبناء البشرية، ولا تقتصر على شعب دون آخر، أو عقل دون آخر، أو مجتمع دون آخر، بل إنّ الخطاب القرآني عام لجميع الأمم والمجتمعات. فالخطاب كما جاء في كتاب الله تعالى عالمي النزعة والوجهة، لا يحفل بجنس ولا يتحيز لعرق، وقد حفلت مفردات القرآن الكريم بنداءات الناس جميعاً: يا أيها الناس، يا بني آدم وتكررت فيه لفظة (العالمين)، ولفظة (من) التي تفيد العموم والشمول لكل من يعقل^(١).

فالعالمية في الخطاب القرآني هي إلغاء التمايز ويتبع ذلك الإلغاء بناء منظومة قيم، تلك القيم التي يمكن وصفها بأنها قيم عالمية جامعة فيها الخير والسعادة في الدارين^(٢). وبالنظر إلى ما سبق، فإن الله أنزل القرآن الكريم بخطابه العام والشامل على خلق كله دون استثناء أحد سواء أكان في الصيغة الخبرية أو الإنشائية لتصحيح العقائد وتشريع العبادات وتحديد مناهج حياة الجميع بما فيها صلاح ورفاه.

ثانياً: أهمية عالمية الخطاب القرآني

لعالمية الخطاب القرآني أهمية ومميزات تميزها عن خطاب بقية الأديان والنظم الوضعية، منها ما يأتي:

١ - بيان أنّ الخطاب القرآني من الله تعالى مع تكفل الله بحفظه.

قال تعالى: أأ □ □ □ □ □ □ □ {الحجر: ٩}. شمل حفظ الخطاب القرآني الحفظ من التلاشي، والحفظ من الزيادة والنقصان فيه، بأن يسرّ تواتره وأسباب

(١) ينظر: العولمة وتأثيرها على النظم القانونية في الأقطار العربية (دراسة مقارنة)، الدكتور جابر بن خلفان بن سالم الهطالي، الناشر: بورصة الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، ٦٢.

(٢) ينظر: عالمية الخطاب القرآني، الاستاذ الدكتور محمد طالب مدلول الحسني - احسان جودة كاظم، بحث منشور في مجلة جامعة بابل، العدد الرابع، ٢٠١٨م، ص ٦٠٤.

بهذا تميز الخطاب القرآني عن بقية الخطابات في الكتب السماوية السابقة حيث إنها قد أصابها من التحريف والتبديل وانقطاع السند، وفي هذا قال الله تعالى: أَأَنْتُمْ أَكْثَرُ عِلْمًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَا يُخَالِفُوا بِحَدِيثِ رَبِّكُمْ إِذْ يَتَلَوُّهُ فِي الْكَوْثَرِ ^(١) وَإِنَّمَا كَلَّمُ اللَّهُ بِحِفْظِهَا ^(٢) وَأَمَّا وَكَلَّمَهُمُ اللَّهُ بِحِفْظِهَا مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّضْيِيعِ ^(٤).

قال الله تعالى: أَأَمَّا بَنِي إِسْرَءِيلَ فَهَدَّيْنَاهُم وَأَوْفَيْنَاهُم مَّا عَاهَدُوا إِلَىٰ عَلَيْنَا فَبَدَّلْنَا هَدْيَهُم شِسْطًا وَنَعَيْتُهُمْ أَزْوَاجَهُم بِأَفْسَسٍ وَجَلَدْنَا الْبِغْيَاءَ مِنْهُم مُّذَوِّجِينَ وَضَرَبْنَا آلَ لُوطٍ نَجْدًا إِنَّهُمْ فِي صُلًى

{النساء: ٨٢}. أما الكتب الوضعية مهما كانت أفضل الكتب وأحكمها في عصر مؤلفها وبعد عصره بعدة عصور فلا تخلو عن الاختلاف والخطأ. وقد ظهر هذا الخطاب القرآني في أمة أمية لا مدارس فيها ولا كتب على لسان أمي لم يتعلم قراءة ولا كتابة، ولا يظهر فيه أي اختلاف ولا تفاوت حقيقي^(٥)، بل تتسع دلالة الخطاب القرآني مع اتساع دائرة المعرفة الإنسانية في تكامل لا يعرف الاختلاف حتى يكون مهيمناً على

(١) ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ١٤ / ٢١.

(٢) ينظر: النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله دراز (ت ١٣٧٧هـ)، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، الناشر: دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة: طبعة مزيدة ومحقة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ٤١.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ٤٢.

(٤) ينظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ١ / ٣١٨ .

(٥) ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٥ / ٢٣٥.

المعارف الإنسانية مهما اتسعت دوائرها، وهذا من أعظم جوانب الإعجاز في القرآن الكريم^(١).

٣ - عالمية الخطاب القرآني بريئة من التحيز والهوى.

قال الله تعالى: أأ □ □ □ □ □ □ □ □ في {النجم: ٣-٤}.

هذا يقتضي نفي جنس ما ينطق به عن الاتصاف بالصدر عن هوى سواء كان القرآن أو غيره من الإرشاد النبوي^(٢). ومن طبيعة الإنسان أن يتأثر بهواه، وميوله، ونزعاته الشخصية والأسرية والحزبية والقومية، فالخطاب في التشريعات الرومانية مثلاً كان يعطي ميزات كبيرة للإنسان الروماني حتى اشترطت في الأهلية الكاملة أن يكون رومانياً^(٣).

[illegible]

المطلب الثالث: المجالات المعاصرة لعالمية الخطاب القرآني

هناك عدة مجالات معاصرة لعالمية الخطاب القرآني، ومن هذه المجالات نذكر

الآتی:

أولاً: المجال الأسرى

يركز الخطاب القرآني بعالميته على الأسرة باعتبارها مجالاً مهماً، ومركزاً أساسياً

□ □ □ □ في التربية والتغير والبناء، وذلك نحو قوله تعالى: أَلَمْ يَخْلُقْ لِي

(١) ينظر: مدخل إلى دراسة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، الدكتور زغلول راغب محمد النجار، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ١٥٢.

(٢) ينظر: التحرير والتتوير، الطاهر بن عاشور، ٢٧ / ٩٣.

(٣) ينظر: مبدأ الرضا في العقود دراسة مقارنة، علي القرّة داغي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م، ١ / ٣٦٤.

من الآيات القرآنية الكثيرة في هذا المجال.

ثانيًا: مجال المعاملات المالية

إنَّ الخطاب القرآني يجيز للمسلم أن يتعامل مع غير المسلم في جميع أنواع المعاملات المالية المختلفة مع مراعاة الضوابط التي وضعها الخطاب الشرعي كما في قوله تعالى: أأ ج م ح م خ م س م □ □ □ □ □ □

{المائدة:٥}. هذا الخطاب دليل على إسباغ الله تعالى على المؤمنين نعمه ومنته بتحليل لهم التمتع بالطيبات، كما أحل لهم أن يأكلوا من ذبائح أهل الكتاب لكثرة معاملة المسلمين أهل الكتاب فلو حرم الله عليهم طعامهم لشق ذلك عليهم^(١).

وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء: أن ذبائحهم حلال للمسلمين؛ لأنَّهم يعتقدون تحريم الذبح لغير الله، ولا يذكرون على ذبائحهم إلَّا اسم الله، وإن اعتقدوا فيه تعالى ما هو منزّه عن قولهم، تعالى وتقدس. فالمعنى إذن: ويحل لكم أن تطعموهم من ذبائحكم كما أكلتم من ذبائحهم. وهذا من باب المكافأة والمقابلة والجزاء^(٢).

ثالثاً: المجال القضائي

تضمن المجال القضائي للخطاب القرآني دلائل واضحة للحكم بين العباد، وإقامة القسط والعدل بينهم، ومن أبرز الأمثلة على ذلك قوله تعالى: أأ ☐ جم ☐ حم ☐

خم ☐ سم ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ {النساء:٥٨}، وقوله تعالى: أأ ☐

☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ {النساء:١٠٥}،

لفظ (الناس) في الخطاب عام ويشمل جميع المستويات الإنسانية دون تمايز عرقي ولا تمايز ديني.

(١) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ٤ / ٥٢ . وينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ٦ / ١١٩.

(٢) ينظر: الأساس في التفسير، سعيد حوى، ٣ / ١٣١٩.

ومن أمثلة عالمية الخطاب القضائي قوله تعالى: أ ب ج د هـ ز ح ط ي ك ل م ن هـ و ز ح ط ي ك ل م ن هـ
تر ته ثر □ جم □ حم □ خم □ ض {النور:٦}، الذي نزل لهلال بن أمية في
قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقضى النبي صلى الله عليه وآله وسلم
باللعان بين الزوجين بعد نزول الآية. والذي يلفتنا في هذه الحادثة أنه صلى الله عليه وآله وسلم
وآله وسلم قال أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين، سابع الأليتين، خدّج الساقين
فهو لشريك بن سحماء، فجاءت به كذلك فظهر صواب هلال في القذف وتبين له أن
امرأته كذبت، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لولا ما مضى من كتاب الله لكان
لّي ولها شأن^(١).

(١) ينظر: روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، ٧٩ / ٢ - ٨٠.

المبحث الثاني: حاكمية الخطاب القرآني

المطلب الأول: مفهوم الحاكمية في اللغة والاصطلاح

المطلب الثاني: معاني الحاكمية في القرآن الكريم

المطلب الثالث: رأي المفسرين المعاصرين في حاكمية الخطاب القرآني

المطلب الأول: مفهوم الحاكمية في اللغة والاصطلاح

أولاً: الحاكمية في اللغة

وفيما يأتي معاني (حكم) عند أشهر المعاجم اللغوية:

- ١- المنع: قال ابن فارس: ((الحاء والكاف والميم اصل واحد وهو المنع واول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم وسميت حكمة الدابة لأنها تمنعها))^(١).
- ٢- الحكمة والعلم: وهذا المعنى يحمل معنى المنع. قال ابن فارس: ((والحكمة هذا قياسها، لأنها تمنع من الجهل))^(٢).

(١) معجم مقاييس اللغة، ٢ / ٩١.

(٢) المصدر نفسه، ٢ / ٩١.

- ١- الحاكمية هي: ((أفراد الله وحده بالحكم والتشريع والقوامة والسلطان واستمداد كل التشريعات والمناهج والنظم والقيم والتقاليد والموازين من الله وحده وتطبيق شريعته على كافة مناهج الحياة))^(١).
- ٢- الحاكمية: ((تطلق هذه الكلمة على السلطة العليا والسلطة المطلقة، على حسب ما يصطلح عليه اليوم في علم السياسة))^(٢).
- ٣- يقول جعفر السبحاني في كتابه مفاهيم القرآن عند كلامه عن التوحيد في الحاكمية: ((لقد وجه القرآن الكريم عناية خاصة الى التوحيد في الحاكمية، بحيث يتبين بوضوح أنّ الحكم والولاية في منطق القرآن ليس إلّا الله تعالى وحده وأنّه لا يحق لاحد أن يحكم العباد دونه، وأنّه لا شرعية لحاكمية الآخرين إلّا إذا كانت مستمدة من الولاية والحاكمية الإلهية وقائمة بأمره تعالى، وفي غير هذه الصورة لن يكون ذلك الحكم إلّا حكمًا طاغوتيًا، لا يتصف بالشرعية مطلقًا، ولا يقره القرآن أبدًا))^(٣). ولكن هذا لا يعني أنّ الله تعالى يباشر الحكم بنفسه، وهو الذي يدير شؤون العباد، وأنّما تكون حاكمية الشخص الذي يحكم البلاد مستمدة لمشروعيتها من الله سبحانه وتعالى، إذ لا قيمة لها ما لم تكن كذلك.
- ٤- الحاكمية تعني: ((ضرورة الاحتكام إلى الشريعة سواء في أصولها النصّية في القرآن والسنة أو في اجتهادات الفقهاء، فإنّ معنى الاحتكام إلى الشريعة معناه الاحتكام إلى الاسلام والعدل والحق فإنّ الاسلام الذي جاء به محمد (صلى الله عليه وآله) هو حق وعدل وإنصاف))^(٤).

(١) في ظلال القرآن في الميزان، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار، الأردن — عمّان، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ١٧٣.

(٢) تدوين الدستور الاسلامي، أبو الأعلى المودودي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ١٨.

(٣) مفاهيم القرآن، العلامة جعفر السبحاني، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ٢١.

(٤) بحوث في الفقه المعاصر، الشيخ حسن الجواهري، ٤ / ١١٣.

وقال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَلْمِزْهُمْ أَمْ يَلْمِزْهُمْ أَمْ يَلْمِزْهُمْ أَمْ يَلْمِزْهُمْ﴾ {الأنبياء: ٧٤}. أي وآتيناهم لوط الحكمة والتي يجب فعله أو النبوة، وآتيناه العلم، وإدخال التنوين على الحكم والعلم للدلالة على علو شأن ذلك الحكم وذلك العلم^(١).

٤- الحكم بمعنى الفهم والفقہ والعلم، قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَلْمِزْهُمْ أَمْ يَلْمِزْهُمْ أَمْ يَلْمِزْهُمْ أَمْ يَلْمِزْهُمْ﴾ {الأنعام: ٨٩}. جاء في تفسير محمد عبد اللطيف الخطيب أن (الحكم)، هو العلم النافع^(٢)، وقيل هو العلم بطرق الخير ودفع الشر^(٣). وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَلْمِزْهُمْ أَمْ يَلْمِزْهُمْ أَمْ يَلْمِزْهُمْ أَمْ يَلْمِزْهُمْ﴾ {البقرة: ٢٦٩}. فالحكمة تعني المعرفة والعلم بالأسرار والحقائق وبلوغ الحق، وقيل هي معرفة وتفقه في الدين، وهي طاعة الله^(٤).

٥- الحكم بمعنى السياسة والقيادة والحكومة، قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَلْمِزْهُمْ أَمْ يَلْمِزْهُمْ أَمْ يَلْمِزْهُمْ أَمْ يَلْمِزْهُمْ﴾ {الجاثية: ١٦}، فمن نعم الله تعالى على بني إسرائيل أنه أعطاهم مقام الحكومة، فالكل يعلم أنهم كانوا يمتلكون حكومة قوية مترامية الأطراف، فالحكم لم يكن لداود وسليمان وحدهما، بل إن الكثير من بني إسرائيل قد تسلموا زمام الأمور في زمانهم وعصوره^(٥).

٦- الحكم بمعنى القضاء والفصل في الخصومات بين الناس، قال تعالى لنبيه داود عليه السلام: ﴿أَمْ لَمْ يَلْمِزْهُمْ أَمْ يَلْمِزْهُمْ أَمْ يَلْمِزْهُمْ أَمْ يَلْمِزْهُمْ﴾ {ص: ٢٦}، فهذه وصية من الله عز وجل لولاة الأمور، للحكم بين الناس بالحق المنزل من عنده تعالى، ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيل الله^(٦).

٧- الحكم بمعنى الاتقان والمنع من الفساد، قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَلْمِزْهُمْ أَمْ يَلْمِزْهُمْ أَمْ يَلْمِزْهُمْ أَمْ يَلْمِزْهُمْ﴾

(١) ينظر: تفسير مقتنيات الدرر، علي الحائري الطهراني، ٧ / ١٧٣.

(٢) ينظر: أوضح التفاسير، ١ / ١٦٣.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ٧ / ٣٥٢.

(٤) ينظر: تفسير النور، محسن قراءتي، ١ / ٤١١.

(٥) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ١٦ / ٢٠٤.

(٦) ينظر: مختصر تفسير ابن كثير، (اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم،

بيروت - لبنان، الطبعة السابعة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م، ٢ / ٢٠١.

٨- الحكم بمعنى الابانة والوضوح، كما في قوله تعالى: ﴿أَنْتَ نَارٌ كَامِرَةٌ﴾ [آل عمران: ٧]، أي بَيِّنَات واضحات الدلالة، لا التباس فيها ولا غموض^(٢)، وقيل هي الظاهرة الدلالة البيّنة المعنى التي لا تحتل إلا معنى واحداً^(٣).

إنّ المفسرين والعلماء أوجبوا الحاكمية والتشريع لله تعالى، معتمدين في ذلك على كتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين. ولقد تناولوا هذا الموضوع في كتبهم ومؤلفاتهم، واعتنوا ببيانه وتوضيحه وذلك لأهميته وعلاقته بالعقيدة والعبادة إضافة للتشريع.

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ٥٤٢.

(٢) ينظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ١ / ١٦٧.

(٣) ينظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الجزائري، ١ / ٢٨٦.

جَلَّ وعلا على السنة رسله صلى الله عليهم وسلم، أنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته، وأعماه عن نور الوحي مثلهم))^(١).

ويقول أيضاً حول هذه الآية: ((والمعنى ولا يشرك الله جَلَّ وعلا أحداً في حكمه، بل الحكم له وحده جَلَّ وعلا لا حكم لغيره البتة، فالحلال ما أحله تعالى، والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه، والقضاء ما قضاه ... وحكمه جَلَّ وعلا المذكور في قوله: (ولا يشرك في حكمه أحداً)، شامل لكل ما يقضيه جَلَّ وعلا، ويدخل في ذلك التشريع دخولاً أولياً))^(٢).

ويرى سيد قطب أن الحاكمية تعني افراد الله وحده بالحكم والتشريع والسلطان، وقد بين هذا المعنى في أكثر من موضع، منها قوله: ((وليس لأحد من خلق الله أن يشرع غير ما شرعه الله وأذن به كائناً من كان فالله وحده هو الذي يشرع لعباده. بما أنه - سبحانه - هو مبدع هذا الكون كله، ومديره بالنواميس الكلية الكبرى التي اختارها له))^(٣).

وقد بين هذا المضمون أيضاً عند تفسيره لقوله تعالى: أأ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ {يوسف: ٤٠}، قال: ((إنَّ الحكم لا يكون إلا لله. فهو مقصور عليه سبحانه بحكم ألوهيته. إذ الحاكمية من خصائص الألوهية. ومن ادعى الحق فيها فقد نازع الله سبحانه أولى خصائص ألوهيته))^(٤).

وقد أشار السعدي لحاكمية القرآن عند تفسير قوله تعالى: أأ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ {المائدة: ٤٤}، فهو يرى أن الحكم بغير ما أنزل الله في كتابه يعد من أعمال أهل الكفر^(٥)، لقد فهم الشيخ السعدي أن الكفر يقع من الأفراد، وهو الأمر الذي تجاهلته الجماعات المتطرفة، وهدفها من ذلك هو تكفير الدول والحكومات، ويتفق ابن عاشور مع السعدي في ذلك الفهم ويذكر أن (من) موصولة، وهي التي تفيد

(١) أضواء البيان، ٣ / ٢٥٩.

(٢) المصدر نفسه، ٣ / ٢٥٨.

(٣) في ظلال القرآن، ٥ / ٣١٥٢.

(٤) المصدر نفسه، ٤ / ١٩٩٠.

(٥) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ٢٣٢.

الخطاب للعقلاء وهو وصفٌ يشمل الفرد دون الدولة، فيقول: ((قصر وصف الكفر على تارك الحكم بما أنزل الله))^(١).

أما الشيخ ناصر مكارم الشيرازي فكان حديثه عن الحاكمية عند ذكر قصة يوسف (عليه السلام)، وأثرها في حياة الناس، فقد ذكر أنّ القرآن هو أحسن القصص بصورة عامة، وقصة يوسف هي أحسن القصص بصورة خاصة، وعن الحاكمية قال: ((نحن نشاهد حاكمية إرادة الله على كل شيء هذه القصة، وننظر بأعيننا المصير الأسود الذي انتهى إليه الحساد وما رقموه على الماء من خطط. كما تتجسم من خلال سطورها الذلة في الابتذال وعدم العفة، والعظمة في التقوى ومنظر الصبي وهو وحيد في قعر الجب))^(٢).

فيفهم من هذه الآيات وغيرها أن مسألة الحاكمية لله تعالى بصفته المشرع الأوحد، منه تبتدأ واليه تنتهي فلا يحق لمخلوق أن يدعي الحاكمية على الناس إلا إذا كان مستمداً ذلك من حاكمية المولى سبحانه وتعالى. ولئن انتهى دور الأنبياء والمرسلين عليهم السلام بمجرد وفاتهم بصفاتهم حكماً مرشدين إلى الحق، فقد بدأ بعدهم مباشرة دور الحاكمية الهادية التي لا تنفك بزوال النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل تتواصل في إطار آخر وهي الامامة والتعبد إلى الله تعالى بحكومة والتقرب منه بواسطته التي جعلها بينه وبين الناس، يرجعون ويحتكمون إليها، ويسلمون لها في أسمى معاني العبودية والقرب منه تعالى، لذلك عنون المولى تلك العلاقة واعتبرها ديناً قيماً. وقسم ثان خاص ومعدد في معناه دالاً على أنّ الحكم الذي هو الله تعالى بالأصالة موكول إلى أشخاص معينين اصطفاهم وزكاهم واختارهم دون غيرهم لعلمه بحقيقتهم الباطنة وإمكانياتهم التي يعجز المخلوق عن إدراكها لأن المعرفة عند المخلوق في عمومها تقف عند بعض ظواهر المخلوقات.

ولا شك في أنّه لا وجود في دين الإسلام المبين سواءً من الناحية النظرية أم من الناحية التاريخية، لفكرة الفصل بين السياسة والدين، بل إنّ الحكومة هي من أحكام الإسلام الأصلية والأساسية، والرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) منذ اليوم

(١) التحرير والتنوير، ٦ / ٢١١.

(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٧ / ١٢١.

الأول لهجرته إلى المدينة المنورة، جعل من تشكيل الحكومة الإسلامية القائمة على حاكمية الله تعالى أولى أولوياته. وقد خصّص القرآن الكريم، بصفته الكتاب السماوي للمسلمين، غالب آياته لمسائل ترتبط بالدولة.

المبحث الثالث: هداية الخطاب القرآني

توطئة

المطلب الأول: التفسير وتجلية هداية القرآن

المطلب الثاني: الهداية ومراتبها في القرآن الكريم

توطئة

لا يُعرف في تاريخ العالم كلّهُ، كتاب بلغت عليه الشروح، والتفاسير، والأقوال والمصنفات، ما بلغ من ذلك على القرآن الكريم، ولا شبيهًا به، ولا قريبًا منه، وبالأخص

في جانب التفسير، فظهرت تفاسير كثيرة كان هدفها الأول هو توضيح آيات الكتاب الكريم، فبرزت تفاسير ركز أصحابها على تفسير الألفاظ الغريبة، وإعراب الجمل، أو بيان النكت البلاغية، أو الأحكام الفقهية، أو التوسع في القصص ... الخ، وكان ذلك حسب ما برع به المفسر من علوم. وهذه تشكل كتب التراث التي تحتاج إلى تنقية من الإسرائيليات والروايات الضعيفة والآراء السقيمة. وتفسير أخرى تجاوز أصحابها هذه الحدود، وجعلوا هدفهم الأعلى تجلية هداية القرآن وتعاليمه، وحكمة الله فيما شرع للناس من أحكام على وجه يجتذب الأرواح ويفتح القلوب.

ولا يخفى أنّ أصحاب النوع الثاني من التفاسير قد أفادوا كثيرًا من منهج أصحاب التفاسير الأولى، وبنوا عليه. فكانت التفاسير الأولى كالأساس والثانية كالبنیان، وتمام البناء يطلق على مجموع الاثنتين، ولولا الأولى لما تجلت الثانية.

ولقد أسهم أعلام هذا العصر في تلك الجهود الخادمة لكتاب الله تعالى؛ فظهرت مئات المصنفات التي تنهل من هداية القرآن لينتفع بها المسلم المعاصر.

المطلب الأول: التفسير وتجلية هداية القرآن

امتازت التفسيرات الاجتماعية المعاصرة بالتركيز على البعد الهادي للقرآن الكريم، وتهذيب التفسير من المباحث الهامشية والتخصصية والاصطلاحات العلمية^(١)، إذ كان من أهداف فكر الامام محمد عبده وبعده الاصلاحي تنقية وتجريد التفسير عن كل ما يصرف الناس عن هدي القرآن الكريم، وقد وجه نقده الى الذين تأثروا بالمنهج التقليدي وحشوا تفاسيرهم بالبحوث الهامشية والجانبية التي تشغل قارئ القرآن عن المقاصد العالية، والهداية السامية، أو تشغله عن القرآن نفسه^(٢).

وكتب محمد جواد مغنية في مقدمة تفسيره: ((نظرتُ الى القرآن على أنه في حقيقته وطبيعته كتاب دين وهداية، وإصلاح وتشريع يهدف قبل كل شيء الى أن يحيا الناس جميعاً حياة تقوم على أسس سليمة يسودها الأمن والعدل، ويغمرها الخصب والرفاهية))^(٣).

لقد أدرك أصحاب المدرسة التجديدية بأن المسلمين قد ابتعدوا كل البعد عن هداية القرآن وتوجيهاته في السياسة والاقتصاد، والاجتماع والتربية، والفكر والتشريع، وجعلوا سننه الاجتماعية في التغيير والبناء، وهذا كله سر الركود الحضاري الذي عاشه المسلمون قرونًا طويلةً، فشاع التخلف وتعددت مظاهره، فانبأ هؤلاء لتغيير الأوضاع وتجديدها والأخذ بأيدي المسلمين من أجل الخروج بهم من دائرة التخلف.

لذا عاب السيد جمال الدين الأفغاني على المفسرين القدامى اعتناءهم بالمناقشات اللغوية والكلامية، وابتعادهم عن النظر في القرآن من حيث هو صالح لقيادة الحياة واحتواء الحقائق الكونية والاجتماعية والأخلاقية، فيقول في حديثه عن القرآن: ((وإنني لأسف إذ دفن المسلمون بين دفتيه الكنوز وطفقوا في فيافي الجهل يفتشون عن الفقر

(١) ينظر: التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ٢ / ٥٤٩.

(٢) ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ١ / ١١.

(٣) تفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، ١ / ١٣.

المدقع ... وكيف لا أقول وا أسفاه وإذا نهض أحد لتفسير القرآن فلا أراه يهيم إلا بباء البسمة ويغوص، ولا يخرج من مخرج حرف صاد الصراط حتى يهوي هو ومن يقرأ ذلك التفسير في هوة عدم الانتفاع بما اشتمل عليه القرآن من المنافع الدنيوية والأخروية - مع استكمال الأمر على أتم وجوههما - فعم الجهل وتفشى الجمود^(١).

وإنها لثورة على المناهج التفسيرية السلبية، ومنها كتب التفسير الباطني التي حوت كثيراً من الشطحات التي تضر بتقدم الأمة وعلو شأنها، وأيضاً التفسيرات الفلسفية التي حوت علم الكلام والعبارات الجافة التي لا تزيدنا إلا تعقيداً وبعداً عن وسطية المنهج الرباني وعدالته. وهذه المناهج تحجب عن المسلم نور القرآن وهدايته؛ لأنها تغرقه في مباحث لفظية وكلامية، ومصطلحات غريبة يصعب عليه فك مغاليقها وحل رموزها، تحول دون الوصول إلى هداية القرآن والانتفاع بتعاليمه. فقال مستكراً: ((انصرفنا عن الأخذ بروح القرآن والعمل بمعانيه ومضامينه، إلى الاشتغال بألفاظه وإعرابه والوقوف عند بابه دون التخطي إلى محرابه، وإنما نحن اليوم حملنا مع القرآن ألفاظاً ومناقشات حول أحكام فرضية، واستنتاجات ليست في مصلحة البشر ولا هي من وسائل هدايتهم إلى الإيمان به، وأضفنا إليه من الشرح والتفسير ما لا يحصل له سوى الإغراب وإرضاء العامة))^(٢).

فالمفسر في نظر رجال هذه المدرسة لا يقوم بدرس تطبيقي لقواعد الإعراب أو نكات البلاغة على نصوص القرآن الكريم، وإنما وظيفته الحقّة أن يقتلع ما رسخ في عقول المسلمين من أفكار خاطئة ومفاهيم مزيفة عن الحقائق الدينية، وأن يحيي تلك

(١) خاطرات الأفغاني، السيد جمال الدين الحسيني الأفغاني، تقرير: محمد باشا المخزومي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٣١م، ٩٨.

(٢) المصدر نفسه، ٩٩.

التعاليم في نفوس المسلمين، أو بعبارة أخرى يجب أن نبني الشخصية الإسلامية المتكاملة والمجتمع الإسلامي الفاضل المتوازن^(١).

انطلاقاً من هذه الدعوة يمكن أن يُفتح طريقاً جديدة للعلاقة مع النص القرآني، شعارها أنّ (القرآن كتاب هداية)^(٢). هذه العلاقة تحدّد للتفسير هدفاً مغايراً لما استقر عليه التفسير التقليدي الذي يمثل الاتجاه السلبي، إنّه كما قال الشيخ محمد عبده: ((ذهاب المفسّر إلى فهم المراد من القول وحكمة التشريع في العقائد والأحكام على وجه يجذب الأرواح ويسوقها إلى العمل والهداية المودعة في الكلام))^(٣).

في هذا كان المنار يشرّع للقول بأنّ الوحي الإلهي لا يمكن ضبط دلالاته نهائياً وأنّ التاريخ والمعرفة الإنسانيين في جدلهما مع النص المقدّس يتيحان فهماً أفضل وأشمل لدلالات الحقيقة الكامنة في النص الموحى. إنّه المسار الذي سيتحدّد تدريجياً حتى نهاية القرن العشرين والذي تصبح معه قدسية النصّ القرآني - في جانب منها - موصولة بالإنسان وأفقه وثقافته، أي أنّ التوصل إلى المعنى يتحقق بالجدل مع طاقات الإنسان و باعتبار فاعليّة واقعه الفكري والاجتماعي^(٤).

هذا هو المنهج التفسيري الجديد الذي رسمه محمد عبده لكل الداعين من بعده للمعاصرة والحدث في التفسير، نبه إلى ضرورة وجود إدراك أمثل للعلاقة بين عمل

(١) ينظر: المقال التفسيري الهدائي من جمال الدين الأفغاني إلى إبراهيم أبي اليقظان، محمد دراجي، مجلة الموافقات، الجزائر، المجلد الخامس، العدد الخامس، ١٩٩٦م، ٤.

(٢) هذه هي مقولة الإمام محمد عبدة التي رفعها ودافع عنها وعمل من أجلها وأقام منهجه في التفسير عليها. { ينظر: تفسير المنار، ١ / ١٨ - ٢٢ }.

(٣) تفسير المنار، ١ / ٢٢.

(٤) ينظر: مقال على النت على موقع الملتقى الفكري للإبداع بعنوان محمد عبده في ذكرى وفاته: تحديات الحاضر - أسئلة الماضي (المؤسسة والنص)، احميدة النيفر

المفسّر ومقاصد الشريعة. وتكمن أهمية هذا التوجه في اعتبار أنّ الواقع وتحدياته المختلفة لهما أثر في فهم الحقيقة المودعة في النص القرآني، وهذا يوسع الدائرة المرجعية في تعامل المفسّر مع النص القرآني.

المطلب الثاني: الهداية ومراتبها في القرآن الكريم

إنّ مسألة هداية الله تعالى للعبد وإضلاله له هي قلب أبواب القدر ومسائله، وإنّ أفضل ما يقدره الله تعالى للعبد هو الهدى، فهو من أعظم النعم والعطايا، وأعظم ما يبتليه به ويقدره عليه هو الضلال، وقد اتفقت رسل الله جميعاً، وكذلك كتبه المنزلة على أنّ الله يهدي من يشاء، ويضلّ من يشاء، فالهدى والضلال بيده، وطلب الهداية والسعي إليها من طلب العبد وكسبه. وسنذكر مراتب الهداية في كتاب الله عزّ وجلّ، وهي على النحو التالي:

أولاً: الهداية العامة

هي هداية كل مخلوق لما يصلح أمور معاشه، وهي أعم المراتب، وهي شاملة لجميع المخلوقات ودليلها قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَمُنَّ بِمَا نَزَّلَ فِي الْغَيْبِ﴾ {طه: ٥٠}، فالظاهر أنّ المراد هداية كل شيء إلى مطلوبه، ومطلوبه هو الغاية التي يرتبط بها وجوده وينتهي إليها، ومعنى هدايته إليها تسييره نحوها، والظاهر أنّ المراد بالهداية الهداية العامة الشاملة لكل شيء دون الهداية الخاصة بالإنسان^(١).

وعليه فإنّ هذه الهداية تعم جميع المخلوقات، وتعم سائر أمور المعاش من نكاح، وطعام وشراب، وجميع السلوك التي يهدي الله تعالى مخلوقاته لعملها من غير تعليم سابق، كهداية النمل إلى تنظيم طرق المعاش وخزن الطعام، وغير ذلك مما يحار العقل البشري فيه، فسبحان من خلق فسوى ثم قدر فهدى.

ثانياً: هداية الدعوة والإرشاد والبيان

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ١٤ / ١٦٧.

وقال تعالى: أَمْ لَكُمْ ءَايَاتٌ مِّنْ مَّا يَخْتَارُ ^١ ^٢ ^٣ ^٤ ^٥ ^٦ ^٧ ^٨ ^٩ ^{١٠} ^{١١} ^{١٢} ^{١٣} ^{١٤} ^{١٥} ^{١٦} ^{١٧} ^{١٨} ^{١٩} ^{٢٠} ^{٢١} ^{٢٢} ^{٢٣} ^{٢٤} ^{٢٥} ^{٢٦} ^{٢٧} ^{٢٨} ^{٢٩} ^{٣٠} ^{٣١} ^{٣٢} ^{٣٣} ^{٣٤} ^{٣٥} ^{٣٦} ^{٣٧} ^{٣٨} ^{٣٩} ^{٤٠} ^{٤١} ^{٤٢} ^{٤٣} ^{٤٤} ^{٤٥} ^{٤٦} ^{٤٧} ^{٤٨} ^{٤٩} ^{٥٠} ^{٥١} ^{٥٢} ^{٥٣} ^{٥٤} ^{٥٥} ^{٥٦} ^{٥٧} ^{٥٨} ^{٥٩} ^{٦٠} ^{٦١} ^{٦٢} ^{٦٣} ^{٦٤} ^{٦٥} ^{٦٦} ^{٦٧} ^{٦٨} ^{٦٩} ^{٧٠} ^{٧١} ^{٧٢} ^{٧٣} ^{٧٤} ^{٧٥} ^{٧٦} ^{٧٧} ^{٧٨} ^{٧٩} ^{٨٠} ^{٨١} ^{٨٢} ^{٨٣} ^{٨٤} ^{٨٥} ^{٨٦} ^{٨٧} ^{٨٨} ^{٨٩} ^{٩٠} ^{٩١} ^{٩٢} ^{٩٣} ^{٩٤} ^{٩٥} ^{٩٦} ^{٩٧} ^{٩٨} ^{٩٩} ^{١٠٠} ^{١٠١} ^{١٠٢} ^{١٠٣} ^{١٠٤} ^{١٠٥} ^{١٠٦} ^{١٠٧} ^{١٠٨} ^{١٠٩} ^{١١٠} ^{١١١} ^{١١٢} ^{١١٣} ^{١١٤} ^{١١٥} ^{١١٦} ^{١١٧} ^{١١٨} ^{١١٩} ^{١٢٠} ^{١٢١} ^{١٢٢} ^{١٢٣} ^{١٢٤} ^{١٢٥} ^{١٢٦} ^{١٢٧} ^{١٢٨} ^{١٢٩} ^{١٣٠} ^{١٣١} ^{١٣٢} ^{١٣٣} ^{١٣٤} ^{١٣٥} ^{١٣٦} ^{١٣٧} ^{١٣٨} ^{١٣٩} ^{١٤٠} ^{١٤١} ^{١٤٢} ^{١٤٣} ^{١٤٤} ^{١٤٥} ^{١٤٦} ^{١٤٧} ^{١٤٨} ^{١٤٩} ^{١٥٠} ^{١٥١} ^{١٥٢} ^{١٥٣} ^{١٥٤} ^{١٥٥} ^{١٥٦} ^{١٥٧} ^{١٥٨} ^{١٥٩} ^{١٦٠} ^{١٦١} ^{١٦٢} ^{١٦٣} ^{١٦٤} ^{١٦٥} ^{١٦٦} ^{١٦٧} ^{١٦٨} ^{١٦٩} ^{١٧٠} ^{١٧١} ^{١٧٢} ^{١٧٣} ^{١٧٤} ^{١٧٥} ^{١٧٦} ^{١٧٧} ^{١٧٨} ^{١٧٩} ^{١٨٠} ^{١٨١} ^{١٨٢} ^{١٨٣} ^{١٨٤} ^{١٨٥} ^{١٨٦} ^{١٨٧} ^{١٨٨} ^{١٨٩} ^{١٩٠} ^{١٩١} ^{١٩٢} ^{١٩٣} ^{١٩٤} ^{١٩٥} ^{١٩٦} ^{١٩٧} ^{١٩٨} ^{١٩٩} ^{٢٠٠} ^{٢٠١} ^{٢٠٢} ^{٢٠٣} ^{٢٠٤} ^{٢٠٥} ^{٢٠٦} ^{٢٠٧} ^{٢٠٨} ^{٢٠٩} ^{٢١٠} ^{٢١١} ^{٢١٢} ^{٢١٣} ^{٢١٤} ^{٢١٥} ^{٢١٦} ^{٢١٧} ^{٢١٨} ^{٢١٩} ^{٢٢٠} ^{٢٢١} ^{٢٢٢} ^{٢٢٣} ^{٢٢٤} ^{٢٢٥} ^{٢٢٦} ^{٢٢٧} ^{٢٢٨} ^{٢٢٩} ^{٢٣٠} ^{٢٣١} ^{٢٣٢} ^{٢٣٣} ^{٢٣٤} ^{٢٣٥} ^{٢٣٦} ^{٢٣٧} ^{٢٣٨} ^{٢٣٩} ^{٢٤٠} ^{٢٤١} ^{٢٤٢} ^{٢٤٣} ^{٢٤٤} ^{٢٤٥} ^{٢٤٦} ^{٢٤٧} ^{٢٤٨} ^{٢٤٩} ^{٢٥٠} ^{٢٥١} ^{٢٥٢} ^{٢٥٣} ^{٢٥٤} ^{٢٥٥} ^{٢٥٦} ^{٢٥٧} ^{٢٥٨} ^{٢٥٩} ^{٢٦٠} ^{٢٦١} ^{٢٦٢} ^{٢٦٣} ^{٢٦٤} ^{٢٦٥} ^{٢٦٦} ^{٢٦٧} ^{٢٦٨} ^{٢٦٩} ^{٢٧٠} ^{٢٧١} ^{٢٧٢} ^{٢٧٣} ^{٢٧٤} ^{٢٧٥} ^{٢٧٦} ^{٢٧٧} ^{٢٧٨} ^{٢٧٩} ^{٢٨٠} ^{٢٨١} ^{٢٨٢} ^{٢٨٣} ^{٢٨٤} ^{٢٨٥} ^{٢٨٦} ^{٢٨٧} ^{٢٨٨} ^{٢٨٩} ^{٢٩٠} ^{٢٩١} ^{٢٩٢} ^{٢٩٣} ^{٢٩٤} ^{٢٩٥} ^{٢٩٦} ^{٢٩٧} ^{٢٩٨} ^{٢٩٩} ^{٣٠٠} ^{٣٠١} ^{٣٠٢} ^{٣٠٣} ^{٣٠٤} ^{٣٠٥} ^{٣٠٦} ^{٣٠٧} ^{٣٠٨} ^{٣٠٩} ^{٣١٠} ^{٣١١} ^{٣١٢} ^{٣١٣} ^{٣١٤} ^{٣١٥} ^{٣١٦} ^{٣١٧} ^{٣١٨} ^{٣١٩} ^{٣٢٠} ^{٣٢١} ^{٣٢٢} ^{٣٢٣} ^{٣٢٤} ^{٣٢٥} ^{٣٢٦} ^{٣٢٧} ^{٣٢٨} ^{٣٢٩} ^{٣٣٠} ^{٣٣١} ^{٣٣٢} ^{٣٣٣} ^{٣٣٤} ^{٣٣٥} ^{٣٣٦} ^{٣٣٧} ^{٣٣٨} ^{٣٣٩} ^{٣٤٠} ^{٣٤١} ^{٣٤٢} ^{٣٤٣} ^{٣٤٤} ^{٣٤٥} ^{٣٤٦} ^{٣٤٧} ^{٣٤٨} ^{٣٤٩} ^{٣٥٠} ^{٣٥١} ^{٣٥٢} ^{٣٥٣} ^{٣٥٤} ^{٣٥٥} ^{٣٥٦} ^{٣٥٧}

والواقع أن استقراء هذه النصوص القرآنية، وغيرها الكثير في القرآن الكريم، يكشف أنّ هذه الهداية وما يقابلها من الإضلال ليستا في الإنسان ابتداءً، بل هما نتائج لمقدمات، ومسببات لأسباب. فالهداية إنّما هي ثمار العمل الصالح، والضلال إنّما هو نتاج عمل قبيح وإسناد الهداية لله من حيث أنّه وضع نظام الأسباب والمسببات لا أنه أجبر الإنسان على الضلال والهداية وهذا المعنى واضح جداً في الآيات القرآنية، مثل قوله تعالى: أَمْ نَجْعَلُ الْأَعْمَىٰ نَحْفَازًا {الرعد: ٢٧}. وقوله تعالى: أَمْ يَرَوْنَ عَذَابَ الْإِثْنَيْنِ {الأنعام: ١٣٠}؟

ين □ □ □ □ □ {العنكبوت: ٦٩}، فهذه الهداية لله للناس بمعنى لطفه بهم وتوفيقهم للعمل الصالح إنّما هي ثمرة جهاد للنفس، وانابة إلى الله واستمساك بإرشاده ووجيه.

رابعًا: الهداية إلى طريق الجنة

(١) ينظر: تفسير النور، ٢ / ٤١٨.

(٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ٧ / ١٤٩.

(٣) ينظر: التفسير الحديث، محمد دروزة، ٣ / ٤٦٠.

وقال تعالى: ﴿أَأَمِنَ الَّذِينَ خَلَقُوا كُفْرَانًا﴾

{محمد: ٤-٥}، أي أنّ هؤلاء لهم ثواب جزيل، وأجر جميل، فهم الذين قاتلوا من أمروا بقتالهم، لتكون كلمة الله هي العليا. فهؤلاء لن يحبط الله أعمالهم، ولن يبطلها، بل يتقبلها وينميها لهم، ويظهر من أعمالهم نتائجها، في الدنيا والآخرة. ويهديهم إلى سلوك الطريق الموصلة إلى الجنة، ويصلح حالهم وأمورهم، وثوابهم يكون صالحًا كاملاً لا نكد فيه، ولا تنغيص بوجه من الوجوه^(٣). والواضح أنّ هذه الهداية حاصلة لهم بعد قتلهم في سبيل الله، فلعلّ على أنّ المراد بها هداية إلى طريق الجنة.

توطئة

المطلب الأول: رسالة الخطاب القرآني في السياسة

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ٧٨٤.

المطلب الثاني: رسالة الخطاب القرآني في المعاصرة

المطلب الثالث: ايجابية رسالة الخطاب القرآني

توطئة

إنَّ من رحمة الله علينا أن أنزل لنا آيات السكينة والطمأنينة مكتوبة في القرآن الكريم، فهي من الأشياء التي تطمئن بها النفس، وتستريح بها القلوب، والقرآن الكريم بطبيعته هو كلام الله المنزل، الذي لا حديث قبله ولا كلام بعده.

إنَّ رسالة الخطاب القرآني أصلح للإنسانية والنظام الاجتماعي من رسالة النظرية التوفيقية التي تركز للظلم الرأسمالي، وأصلح من رسالة نظرية الصراع التي تسلب فكرة

الإخوة والتآخي من مباني النظام الإجتماعي للإنسانية المعذبة^(١). وإنّ هذه الرسالة باقية إلى يوم القيامة.

لذلك سنتطرق لعرض رسالة القرآن في بعض الموضوعات.

المطلب الأول: رسالة الخطاب القرآني في السياسة

إنّ كل وصف كمالي ذكره الله سبحانه للقرآن الكريم يعد بمنزل الشرح لرسالته؛ لأنّ وصف الرسول هو في حكم تبیین حدود رسالته وكيفية التبليغ وثمره العمل بنداؤه. فإذا اتصف القرآن بصفات من قبيل (المجيد)، و(الهادي)، فهذا يعني أنّه رسالة الكرامة والمجد والهداية.

ومن هنا، يمكن القول أنّ وصف القرآن بالنور يعني أنّ رسالته نورانية، وأنّ التدبر فيه ينور الإنسان وأنّ العمل به يجعل المجتمع الإنساني نورانيًا. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نُنزِّلُ الْغَيْثَ لَكُمْ وَأَنَّا نَمُنِّحُ إِلَيْكُمْ مِنْهُ مَاءً لَسَّابًا﴾ (النساء: ١٧٤)، ((أي أتاكم حجة من الله يبرهن لكم عن صحة ما أمركم به محمد لما معه من المعجزات القاهرة الشاهدة بصدقه... يبيّن لكم الحجة الواضحة ويهديكم إلى ما فيه النجاة لكم من عذابه وأليم عقابه، وذلك النور هو القرآن عن مجاهد وقتادة والسدي. وقيل: النور ولاية عليّ عليه السلام، عن أبي عبد الله عليه السلام))^(٢).

ولأنّ التنوير من الصفات العامة للرسالات السماوية، ومن هذه الجهة لا يوجد اختلاف بين الرسل الإلهيين إلّا في شدة النور وضعفه، فإنّ التوراة الأصيلية التي لم تحرف قد ذكرت في القرآن الكريم على أنها نور، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نُنْزِلُ الْغَيْثَ لَكُمْ وَأَنَّا نَمُنِّحُ إِلَيْكُمْ مِنْهُ مَاءً لَسَّابًا﴾ (النساء: ١٧٤)، فالْمَقْصُود بالكتاب في هذه الآية هو

(١) ينظر: النظرية الاجتماعية في القرآن الكريم، الدكتور زهير الأعرجي، الناشر: مكتبة أنوار الهدى، قم، ١٤١٤هـ، ١٢٣.

(٢) تفسير مقتنيات الدرر، علي الحائري الطهراني، ٣ / ٢٣٣. وينظر: مجمع البيان، الطبرسي، ٣ / ٢٥٢ وتفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي، ١ / ٥٧٩.

التوراة، أنزلها الله تعالى نورًا ليُستضاء بها في كشف المشكلات، وهدى ليُهتدى بها في ظلم الشبهات^(١).

وباستظهار هذه الصفة النورانية للقرآن نعلم أنّ الهدف الأسمى لهذا الكتاب السماوي هو تنوير الناس، وهذا ما ورد صراحةً في سورة ابراهيم (عليه السلام)، قال تعالى: ﴿أَأَنْتَ يَٰ إِبْرَاهِيمُ﴾ {إبراهيم: ١}، فالآية الكريمة تُشبه أنّ الناس بدون رسالة نبوية من قبل الله تعالى، وبدون كتاب رباني، كمن هم في ظلمات دامسة لا يستبينون طريق الحق المستقيم الواضح في عقائدهم وسلوكهم، ثم نوهت على حكمة الله ورحمته التي اقتضت أن يرسل رسوله ويوحى إليه بآيات كتابه ليخرج الناس من تلك الظلمات وينير لهم سبيل الحق في كل ما يتعلق بأمور الدين والدنيا معًا ويدعوهم إلى السير فيها^(٢).

فإذا كانت ولاية المؤمنين بعهد الله: ﴿أَخْلَجْ لِي﴾ {البقرة: ٢٥٧}، أي هو أولى بهم من أنفسهم، ومغيثهم وناصرهم على أعدائهم، وملجأهم عند اضطرارهم، وهذه من معاني الولاية الربانية^(٣)، فإنّ ثمرة هذه الولاية إخراجهم من كل ظلمة وضلال، سواء عن طريق الدفع كما هو حاصل بالنسبة للأطهار والمعصومين، أو عن طريق الرفع بالنسبة للمذنبين من أهل الإيمان ﴿أَأَنْتَ يَٰ إِبْرَاهِيمُ﴾ {البقرة: ٢٥٧}، فهو وليهم الذي تكفل بإخراجهم من الظلمات المتمثلة بالعادات الرذيلة، والمعتقدات الباطلة، إلى النور الذي يمثل العقائد الحقّة، والأعمال الصالحة^(٤).

وأفضل وسيلة لتنوير المؤمنين هي إرسال القرآن، وأكمل مظاهر هذا الاسم الشريف هو وجود الإنسان الكامل، أي النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم). ولهذا نسب الإخراج من الظلمات إلى النور، إلى النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم). والهدف الأسمى للقرآن هو تنوير ذوات أفراد المجتمع.

(١) ينظر: الأساس في التفسير، سعيد حوى، ٣ / ١٧٠٨.

(٢) ينظر: التفسير الحديث، محمد دروزة، ٥ / ٢١٤.

(٣) ينظر: الجديد في تفسير القرآن المجيد، الشيخ محمد السبزواري، ١ / ٣٢٨.

(٤) ينظر: تسنيم في تفسير القرآن، الشيخ عبد الله الجوادي الأملي، ١٢ / ٢٢٤.

وأوضح مصاديق هذا العمل لموسى الكليم (عليه السلام)، في تنوير بني إسرائيل هو إقامة حكومة الحق، والقيام على السياسة الظالمة لآل فرعون، والثورة على الشرك، والتقدم في سبيل إعلاء راية التوحيد والجهاد ضد الهيئة الحاكمة في ذلك الزمان، والاجتهاد لتأسيس النظام الإلهي.

وعند الحديث عن مسألة السياسة الدينية، لابد أن نذكر أن القرآن يعتبر أن كمال الدين وتمام النعمة في تعيين قائد الإسلام ولي المجتمع، قال تعالى: ﴿أَأَمَّا بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ أَخَذْنَا مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ أَثْقَالًا ثُمَّ جَعَلْنَاهُمْ قَوْمًا يَتَذَكَّرُونَ﴾ (المائدة: ٣)، فالروايات تذكر أن الآية نزلت يوم غدیر خم، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة عشر من الهجرة في أمر ولاية علي (عليه السلام)^(١).

ومع ظهور آخر ولي ووصي معصوم لدين الإسلام، فإن السياسة الإسلامية تنتصر على سائر الأديان، ﴿أَأَمَّا بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ أَخَذْنَا مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ أَثْقَالًا ثُمَّ جَعَلْنَاهُمْ قَوْمًا يَتَذَكَّرُونَ﴾ (الصف: ٩)، أي يجعله بالحجة ظاهرةً عاليًا على جميع الأديان، وعن أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ((يظهر بعد ذلك فو الذي نفسي بيده حتّى لا تبقي قرية إلّا وينادي فيها بشهادة أن لا إله إلّا الله بكرةً وعشيًا))^(٢).

والواضح أن محاربة المشركين لا تتم بدون سياسة، ولا يمكن أن تتحقق تمامية الدين لله وسقوط كل دين لغير الله بدون الزعامة والقيادة للسياسيين الإلهيين: ﴿أَمَّا تَهْتَفُوتُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (الأنفال: ٣٩)، أي وقاتلهم أيها الرسول أنت ومن معك من المؤمنين حتى تزول الفتنة في الدين بالتعذيب وضروب الإيذاء لأجل تركه، وحتى يكون الدين كله لله فلا يستطيع أحد أن يفتن أحدًا عن دينه ويكرهه على تركه إلى دين المكروه تقيّةً وخوفًا^(٣).

المطلب الثاني: رسالة الخطاب القرآني في المعاصرة

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ٥ / ١٧٦.

(٢) تفسير مقتنيات الدرر، سيد علي الحائري الطهراني، ١١ / ١٣٢.

(٣) ينظر: تفسير المراغي، مصطفى المراغي، ٩ / ٢٠٧.

۳۴۵

لوازم العبودية^(١). وقال تعالى: أ □ □ □ {البقرة: ٨٣}، أي تقولوا لهم قولاً حسناً، وتعاملوهم بالخلق الجميل، ووصف القول بالمصدر هو للمبالغة^(٢). ولا ينحصر المقصود من قوله تعالى بمجرد القول اللفظي، بل مطلق السلوك والمعاشرة.

إنّ المجتمع الإسلامي كالأُسرة الواحدة يدور على أساس المحبة والعطف، يصدق في أرجائه نداءً أ □ □ □ {النساء: ١٩}، قال الطاهر بن عاشور في تفسير الآية: ((أعقب النهي عن إكراه النساء والإضرار بهن بالأمر بحسن المعاشرة معهن، فهذا اعتراض فيه معنى التذليل لما تقدم من النهي؛ لأنّ حسن المعاشرة جامع لنفي الإضرار والإكراه، وزائد بمعاني إحسان الصلابة))^(٣). فالفضل والصلة تقوم على أساس الإحسان والالطف: أ □ □ □ بج بج {البقرة: ٢٢٩}، فالمراد من التسريح بإحسان هو أن يؤدي للمرأة حقوقها بعد الانفصال النهائي، ولا يحاول الإضرار بها عملاً وقولاً بأن يعيبها في غيابها أو يتهمها بكلمات رخيصة ويسقط شخصيتها وسمعتها أمام الناس، ومثلما أنّ الصلح والرجوع إلى الزوجة يجب أن يكون بالمعروف والإحسان والمودة، فكذلك الانفصال النهائي يجب أن يكون مشفوعاً بالإحسان أيضاً^(٤).

ويأمرنا الله تعالى بالإحسان للكبار في قوله تعالى: أ □ □ □ ير □ □ □ ين □ □ □ □ □ بج بج بج به {الإسراء: ٢٣}، فالأمر بالإحسان إليهما عام في جميع الأحوال، وخاصةً حالة بلوغ الكبر عند أحدهما أو كليهما؛ لأنّ هذه الحالة حالة ضعف وشدة الحاجة، فيكون الملل والضجر منهما، وضيق الصدر من تصرفاتهما. وهذه الحالة في النهاية تعود بهما إلى ما كان عليه ولدهما في بدايته، لكنّه لا يملك المحبة التي كانت عندهما، فكان بأشد الحاجة إلى التذكير بما عليه من تمام العناية بهما^(٥). وهذا الأمر يجري دائماً؛ لأنّ مسلسل العطف والرحمة للكبار يرجع إلى مرحلة حياة الشباب، ويجعلهم مشمولين للعاطفة العاقلة.

(١) ينظر: تفسير النور، محسن قراءتي، ٥ / ٦٦ - ٦٧.

(٢) ينظر: الجديد في تفسير القرآن المجيد، الشيخ محمد السبزواري، ١ / ١٠٤.

(٣) التحرير والتنوير، ٤ / ٢٨٦.

(٤) ينظر: الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ٢ / ١٦٠.

(٥) ينظر: في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد ابن باديس، ٦٩.

حاضرهم ومستقبلهم بثقة واطمئنان وبصيرة مستتيرة. وإنَّ الشدة في غير موضعها تُفِرّق ولا تجمع وتُضعف ولا تُقوي^(١).

وكذلك كانت الشورى تكريماً لآراء الآخرين ووسيلة جيدة لوحدة المجتمع، واستقطاب الطاقات وإيجاد الانسجام بين أصحاب الرأي، فسيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت امتثالاً لقوله تعالى: ﴿أَتَىٰ تَىٰ تَىٰ تَىٰ تَىٰ تَىٰ﴾ {الشعراء: ٢١٥}، فالمقصود التواضع ولين الجانب مع الأتباع المؤمنين^(٢).

ومن الرسائل الأساسية للقرآن في تحسين أدب العشرة تأسيس المجتمع المتمدن والمتطور، والأمر بحسن الظن بمثل هذا النوع من المجتمعات. وإن كان حسن الظن في المجتمع الفاسد ليس العمل الأول لكن في المجتمع الصالح يجب أن يحكم حسن الظن بالنسبة للآخرين، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَلِكْ لِي لِي لِي لِي لِي لِي لِي﴾ {الحجرات: ١٢}، ففي هذه الآية الكريمة نهى الله تعالى عن كثير من الظن السيء بالمؤمنين، مثل الظن الخالي من الحقيقة والقرينة، وكظن السوء، الذي يقترن به كثير من الأقوال، والأفعال المحرمة، فإنَّ بقاء ظن السوء بالقلب، لا يقتصر صاحبه على مجرد ذلك، بل لا يزال به، حتى يقول ما لا ينبغي، ويفعل ما لا ينبغي، وفي ذلك أيضاً، إساءة الظن بالمسلم، وبغضه، وعداوته المأمور بخلاف ذلك منه^(٣).

المطلب الثالث: ايجابية رسالة الخطاب القرآني

هنالك العديد من الآيات في الكتاب الحكيم تبثُّ في الروح البشرية الأمن والسلام والاستبشار، وتبعث في النفس الطاقة الإيجابية، ومنها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَلِكْ لِي لِي لِي لِي لِي لِي لِي﴾ {يونس: ٥٨}، فالفرح لا يكون بمقدار الثروات، وسلطة المراكز، كما لا يكون بعزة القوم والقبيلة، فرأس المال الحقيقي والأساس للسعادة الحقيقية هو القرآن الكريم، فهو أفضل من كل ما يجمعه الإنسان، ولا يمكن قياسه بذلك

(١) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ٢ / ٣١٥.

(٢) ينظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ٢ / ٣٦٤.

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ٨٠١.

ومن الآيات الأخرى التي تبث في الروح البشرية الأمن والسلام والاستبشار، قوله تعالى: أأ □ □ ين □ □ □ □ □ □ □ □ بح بح بَّ {السجدة: ١٧}، أي لا يُعلم ما أُعد لهؤلاء الذين عُدَّت مناقبهم من قرة أعين، تقرر بها عينهم من طيبة النفس والثواب والكرامة في الجنة، جزاء بما كانوا يعملون في الدنيا من الأعمال الصالحة^(٢). وفي هذا يقول الحديث المروي عن أبي هريرة: ((أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر))^(٣). فهذه الآيات الكريمة المبشرة يهديها الله إلى عباده المخلصين الذي استجابوا لربهم ورسوله، محبين لهم ومؤمنين بهم. فيعدهم الله بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فذلك هو الفوز العظيم، وهو خير مما يجمعون.

(١) ينظر: الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيرازي، ٦ / ٣٨٣.

(٢) ينظر: محاسن التأويل، القاسمي، ٨ / ٤٢.

(٣) صحيح البخاري، ٤ / ١١٨ كتاب بدء الخلق – باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة

حديث رقم (٣٢٤٤) وبحار الأنوار، العلامة المجلسي، ٣٣ / ٨٢.

(۴) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ۳ / ۱۵۰۵.

المبحث الخامس: تكامل الخطاب القرآني وشموليته

المطلب الأول: خلود الخطاب القرآني

المطلب الثاني: كمال الخطاب القرآني

المطلب الثالث: شمولية الخطاب القرآني

المطلب الرابع: حاكمية القرآن الكريم على سائر الكتب
السمائية الأخرى

المطلب الخامس: الآيات المبيّنة لتكامل القرآن الكريم

لدراسة تكامل الخطاب القرآني، لابد من التعرف على خلود الخطاب القرآني وكماله.

المطلب الأول: خلود الخطاب القرآني

امتاز الخطاب القرآني عن غيره من الخطابات، أنه باقٍ مدى السنين ممثلاً بصورته ومادته لكل من يريد أن يطلع عليه ويمارس أمره وينظر في أمره ويعرف كنهه وحقيقته. فهو بادٍ في كل آن ومكان لكل من يطلب الحجة على النبوة والرسالة ويريد النظر في حقيقة معجزها الشاهد لصدقها. وهو خطاب خالد صالح لكل زمان ومكان، ولكل إنسان.

وإن من سمات الخطاب القرآني، طبقاً لبيان الآيات القرآنية^١ ج ل ح د هـ {الأنعام: ٩٠}، وقوله تعالى: أأ □ □ □ □ □ □ □ ج ل ح د هـ له ج ح هـ {يس: ٦٩ - ٧٠}. والروايات^(١)، أنه قد جاء بمشروع هدايةٍ وحياةٍ لجميع البشرية على طول العصور. وعليه لا بُدَّ أن يكون لدى القرآن ما يقوله لجميع الناس في مختلف العصور؛ إذ من الممكن أن لا تكون لدى مجتمع عصر النزول مسألة توقفت عليها سعادتهم في الدنيا والآخرة، ولكن المجتمعات اللاحقة؛ حيث تعيش حياة أكثر تعقيداً، تكون تلك المسألة على درجةٍ كبيرةٍ من الأهمية، وبالتالي فإنها تحتاج إلى مسائل وتشريعات أكثر تعقيداً، أو إنّ الناس في تلك الأزمنة يحتاجون إلى هدايةٍ على مستويات أكبر.

أدلة خلود القرآن الكريم

(١) منها ما روي عن الإمام الباقر (عليه السلام)، أنه قال: ((إن القرآن حي لا يموت، والآية حية لا تموت، فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام ماتوا ماتت الآية، لمات القرآن، ولكن هي جارية في الباقيين كما جرت في الماضين)) {بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ٣٥ / ٤٠٣}.

يوجد ما لا يعد ولا يحصى من الأدلة على خلود القرآن الكريم، إلى جانب المصادقية المطلقة الثابتة في حقّ الرسول المعصوم قبل وبعد البعثة، ورسالته التي تؤكد صدورها من لدن الحكيم الخبير، ومن تلك الأدلة ما يأتي:

١ - حفظ الله للقرآن الكريم :

تختلف معجزة القرآن الكريم عن معجزات الرسل السابقين، فكل رسول كانت له معجزة مختلفة عن منهجه، فمعجزة موسى عليه السلام العصا ومنهجه التوراة، ومعجزة عيسى عليه السلام الطب ومنهجه الإنجيل، لكن محمدًا (صلى الله عليه وآله) معجزته هي عين منهجه، ليظل المنهج محروسًا بالمعجزة، وتظل المعجزة محروسة بالمنهج؛ لأن الله سبحانه وتعالى عندما كلف عباده المحافظة على الكتب السماوية السابقة للقرآن الكريم حرفوها، ولكن القرآن الكريم - معجزةً ومنهجًا - يبقى إعجازه ببقاء نصه بدون زيادة أو نقصان أو تحريف، لذلك تعهد الله عز وجل بحفظه وقال: ﴿أ □ □ □ □ {الحجر: ٩}﴾، ففي الآية الكريمة تأكيد رباني بأن الله تعالى هو الذي ينزل القرآن على النبي (عليه الصلاة والسلام) وبأنه سيحفظه ويؤيده مهما كان موقف الكفار منه^(١).

وقوله تعالى: أَمْ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجَنِّ، أَنْ يَدْخُلَ مَا لَيْسَ مِنْهُ بِهِ، أَوْ يَنْقُصَ مِنْهُ مَا هُوَ بِهِ، فَهُوَ مَحْفُوظٌ فِي تَنْزِيلِهِ، مَحْفُوزَةٌ أَفْظَاظُهُ وَمَعَانِيهِ، قَدْ تَكْفَلُ مِنْ أَنْزَلَهُ حِفْظُهُ^(٢).

وللعامة المصري محمد متولي الشعراوي رأي في صدد حفظ الله سبحانه وتعالى للقرآن الكريم، فهو يرى أننا نلاحظ شيئاً مهماً يبين لنا أن معجزة القرآن محفوظة من الله سبحانه وتعالى، لو أخذنا خطين: خط تطبيق القرآن والعمل بتعاليمه، وخط المحافظة على القرآن، نرى أنّ تطبيق القرآن والعمل به كلما مر الزمان قل وضعف،

(١) ينظر: التفسير الحديث، محمد عزة دروزة، ٤ / ٣٧.

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ٧٥٠.

أما المحافظة على القرآن فكلما مر الزمان زاد بشكل عجيب، حتى إنك ترى القرآن الآن في كل مكتب، وفي السيارات، وعلى صدور السيدات، وفي المنازل، وفي كل مكان، وتجد تجميلاً في القرآن من أناس لا يؤمنون به، فتري رجالاً ألمانياً - مثلاً - يكتب القرآن كله في صفحة واحدة، ويخرجه بشكل جميل وهو ربما لم يقرأ القرآن في حياته، وتجد اليابان مثلاً تتفنن في طبع المصاحف الجميلة، فإذا سألت لماذا لا يفعلون ذلك في الكتب الأخرى؟ نقول لك: أنهم مسخرون لذلك؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يحفظ القرآن، وكل هذا الحفظ الذي تراه هو من عمل الله، وليس من عمل الإنسان، وأنت حين ترى القرآن في مكتب أو سيارة أو منزل وتسال صاحب المنزل أو السيارة أو المكتب هل تعمل بهذا القرآن؟ هل تؤدي الصلاة كما يجب؟ يقول لك لا، إذن لماذا تحتفظ بالقرآن في منزلك دون أن تعمل به؟ فلا يستطيع أن يجيب، أو يقول لك: أنه بركة. ومن هنا فإن غفلتنا عن تعاليم القرآن الكريم كسلوك في الحياة لا تتمشي مع ازدياد الحفاظ على القرآن الكريم، أحياناً تجد غير المسلم يحافظ على القرآن ويحمله، وأحياناً تجد من لا يطبق القرآن يقتني أكبر عدد من المصاحف، ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى يريد أن يبين لنا أن الذي يحفظ القرآن هو الله، وأنه كلما نقص خط العمل بالقرآن ازداد خط الحفاظ عليه؛ لأن العباد هم المكلفون بالعمل، ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذي يحفظه^(١).

٢- استمرار معجزة القرآن الكريم

تختلف معجزة القرآن الكريم عن معجزات الرسل السابقين في عدة وجوه، منها إن معجزات الأنبياء السابقين الدالة على صدق نبوتهم هي وقائع تقع ثم تتقضي وتقضى

(١) ينظر: معجزة القرآن، محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، الناشر: المختار الاسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨ م، ١٠ - ١١.

بفناء هؤلاء الأنبياء، فيراها الذين عاصروهم وحدهم، أما من يأتي بعدهم فتنتقل إليهم أخبارها، فيضعف تأثيرها عليهم، وإنّ ثقة بعض المتأخرين بالنقل ستضعف، وإنّ الدلالة على الرسالة ستضمحل، فجعل الله المعجزة الكبرى لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من نوع آخر، جعلها قائمة تخاطب الأجيال، يراها ويقرؤها الناس في كل عصر إلى قيام الساعة^(١).

المطلب الثاني: كمال الخطاب القرآني

[illegible]

ومن الآيات الكريمة التي تؤكد كمال الخطاب القرآني، قوله تعالى: ﴿أَفَبِمَا نُنشِئُ الْبَنَىٰ يُكْفَرُ بِكُمْ وَيُكَذِّبُكُمْ فَعَسَىٰ أَعْزَمُ لِلْكَافِرِينَ هَٰؤُلَاءِ أَلَّا يَعْلَمُوا جِزَآءَ اللَّهِ عِندَ ذَٰلِكَ هُم مَكِيدُونَ﴾ {النساء: ٨٢}، فالاختلاف والتغيير من خصوصيات النظريات والآراء البشرية، أما ما ينزل من عند الله تعالى فهو حق وثابت، لا يشوبه التناقض أو التشتت أو الاختلاف^(٣). والآية دليل على كمال حججه وبلاغته العليا. وموافقة أحكامه للحكمة^(٤).

المطلب الثالث: شمولية الخطاب القرآني

لَمْ يَقِفِ الْخُطَابُ الْقُرْآنِي عِنْدَ وَاحِدٍ مِنَ الْجَوَانِبِ الْإِنْسَانِيَّةِ، بَلْ إِنَّهُ تَحَدَّثَ بِشُمُولِيَّةٍ إِعْجَازِيَّةٍ بَدِيعَةٍ عَنِ كُلِّ الْجَوَانِبِ الَّتِي يَحْتَاجُ الْإِنْسَانُ إِلَيْهَا، وَخَاصَّةً فِي الْجَوَانِبِ الدِّينِيَّةِ وَالتَّعْبُدِيَّةِ؛ لِأَنَّهَا مَجَالَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ لَذَلِكَ شَمَلَهَا الْقُرْآنُ فِي ثَنَائِهِ حَدِيثِهِ وَآيَاتِهِ.

(١) ينظر: المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، ١٣.

(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ٥ / ١٩٧.

(٣) ينظر: تفسير النور، محسن قراءتي، ٢ / ١٠٦.

(٤) ينظر: محاسن التأويل، القاسمي، ٣ / ٢٣٤.

٤. أقوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَأْتِ الْفِرْعَوْنَ بِآيَاتِنَا لَمَّا جَاءَهُ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَلَمْ يُؤْمَرْ بِإِسْلَامِهِ﴾ (يوسف: ١١١)، أي ((إن كل ما جاء في القرآن هو حق وصدق، ومنه قصة يوسف، وقد جاءت على وفق ما أنزله الله على أنبيائه السابقين في الكتب السماوية مع العلم بأنَّ محمدًا لم يقرأها بنفسه ولم يسمعها من غيره، هذا إلى جانب أنَّ في القرآن بيان العقيدة والشريعة، وإنَّه هدى لمن يطلب الهداية لوجهها ورحمة لمن يعمل بأحكامه ويتعظ بمواعظه))^(١).

٥. قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَأْتِ الْفِرْعَوْنَ بِآيَاتِنَا لَمَّا جَاءَهُ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَلَمْ يُؤْمَرْ بِإِسْلَامِهِ﴾ (النحل: ٨٩)، فلا شك أنَّ القرآن الكريم جاء فيه بيان كل شيء^(٢). وهذا ما أكدّه الامام علي (عليه السلام)، بقوله: ((في القرآن نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم))^(٣).

٦. أقوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَأْتِ الْفِرْعَوْنَ بِآيَاتِنَا لَمَّا جَاءَهُ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَلَمْ يُؤْمَرْ بِإِسْلَامِهِ﴾ (الرعد: ٣١)، فالخطاب القرآني نسب كل شيء إلى مشيئة الله تعالى، من باب كون الله تعالى هو المتصرف المطلق بخلقه وكونه^(٤).

٧. أقوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَأْتِ الْفِرْعَوْنَ بِآيَاتِنَا لَمَّا جَاءَهُ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَلَمْ يُؤْمَرْ بِإِسْلَامِهِ﴾ (القصص: ٤٩)، فالقرآن يخاطب النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، ليتحداهم بأن يأتيوا بكتاب أسمى من القرآن، فهم كانوا يبحثون عن كتاب هداية وعن معجز، فأى كتاب أعظم من القرآن؟ وحتى لو لم يأتي النبي بغير القرآن، لكان القرآن كافيًا في إثبات دعوته الحقّة^(٥).

(١) التفسير الكاشف، محمد جواد مغنّية، ٤ / ٣٦٨.

(٢) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، ٢ / ٤٢٧.

(٣) نهج البلاغة، ٤ / ٧٤.

(٤) ينظر: التفسير الحديث، محمد دروزة، ٥٤٤.

(٥) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ١٢ / ٢٤٨.

هناك اختلاف بين المفسرين بشأن ما إذا كانت الآيات (٣٨) و (٥٩) و (١١٤) من سورة الأنعام، والآية (٣١) من سورة الرعد، هي مثل الآية (١١١) من سورة يوسف، والآية (٨٩) من سورة النحل، في ارتباطها برقعة ومساحة بيان القرآن الكريم أم لا؟ ومنشأ هذا الاختلاف في ما يتعلق بالآيتين (٣٨) و (٥٩) من سورة الأنعام يعود إلى الاختلاف في المراد من (الكتاب) فيهما، وهل هو القرآن الكريم أو اللوح المحفوظ وعلم الله؟ فإن كان المراد منه هو القرآن الكريم تعلقاً بجامعية القرآن^(١).

وأما الاختلاف بشأن الآية (١١٤) من سورة الأنعام فيعود إلى اعتبار كلمة (مفصلاً) بمعنى وضوح أحكام القرآن وتعاليمه وعدم اختلاطها^(٢)، أم نذهب في تفسيرها إلى ما ذهب إليه الشيخ الطبرسي بالقول إنها تعني جميع ما يحتاج إليه البشر^(٣)، وفي هذه الحالة سيكون مضمون هذه الآية هو ذات مضمون الآية (٨٩) من سورة النحل، والآية (١١١) من سورة يوسف.

والاختلاف بشأن الآية (٣١) من سورة الرعد يعود سببه إلى أن البعض يعتقد بأن في ذيل الآية دلالة على أن القرآن حتى لو نزل بهذه الخصيصة فإنهم مع ذلك لن يؤمنوا، لا أن هذه القرآن يتصف بهذا الخصوصية فعلاً^(٤). وحيث إن الآية (٤٩) من سورة القصص تتحدى بالإتيان بكتاب أهدى من القرآن يكون هذا الشرط دالاً على تكاملية القرآن؛ لأن لازم كون الكتاب هو الأهدى أن يكون هو الأجمع.

وأما في ما يتعلق بالآية (٨٩) من سورة النحل، والآية (١١١) من سورة يوسف، فهما متعلقان برقعة ومساحة بيانات القرآن الكريم.

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ٧ / ٨١ - ١٢٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ٧ / ٣٢٨.

(٣) ينظر: مجمع البيان، الطبرسي، ٢ / ٣٥٣.

(٤) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ١١ / ٥٠٥.

التوصيات التي خرج بها البحث

ظهر للبحث في ضوء رحلته البحثية بعض الإقتراحات، التي يوصي الباحثين بالنظر فيها، وهي كما يأتي:

- ١- إن لمحورية الخطاب القرآني ومداريتة اتجاهات متعددة، ولا يسع البحث الاحاطة في جميع جوانبها، ولهذا يمكن دراسة كل اتجاه في بحث مستقل.
- ٢- إن التفاسير المعاصرة كثيرة جداً ولا يمكن دراستها في بحث واحد، ولكن قام البحث بدراسة أهمها وأشهرها، فمن الممكن للباحثين أن يدرسوا محورية الخطاب القرآني ومداريتة، في التفاسير التي لم يسلط البحث الضوء عليها.
- ٣- السمات المميزة لمحورية الخطاب القرآني ومداريتة كثيرة جداً، إذ قام البحث بدراسة خمس منها فقط، ويمكن للباحثين دراسة ما تبقى من هذه السمات.

خاتمةُ البحثِ

ونَتائِجُهُ

خاتمة البحث ونتائجُه

بعد هذه الرحلة الماتعة في رحاب القرآن الكريم، وبعد الاطلاع على التفاسير المعاصرة، ترشح للدراسة مجموعة من النتائج نحسبُ أنها ذات قيمةٍ باصرةٍ، وهي على النحو الآتي:

١- من خلال الاطلاع على المعاني اللغوية للمحورية والمدارية يتبيّن أنّ القرآن الكريم هو المحور الذي ترجع إليه كل المصادر في عملية التفسير.

٢- تبين أنّ القائلين بمحورية القرآن لا ينكرون السنة، بل يتخذونها مصدرًا في التفسير، على العكس تمامًا من القرآنيين الذين ينكرون السنة تمامًا.

٣- إنّ إعطاء أصحاب اتجاه محورية القرآن الدور المحوري للقرآن الكريم كمصدر للمعارف الإسلامية، لا لأنهم يرفضون أحاديث رسول الله (عليه الصلاة والسلام)؛ بل لكون هذا الحديث منقول عن الرسول وآل بيته (عليهم السلام)، وغير مؤكد الصدور عنهم، نتيجة ما أصاب الحديث من وضع وتحريف.

٤ - إنّ القائلين بمحورية القرآن ومدارية السنة يرون أنّ القرآن هو المحور والمصدر الأصلي والاطار لجميع المعارف الإسلامية، بينما تأتي السنة في ظل القرآن وتفهم بطريقة لا تتقاطع مع القرآن الكريم.

٥ - إنّ القائلين بمحورية القرآن ليس هم القرآنيّين أنفسهم، ولا هم أصحاب مقولة (حسبنا كتاب الله).

٦- من خلال الاطلاع على مفهومي الحداثة والمعاصرة، تبين أنّه إذا كانت الحداثة لا تنفي القطيعة مع الماضي ولا ترفضه رفضاً مطلقاً فهي تكون اقرب إلى المعاصرة وبالتالي يفترض أن تسمى الحداثة وفق هذا المنطلق بالمعاصرة التي تتزاج بين

الماضي والحاضر ولا ترجح جانب على الآخر، أما عملية تفضيل الحاضر على الماضي ونبذ كل العادات والقيم القديمة فهو يقع في إطار الحداثة وليس المعاصرة.

٧ - إنّ محورية القرآن ومدارية السنة تكشف عن الذين يريدون الابتعاد عن سنة المعصومين (عليهم السلام) بذريعة المصحف، وهم لا يعملون بالمصحف الأمر بالتمسك بالعترة الطاهرة.

٨- محورية القرآن ومدارية السنة تُظهر مدى الترابط الوثيق بين القرآن الكريم والسنة النبوية، وإنّهما متلازمان لا يفترق أحدهما عن الآخر.

٩- إنّ من أهم الأمور التي تُثبت حجية السنة هي العبادات، فكيف يُمكن استنباط أحكام العبادات وأركانها من النصوص القرآنية.

١٠- على الرغم من إشارة بعض التفاسير إلى محورية القرآن، والعمل بها، إلّا أنّها لم تغفل السنة، فنرى أنّ هذه التفاسير تستشهد بالروايات في تفسير الآيات الكريمة، وإن كان ايراد هذه التفاسير للروايات قليل، إلّا أنّها احتاجت لها وأوردتها.

١١- إنّ القرآن الكريم إنّما صار محوراً؛ لأن السنة الشريفة ثبتت حجيتها عن طريق القرآن، وأنّ لولا القرآن لم يثبت لنا حجية السنة. كما أنّ القرآن الكريم ليس فيه جنبه الظن، وهو موضع وفاق لدى الجميع، فإذا اتفق على سنيته، ومنهجه المعرفي، بالإضافة إلى كونه قطعي الصدور، فكل هذا يجعل القرآن الكريم هو المحور. كما أنّ روايات العرض على القرآن من أهم الأدلة على أنّ المحورية هي للقرآن الكريم.

١٢- إنّ محورية القرآن ومدارية السنة موجودة قديماً في كلمات الرسول وأهل البيت (عليهم السلام)، وحتى في كلمات المفسرين، وهي ليست نظرية حسبنا كتاب الله أو القرآنيين، وهي موجودة عند الفريقين على السواء، وربما لم تكن مذكورة بهذا الاسم، لكن كواقع هي مذكورة بالمعنى المقصود.

١٣- حظي منهج تفسير القرآن بالقرآن باهتمام واسع عند المفسرين المعاصرين، بحيث اتخذته البعض منهجاً رئيسياً في تفاسيرهم.

١٤- إنّ التفاسير المعاصرة ابتعدت عن تفسير القرآن بغير الأصول المعتمدة في التفسير، فلا تجيز تفسير القرآن الكريم بالرأي والاجتهاد ما لم يستند إلى أصل من أصول التفسير.

١٥- إنّ سلامة العقيدة ملك للمفسر، وهي من الضوابط التي يجب أن يستوفيها المفسر؛ لأن سلامة العقيدة هي الإيمان الراسخ والكامل بأن الله هو الواحد.

١٦- يجب على المفسر الذي يفسر كتاب الله أن يملك عقيدة سليمة، خالصة لوجه الله تعالى، وعليه أن ينظر إلى الآيات الكريمة على وفق ما جاءت في كتاب الله تعالى، ولا يحاول جر هذه الآيات فيؤولها مع ما يتناسب مع عقيدة تبنّاها، وبذلك يضيع الفهم الصحيح لكتاب الله تعالى.

١٧- إنّ عدم اهتمام بعض المفسرين المعاصرين ببلاغة الكلمة، يرجع إلى حاجة العصر الذي عاشوا فيه، فالعصر الذي عاشوا فيه كان عصر التهاون والاستخفاف بالدين وشريعته وقيمه، على عكس المفسرين القدامى الذين اهتموا بالتركيب الفصيحة، والمعاني البليغة، فكان من الطبيعي أن تكون لغة التفسير عندهم مختلفة عن لغة المفسرين القدامى.

١٨- إنّ الأساس الوحيد الذي يولد الأخلاق الحميدة هو الإيمان، فكّما كان إيمان الإنسان أقوى وأرسخ وأثبت في النفس كلّما كانت أعماله أصلح، والعكس صحيح.

١٩- نرى أن في تراثنا الإسلامي ملاحظة بارزة وقوية، وهي مركزية القرآن الكريم ومحوريته في كلّ ما أنتجته الأمة من علوم ومعارف، وأيضاً في كل الأبعاد التي اتسعت لها التفاسير المعاصرة.

٢٠- إنّ العقيدة والشرعية لا يعدّان من التراث، وإنّما فهما هو الذي يعدّ من التراث.

٢١- التراث التفسيري هو كل ما خلفه المسلمون عبر العصور، وفي كل بقعة من بقاع الأرض، من نشاط فكري حول بيان معاني آيات الذكر الحكيم.

٢٢- إنّ الذين أدخلوا الوحي في مفهوم التراث، لديهم تصور جديد للوحي القرآني، قام بنقله من الغيب إلى الظاهرة، ومن اللاتاريخي إلى التاريخي، ومن القداسة إلى

الدراسة، كما أنّهم لا يميزون بين نصوص الوحي والنصوص البشرية والدينية الأخرى، فهم يُدخلون الوحي في مفهوم التراث، إلّا أنّ البعض منهم، مثل نصر حامد أبو زيد يعدونه هو النص المحوري الذي تدور حوله كل النصوص الأخرى.

٢٣- يُفهم من هذه الآيات القرآنية أنّ مسألة الحاكمية لله تعالى بصفته المشرع الأوحد، منه تبتدأ واليه تنتهي فلا يحق لمخلوق أن يدعي الحاكمية على الناس إلّا إذا كان مستمداً ذلك من حاكمية المولى سبحانه وتعالى.

٢٤- إن رسالات القرآن التي تحدثنا عن بعضها في الفصل الخامس لا يمكن تطبيقها إلّا في ظل العترة الطاهرة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وإلّا فإنّ أيّاً من تلك الأهداف السامية لا يمكن أن يتحقق بالقرآن وحده دون العترة الطاهرة.

تَبَيُّنُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاJِعِ

المصادر والمراجع

خير ما نبدأ به القرآن الكريم

- ١- آلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي النجفي (ت ١٣٥٢هـ)، مطبعة العرفان، صيداء، ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م.
- ٢- الإبانة في اللغة العربية، سلمة بن مُسلم العَوْتبي الصُّحاري، تحقيق: د. عبد الكريم خليفة - د. نصرت عبد الرحمن - د. صلاح جرار - د. محمد حسن.
- ٣- اتجاهات الفكر الاسلامي المعاصر في مصر: الدكتور حمد بن صادق الجمال، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٤- الاتجاهات المعاصرة في دراسة السنة النبوية في مصر وبلاد الشام: د محمد عبد الرزاق أسود، الناشر: دار الكلم الطيب، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.
- ٥- الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- ٦- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن عبد التميمي أبو حاتم، الدارمي البُستي (ت ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٧ - أدلة الترجيح اللغوي في السور القصار - دراسة دلالية في البنية والمحتوى، الدكتور عماد فاضل الشمري، الدار المنهجية للنشر والتوزيع، عمّان - الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م.
- ٨- أزمة الخلافة والإمامة وآثارها المعاصرة أسعد وحيد القاسم، الناشر: الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٩- أزمة المثقفين العرب تقليدية أم تاريخانية: د. عبد الله العروي، ترجمة: دكتور ذوقان قرطوط، المؤسسة الغربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م.

- ١٠- الأساس في التفسير: سعيد حوى (ت ١٤٠٩ هـ)، دار السلام، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٤٢٤ هـ.
- ١١- أساطين المرجعية العليا في النجف الأشرف: الدكتور محمد حسين علي الصغير، مؤسسة البلاغ، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م.
- ١٢- الاستبصار فيما اختلف من الاخبار: الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٩٠ هـ.
- ١٣- الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: الدكتور محمد بن محمد أبو شهبه، مكتبة السنة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨ هـ.
- ١٤- أسس التقدم عند مفكري الاسلام في العالم العربي الحديث: فهمي جدعان، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨ م.
- ١٥- اسلام القرآن واسلام الحديث، ملخص المشروع الاصلاحى للسيد كمال الحيدري، بقلم الدكتور طلال الحسن، ٥٥ .
- ١٦- الإسلام المعاصر: د علي مراد، ترجمة محمود علي مراد، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٤ هـ.
- ١٧- الاسلام والايمان منظومة القيم: الدكتور محمد شحرور، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م.
- ١٨- الاسلام والحداثة، محمد أركون، مجلة مواقف، دار الساقى، العدد (٥٩ - ٦٠)، بيروت - لبنان، ١٩٨٩ م.
- ١٩ - الأسلوبية والأسلوب، الدكتور عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثالثة، (د . ت)،
- ٢٠- إشكاليات القراءة وآليات التأويل: نصر حامد أبو زيد، الناشر: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠١٤ م.
- ٢١- أصول البزدوي - كنز الوصول إلى معرفة الاصول: علي بن محمد البزدوي الحنفي (ت ٤٨٢ هـ)، وبهامشه تخريج أحاديث أصول البزدوي للحافظ قاسم ابن قطلوبغا، الناشر: مير محمد كتب خانه، كراتشي.

- ٢٢- أصول التفسير والتأويل مقارنة منهجية بين آراء الطباطبائي وأبرز المفسرين: السيد كمال الحيدري، مؤسسة الامام الجواد (عليه السلام) للفكر والثقافة، الطبعة الرابعة، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- ٢٣- أصول الفقه، الشيخ محمد رضا المظفر (ت ١٣٨٣هـ)، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- ٢٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ٢٥- أضواء على إعجاز القرآن الكريم: الشيخ عكرمة صبري، الناشر: وكالة الأهرام للنشر والتوزيع.
- ٢٦- إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ٢٧- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.
- ٢٨- أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ)، تحقيق وتخريج: حسن الأمين، دار المعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- ٢٩- أفعال الرسول (ص) ودلالاتها على الأحكام الشرعية: محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ٣٠- الأم أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ٣١- الأمالي: أبي القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ)، تصحيح وتعليق: الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي، الناشر: منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، الطبعة الأولى، ١٣٣٥هـ - ١٩٠٧م.

- ٣٢- الأمالي: أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي
الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة،
الناشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٣٣- الأمالي: شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق :
قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم
الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٣٤- الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل: العلامة الفقيه المفسر آية الله العظمى الشيخ
ناصر مكارم الشيرازي، طبعة جديدة منقحة مع إضافات، المكتبة الألكترونية - أهل
البيت (عليهم السلام)، الإصدار الثاني.
- ٣٥- أوضح التفاسير: محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (ت ١٤٠٢هـ)، الناشر:
المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة السادسة، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م.
- ٣٦- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو
بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية
السعودية، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- ٣٧- الإيمان: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله
بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق:
محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، عمان - الأردن، الطبعة
الخامسة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ٣٨- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: العلامة الشيخ محمد باقر
المجلسي (ت ١١١١هـ)، تحقيق: محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان السيد
إبراهيم الميانجي ، محمد الباقر البهبودي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان،
الطبعة الثانية المصححة، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.
- ٣٩- بحر الجواهر في تحقيق المصطلحات الطبية: محمد بن يوسف الطيب الهروي
(ت ٩٤٩هـ)، نسخة حسنة خطها معتاد مطبوع.

٤٠- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٤١- بحوث في الفقه المعاصر: الشيخ حسن الجواهري، الناشر: مجمع الذخائر الإسلامية، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ.

٤٢- بحوث في منهج تفسير القرآن الكريم: محمود رجب، ترجمة: حسين صافي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧ م.

٤٣- البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية ثم صورته دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.

٤٤- البرهان من السنة والقرآن في الرد على صاحب البيان: رمضان جمعة البركي، دار الحكمة، طرابلس - ليبيا، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.

٤٥- بيان المعاني على حسب ترتيب النزول: عبد القادر بن ملا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت: ١٣٩٨هـ)، الناشر: مطبعة الترقى، دمشق الطبعة الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥ م.

٤٦- البيان في تفسير القرآن: الامام الأكبر زعيم الحوزة العلمية السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت ١٤١٣هـ)، دار الزهراء، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٤٧- التأصيل والتجديد في مدرسة الحلة الفقهية دراسة تحليلية، الدكتور جبار كاظم الملا، راجعه وضبطه: مركز تراث الحلة، دار الكفيل، العراق، الطبعة الأولى، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م.

٤٨- تاج التراجم: أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطُوبغا السوداني (نسبة إلى معتق أبيه سودون الشيوخوني) الجمالي الحنفي (ت ٨٧٩هـ)، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

٤٩- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٥٠- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

٥١- تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٥٢- تاريخية الفكر العربي الاسلامي: محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، الناشر: مركز الانتماء القومي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.

٥٣- التبيان في تفسير القرآن، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٥٤- تنمة الأعلام للزركلي: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٥٥- تجارب محمد جواد مغنية الشيخ محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ)، مراجعة وتحقيق: رياض الدباغ، الناشر: أنوار الهدى، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٥٦- تجديد الفكر الاسلامي: محسن عبد الحميد، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، فرجينيا، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

٥٧- تجفيف منابع الارهاب، محمد شحرور، الناشر: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، سورية - دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

٥٨- تحديث الفكر الإسلامي: عبد المجيد الشرفي، دار المدار الاسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م.

- ٥٩- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد): محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
- ٦٠- تحريرات في الأصول: السيد مصطفى الخميني (ت ١٣٩٨هـ)، الناشر: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٣٧٦ ش.
- ٦١- التحقيق في كلمات القرآن الكريم: الشيخ حسن المصطفوي، الناشر: مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٦٢- التحليل النفسي للذات العربية وأنماطها السلوكية والأسطورية: علي زيعور، دار الطليعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.
- ٦٣- تدوين الدستور الاسلامي: أبو الأعلى المودودي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٦٤- تدوين السنة الشريفة: السيد محمد رضا الجالي، الناشر: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.
- ٦٥- تذكرة الأعيان، جعفر السبحاني: مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ٦٦- تذكرة الحفاظ: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- ٦٧- التراث والتجديد: حسن حنفي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الرابعة، ١٩٩٤م.
- ٦٨- التراث والتجديد: موقفنا من التراث القديم، حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- ٦٩- التراث والحداثة - دراسات ومناقشات -: محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
- ٧٠- التراث والعلمانية: البنى والمرتكزات والخلفيات والمعطيات، عبد الكريم سروش، ترجمة احمد القبانجي، دار الفكر الجديد، النجف، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

- ٧١- التراث والمعاصرة: أكرم ضياء العمري، سلسلة فصلية تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ.
- ٧٢- تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، محمد الغزالي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
- ٧٣- تسنيم في تفسير القرآن: العلامة الشيخ عبد الله الجوادي الطبري الآملي، تعريب: السيد عبد المطلب رضا، تحقيق: الشيخ محمد عبد المنعم الخاقاني، دار الإسراء للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
- ٧٤- التعريفات الفقهية: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م)، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- ٧٥- التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ)، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٧٦- تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير): عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (ت ١٣٥٩ هـ)، المحقق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- ٧٧- التفسير أساسياته واتجاهاته، الدكتور فضل حسن عباس، دار النفائس، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م.
- ٧٨- التفسير البياني للقرآن الكريم: عائشة عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (ت ١٤١٩ هـ)، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السابعة.
- ٧٩- التفسير الحديث: محمد عزة دروزة (ت ١٤٠٤ هـ)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨٣ هـ.
- ٨٠- تفسير الشعراوي - الخواطر: محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨ هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧ م.

- ٨١- التفسير الصافي: المولى محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)، تحقيق: صححه وقدم له وعلق عليه العلامة الشيخ حسين الأعلمي، الناشر: مكتبة الصدر، طهران، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ - ١٣٧٤ش.
- ٨٢- تفسير الصراط المستقيم: السيد حسين البروجردي (ت ١٣٤٠هـ)، صححه وعلق عليه: الشيخ غلام رضا بن علي أكبر مولانا البروجردي، الناشر: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- ٨٣- تفسير الفاتحة والبقرة: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- ٨٤- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.
- ٨٥- تفسير القرآن الكريم (تفسير شبير): العلامة المحقق الجليل السيد عبد الله شبير (ت ١٢٤٢هـ)، مراجعة: الدكتور حامد حفني داود، الناشر: السيد مرتضى الرضوي، الطبعة الثالثة، ١٣٨٥هـ - ١٩٩٦م.
- ٨٦- تفسير القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين: جمال البناء، الناشر: كتب عربية للنشر والتوزيع الإلكتروني.
- ٨٧- تفسير القرآن الكريم: السيد مصطفى الخميني (ت ١٣٩٨هـ)، تحقيق: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، الطبعة الأولى، ١٤١٨ - ١٣٧٦ش.
- ٨٨- تفسير القرآن: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٨٩- التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة.

- ٩٠- تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي (ت نحو ٣٢٩هـ)، تصحيح وتعليق وتقديم: السيد طيب الموسوي الجزائري، دار الكتاب للطباعة والنشر، قم - إيران، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.
- ٩١- التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ)، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٨١م.
- ٩٢- التفسير المبين: محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ)، الناشر: مؤسسة دار الكتاب الاسلامي، الطبعة الثانية منقحة ومزودة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٩٣- تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م.
- ٩٤- تفسير النور: الشيخ محسن قراءتي، ترجمة: حسين صافي، دار المؤرخ العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
- ٩٥- التفسير الواضح: محمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد، بيروت، الطبعة العاشرة، ١٤١٣هـ.
- ٩٦- التفسير الوسيط للقرآن الكريم: المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣م - ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م .
- ٩٧- التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي (ت ١٤٣١هـ)، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
- ٩٨- التفسير الوسيط: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ .
- ٩٩- تفسير آيات الأحكام: محمد علي السائيس، تحقيق: ناجي سويدان، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر.
- ١٠٠- تفسير سورة الحمد: السيد محمد باقر الحكيم (ت ١٤٢٥هـ)، الناشر: مجمع الفكر الاسلامي، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

- ١٠١- تفسير مقتنيات الدرر: مير سيد علي الحائري الطهراني (ت ١٣٥٣هـ)،
الناشر: الشيخ محمد الآخوندي مدير دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٣٧ ش.
- ١٠٢- تفسير من وحي القرآن: السيد محمد حسين فضل الله، دار الملاك، بيروت -
لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ١٠٣- التفسير والتفاسير الحديثة: بهاء الدين خرمشاهي، راجعه: عصام حسن، دار
الروضة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م - ١٤١١هـ.
- ١٠٤- التفسير والمفسرون في العصر الحديث: عبد القادر محمد صالح، دار
المعرفة، بيروت، ٢٠٠٣م.
- ١٠٥- التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: الأستاذ المحقق محمد هادي معرفة،
الناشر: الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، مشهد، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة،
١٣٨٤ش.
- ١٠٦- التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا: محمد بن رزق بن طرهوني، دار ابن
الجوزي، السعودية - الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
- ١٠٧- التفسير والمفسرون: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (ت ١٣٩٨هـ)،
الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة.
- ١٠٨- تقويم نظرية الحادثة: عدنان رضا النحوي، دار النحوي للنشر والتوزيع،
المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
- ١٠٩- التمهيد في علوم القرآن: العلامة محمد هادي معرفة، دار التعارف
للمطبوعات.
- ١١٠- تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق وتعليق: السيد حسن
الموسوي الخرساني، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الرابعة، ١٣٦٥ش.
- ١١١- تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي (ت ٣٧٠هـ)،
تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى،
٢٠٠١م.

- ١١٢- التوحيد: أبي جعفر محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- ١١٣- التيارات المعاصرة في النقد الأدبي: د بدوي طبانة، الناشر: دار المريخ، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦م.
- ١١٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ١١٥- التيسير في أحاديث التفسير: محمد المكي الناصري (ت ١٤١٤هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ١١٦- الثابت والمتحول، أدونيس: دار الساقي، بيروت، لبنان، الطبعة التاسعة ٢٠٠٦م.
- ١١٧- الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة: الشيخ يوسف القرضاوي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ١١٨- الثقافة في معترك التغيير، عباس الجراري، دار النشر المغربية، الدار البيضاء.
- ١١٩- ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق: تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخراسان، الناشر: منشورات الشريف الرضي، قم، الطبعة الثانية، ١٣٦٨ش.
- ١٢٠- جامع أحاديث الشيعة: السيد البروجردي (ت ١٣٨٣هـ)، المطبعة العلمية، قم، ١٣٩٩هـ.
- ١٢١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ١٢٢- جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت ق ١٢هـ)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٢٣- الجامع الكبير - سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨ م.

١٢٤- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٢٥- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٢٦- الجديد في تفسير القرآن المجيد: الشيخ محمد السبزواري، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١٢٧- جهود المعاصرين في خدمة السنة المشرفة: محمد عبد الله أبو صعليك، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

١٢٨- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت ١٣٦٢هـ)، مطبعة مصطفى، الطبعة الأولى، قم المقدسة، ١٩٨٨م.

١٢٩- جواهر الكلام: الشيخ الجواهري (ت ١٢٦٦هـ)، تحقيق وتعليق: محمود القوجاني، تصحيح: السيد إبراهيم الميانجي، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثانية، ١٣٦٦ ش.

١٣٠- الجواهر المضية في طبقات الحنفية: عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (ت ٧٧٥هـ)، الناشر: مير محمد كتب خانه، كراتشي.

١٣١ الجواهر في تفسير القرآن الكريم المشتل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات: الأستاذ الشيخ طنطاوي جوهري (ت ١٣٥٨هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٠هـ.

١٣٢- حاشية البناني على شرح الجلال شمس الدين محمد بن احمد المحلي على متن جمع الجوامع، الامام تاج الدين عبد الوهاب ابن السبكي، دار الفكر للطباعة والنشر.

١٣٣- حاكمية القرآن: دراسة تأصيلية حول علاقة السنة بالكتاب ودورها في تفسيره، حسين أحمد الخشن، دار روافد للطباعة والنشر والتوزيع.

١٣٤- حجية السنة - سلسلة قضايا الفكر الاسلامي: العلامة الدكتور، عبد الغني عبد الخالق، الناشر: مطابع دار الوفاء، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

١٣٥- حجية السنة في الفكر الاسلامي قراءة وتقويم: حيدر محمد كامل حب الله، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

١٣٦- الحداثة في النقد العربي المعاصر: عبد المجيد زراقت، دار الحرف العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩١ م.

١٣٧- الحداثة وما بعد الحداثة: محمد سبيلا، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ م.

١٣٨- الحداثة وموقفها من السنة: د. الحارث فخري عيسى عبد الله، دار السلام، الطبعة الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.

١٣٩- الحقائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة: العالم البارع الفقيه المحدث الشيخ يوسف البحراني (ت ١١٨٦ هـ)، تحقيق وتعليق وإشراف: محمد تقي الإيرواني، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ايران.

١٤٠- الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت ٩٢٦ هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.

١٤١- الحديث والقرآن: ابن قرناس، الناشر: منشورات الجمل، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨ م.

١٤٢- حكاية الحداثة في المملكة العربية السعودية: عبد الله محمد الغدامي، الناشر: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٥ م.

- ١٤٣ خاطرات الأفغاني: السيد جمال الدين الحسيني الأفغاني، تقرير: محمد باشا المخزومي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٣١م.
- ١٤٤- الخصال: أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق وتصحيح: علي أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة، ١٤٠٣هـ.
- ١٤٥- الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق: الدكتورة خلود العموش، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ١٤٦- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت.
- ١٤٧- دراسات قرآنية، مناهج التفسير، إشكالية تحريف القرآن: مجموعة من الباحثين، مركز الغدير للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ١٤٨- دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن: محمد علي الرضائي، تعريب: قاسم البيضاني، الناشر: مركز المصطفى (ص) العالمي للترجمة والنشر، إيران - قم، الطبعة الرابعة، ١٤٣٧ق - ١٣٩٥ش.
- ١٤٩- دروس في علم الأصول: السيد محمد باقر الصدر (ت ١٤٠٠هـ)، الناشر: دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ١٥٠- دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت ق ١٢هـ)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- ١٥١- دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، محمد الغزالي، دار الشروق، القاهرة.
- ١٥٢- دفاع عن القرآن الكريم الجامع لكلمة المسلمين على التوحيد، محمد رضا الحسيني الجاللي، منشورات دليل ما، الطبعة الأولى، ١٣٨٥ هـ ش.
- ١٥٣- دلائل الصدق لنهج الحق، الشيخ محمد حسن المظفر (ت ١٣٧٥هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

- ١٥٤- روائع البيان تفسير آيات الأحكام: محمد علي الصابوني، طبع على نفقة: حسن عباس الشربتلي، الناشر: مكتبة الغزالي - دمشق، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- ١٥٥- زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.
- ١٥٦- السنة الرسولية والسنة النبوية، محمد شحرور: دار الساقى، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٢ م.
- ١٥٧- السنة النبوية المطهرة قسم من الوحي الالهي المنزل: الشيخ محمد علي الصابوني، كتاب شهري يصدر عن رابطة العالم الاسلامي، العدد (١٧٠)، النسخة الخامسة عشرة، صفر ، ١٤١٧ هـ.
- ١٥٨- السنة في مواجهة الأباطيل: محمد طاهر بن حكيم غلام رسول، الناشر: دعوة الحق (سلسلة شهرية تصدر مع مطلع كل شهر عربي - السَّنة الثانية: ١٤٠٢ هـ ربيع الأول العدد (١٢)) مطبوعات رابطة العالم الإسلامي).
- ١٥٩- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى بن حسني السباعي (ت ١٣٨٤هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي: دمشق - سوريا، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- ١٦٠- سنن ابن ماجة: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
- ١٦١- سنن ابي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- ١٦٢- السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

- ١٦٣- سنن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): السيد الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، الناشر: كتاب فروشي اسلامية، الطبعة الخامسة، ١٣٧٠ش.
- ١٦٤- سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ١٦٥- شخصيات ومواقف عربية ومصرية: محمد سليم العوا، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٤م.
- ١٦٦- شرح العقيدة الطحاوية: عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك، إعداد: عبد الرحمن بن صالح السديس، دار التدمرية، الطبعة الثانية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.
- ١٦٧- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، الطبعة الأولى، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م.
- ١٦٨- الشريعة: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّي البغدادي (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي، دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- ١٦٩- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: نشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإيراني - د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق - سورية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- ١٧٠- الشيعة في الإسلام: السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، الناشر: بيت الكاتب للطباعة والنشر، إعداد: مركز بقية الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٩ م.
- ١٧١- الصارم المسلول على شاتم الرسول: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي

- الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية.
- ١٧٢- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ١٧٣ - الصحيح المسند من أسباب النزول، مُقبل بن هادي بن مُقبل بن قائدة الهمداني الوادعي (ت ١٤٢٢هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الرابعة مزيدة ومنقحة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- ١٧٤- الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) : السيد جعفر مرتضى العاملي، الناشر : دار الحديث للطباعة والنشر، قم - ايران، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ - ١٣٨٥ ش.
- ١٧٥- صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- ١٧٦- الطباطبائي ومنهجه في تفسيره الميزان: علي الاوسي، الناشر: معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية في منظمة الإعلام الاسلامي، طهران - ايران، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ١٧٧- الظاهرة القرآنية، مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي (١٣٩٣هـ)، تحقيق: (إشراف ندوة مالك بن نبي)، دار الفكر، دمشق - سورية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ١٧٨- عقائد الإمامية: الشيخ محمد رضا المظفر (ت ١٣٨٣هـ)، تقديم: الدكتور حامد حفني داود، الناشر: انتشارات أنصاريان، قم- ايران.
- ١٧٩ - العلاقة المتبادلة بين الكتاب والسنة، الدكتور علي نصيري، مؤسسة تحقيقات الثقافة والعقيدة الإسلامية، طهران، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
- ١٨٠- علل الشرائع: الشيخ الصدوق، تقديم السيد: محمد صادق بحر العلوم، الناشر: منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الأشرف، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦م.

- ١٨١- علم طبقات المفسرين محاضرات في الرؤى والتصنيفات: الأستاذ الدكتور حكمت عبيد الخفاجي، دار الصادق الثقافية، العراق، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠م.
- ١٨٢- العولمة وتأثيرها على النظم القانونية في الأقطار العربية (دراسة مقارنة): الدكتور جابر بن خلفان بن سالم الهطالي، الناشر: بورصة الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.
- ١٨٣- عيون أخبار الرضا (ع): الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، صحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ١٨٤- الغارة على التراث الاسلامي: جمال سلطان، مكتبة السنة، الدار السلفية للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ١٨٥- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (ت ٤٢٩هـ)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.
- ١٨٦- الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.
- ١٨٧- فقه الجهاد في ضوء المتغيرات المعاصرة، د. حيدر شوكان السلطاني، دار الرافدين، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.
- ١٨٨- الفكر الإسلامي قراءة علمية: ترجمة: هاشم صالح، الناشر: مركز الانتماء القومي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.
- ١٨٩- فلسفة العلوم الاجتماعية: صلاح قنصوة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- ١٩٠- في ظلال القرآن في الميزان، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار، الأردن - عمان، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ١٩١- في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت- القاهرة، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢ هـ .

- ١٩٢- في قراءة النص الديني: عبد المجيد الشرفي وآخرين، سلسلة موافقات، ١٩٨٩م.
- ١٩٣- القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ١٩٤- القرآن وكفى مصدرًا للتشريع الاسلامي: أحمد صبحي منصور، الناشر: مؤسسة الانتشار العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
- ١٩٥- القرآنيون وشبهاتهم حول السنة: خادم حسين إلهي بخش، الناشر: مكتبة الصديق، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.
- ١٩٦- القصص القرآني: محمد شحرور، دار الساقى، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠١٢م.
- ١٩٧- قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الاسلام اليوم: محمد أركون، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- ١٩٨- قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر: حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.
- ١٩٩- الكافي: الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٦٧ ش.
- ٢٠٠- كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
- ٢٠١- كتاب سليم بن قيس: سليم بن قيس الهلالي الكوفي، تحقيق: محمد باقر الأنصاري الزنجاني، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ - ١٣٨٠ ش.

- ٢٠٢- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ.
- ٢٠٣- كشف اليقين: العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق: حسين الدركاهي، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.
- ٢٠٤- الكفاية في علم الرواية: الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: أحمد عمر هاشم، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ٢٠٥- كليات في علم الرجال: الشيخ جعفر السبحاني، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة، ١٤١٤ هـ.
- ٢٠٦- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٢٠٧- اللُّباب في تفسير الكتاب: السيد كمال الحيدري، دار فراق للطباعة والنشر، قم - ايران، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
- ٢٠٨- لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ) الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ.
- ٢٠٩- ماهية المعاصرة: طارق البشري، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م.
- ٢١٠- المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق: الدكتور محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ٢١١- مبادئ العربية في الصرف والنحو - قسم الصرف: رشيد الشرتوني، الناشر: مؤسسة انتشارات دار العلم، قم المقدسة.
- ٢١٢- مبادئ العربية في الصرف والنحو - قسم النحو: رشيد الشرتوني، الناشر: مؤسسة انتشارات دار العلم، قم المقدسة.

- ٢١٣- مبدأ الرضا في العقود دراسة مقارنة: علي القرّة داغي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.
- ٢١٤- متشابه القرآن ومختلفه: الشيخ الجليل محمد بن علي بن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)، المطبعة: جايخانة، ١٣٢٨هـ.
- ٢١٥- مجمع البحرين: الشيخ فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، الناشر: مرتضوي، الطبعة الثانية، ١٣٦٢ش.
- ٢١٦- مجمع البيان في تفسير القرآن: أمين الاسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، حققه وعلق عليه: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، قدم له: الامام الأكبر السيد محسن الأمين العاملي، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ٢١٧- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة: عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن باز، جمع وإشراف: دكتور محمد بن سعد الشويعر، دار القاسم للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٢١٨- محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ٢١٩- محطات في سبيل الحكمة الفارق بين السنة الشريفة وروايات الأحاديث: عدنان الرفاعي، الناشر: مركز الذكر للدراسات الإسلامية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.
- ٢٢٠- المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٢٢١- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ) تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

- ٢٢٢- مختصر تفسير ابن كثير (اختصار وتحقيق): محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان، الطبعة السابعة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م.
- ٢٢٣- المختصر في تفسير القرآن الكريم: تصنيف: جماعة من علماء التفسير، إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية، الطبعة الثالثة، ١٤٣٦ هـ.
- ٢٢٤- مختلف الشيعة في أحكام الشريعة: العلامة الحلي (ت ٧٢٦ هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
- ٢٢٥- مدارس الفكر العربي الإسلامي المعاصر، تأملات في المنطق والمنصب، د عبد الرزاق قسوم، الناشر: دار علم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
- ٢٢٦- مدخل إلى التراث العربي الإسلامي: د. خالد فهمي، د. أحمد محمود، الناشر: مركز تراث للبحوث والدراسات، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٤ م.
- ٢٢٧- مدخل إلى العلوم الإسلامية: الشهيد مرتضى المطهري، ترجمة: حسن علي الهاشمي، مراجعة: عبد الجبار الرفاعي - السيد علي مطر، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
- ٢٢٨- مدخل إلى القرآن الكريم، الجزء الأول التعريف بالقرآن: محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦ م.
- ٢٢٩- مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة: الدكتور زغلول راغب محمد النجار، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- ٢٣٠- مدخل إلى علم الفقه عند المسلمين الشيعة: الشيخ علي حازم، دار الغربة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
- ٢٣١- المدرسة القرآنية: السيد محمد باقر الصدر، دار الكتاب الاسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.
- ٢٣٢- مذاهب الاسلاميين في علوم الحديث، الدكتور حسن عيسى الحكيم، دار الكتب والوثائق الوطنية، بغداد، الطبعة الثانية، ٢٠١٥ م.

٢٣٣- المسألة السياسية: وصل التراث بالعصر والنظام والنظام السياسي للدولة، كتاب التراث وتحديات العصر في الوطن العربي، احمد كمال أبو المجد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧ م.

٢٣٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٢٣٥- مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي): أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٣٦- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٣٧- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت.

٢٣٨- مصطلحات الفقه ومعظم عناوينه الموضوعية: آية الله المشكيني، الناشر: دفتر نشر الهادي، الطبعة الأولى، ١٣٧٧ هـ.

٢٣٩- المعاصرة بين الرؤية والكلمات: محمد علي قدس، الناشر: دار البلاد، جدة.
٢٤٠- المعاصرة في إطار الأصالة: الأستاذ أنور الجندي، دار الصحوة للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٢٤١- معاني الأخبار: الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٣٧٩ هـ - ١٣٣٨ ش.

٢٤٢- معجزة القرآن: محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، الناشر: المختار الاسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

- ٢٤٣- المعجزة الكبرى القرآن: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.
- ٢٤٤- معجم أعلام الجزائر - من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر: عادل نويهض، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- ٢٤٥- المعجم الأوسط: أبو القاسم سليمان بن احمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)، تحقيق: قسم التحقيق بدار الحرمين، الناشر: دار الحرمين للنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- ٢٤٦- المعجم الأوسط: الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)، تحقيق: قسم التحقيق بدار الحرمين، الناشر: دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- ٢٤٧- معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين (محذوف الأشعار)، محمد خير الله رمضان يوسف، ١٤٣٧ هـ.
- ٢٤٨- معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦ هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥ م.
- ٢٤٩- معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤ هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- ٢٥٠- معجم المصطلحات اللغوية والأدبية: ابراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين المتحدنين، تونس، ١٩٨٦ م.
- ٢٥١- معجم المفسرين من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر: عادل نويهض، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٢٥٢- المعجم الوسيط: د.ناصر احمد، د.مصطفى محمد، أحمد درويش، أيمن عبدالله، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ٢٥٣- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة.

- ٢٥٤- معجم ديوان الأدب: أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (ت ٣٥٠هـ)، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- ٢٥٥- معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام، محمد هادي الأميني، الناشر: مطبعة الآداب، النجف، الطبعة الأولى، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
- ٢٥٦- معجم لغة الفقهاء: محمد راوس قلجعي وحامد صادق قنبيي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- ٢٥٧- معجم مصطلح الأصول: هيثم هلال، مراجعة وتوثيق: الدكتور محمد التتوحي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م.
- ٢٥٨- معجم مصطلحات المنطق: جعفر باقر الحسيني، دار الاعتصام للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ م.
- ٢٥٩- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ٢٦٠- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠ هـ.
- ٢٦١- مفاهيم القرآن: العلامة جعفر السبحاني، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
- ٢٦٢- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
- ٢٦٣- المفسرون حياتهم ومنهجهم: محمد علي ايازي، الناشر: مركز القائمية، اشراف: آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي، اصفهان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ.
- ٢٦٤- مفهوم التراث محددات ومفاهيم: محمد جميل، الندوة التدريبية المنعقدة بفاس، كلية الآداب، نحو منهجية للتعامل مع التراث الإسلامي، بتعاون مع معهد الدراسات

- المصطلحية، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي سنة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ٢٦٥- مفهوم النص دراسة في علوم القرآن: نصر حامد ابو زيد، الناشر: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠١٤ م.
- ٢٦٦- مقدمة ابن خلدون: العلامة ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ)، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- ٢٦٧- مكارم الأخلاق: أبي نصر الحسن بن الفضل الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ)، الناشر: منشورات الشريف الرضي، الطبعة السادسة، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.
- ٢٦٨- الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ)، الناشر: مؤسسة الحلبي.
- ٢٦٩- من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ.
- ٢٧٠- المناهج التفسيرية في علوم القرآن: الشيخ جعفر السبحاني، الناشر: مؤسسة الامام الصادق (عليه السلام)، قم، الطبعة الرابعة منقحة ومصححة، ١٤٣٢ هـ.
- ٢٧١- مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين: دكتور رمضان عبد التواب، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م.
- ٢٧٢- مناهج تفسير القرآن: من أبحاث السيد كمال الحيدري، بقلم الدكتور طلال الحسن، مؤسسة الهدى للطباعة والنشر، لبنان - بيروت، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٣ م.
- ٢٧٣- مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني (ت ١٣٦٧ هـ)، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الثالثة.
- ٢٧٤- منة المنان في الدفاع عن القرآن: الشهيد السيد محمد الصدر، دار الأضواء، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

- ٢٧٥- المنتخب من غريب كلام العرب، أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي الأزدي (ت بعد ٣٠٩هـ)، تحقيق: د محمد بن أحمد العمري، الناشر: جامعة أم القرى (معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٢٧٦- منطق فهم القرآن - الأسس المنهجية للتفسير والتأويل في ضوء آية الكرسي: ابحاث السيد كمال الحيدري، بقلم الدكتور طلال الحسن، تدقيق ومراجعة: عبد الرضا عبد الحسين، دار فراق، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- ٢٧٧- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
- ٢٧٨- المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية: سعيد بنسعيد، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.
- ٢٧٩- الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، تحقيق: أبو عبدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ٢٨٠- مواهب الرحمن في تفسير القرآن: السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، ايران - قم ، الطبعة الخامسة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- ٢٨١- موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور: حكمت بن بشير بن ياسين، الناشر: دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٢٨٢- الموسوعة الفقهية: إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الكويت، مطابع دار الصفوة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.
- ٢٨٣- موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ) تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٢٨٤- الموطأ: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت ١٧٩هـ)، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي - الإمارات، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

٢٨٥- ميزان الحكمة: محمد الريشهري، دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.
٢٨٦- الميزان في تفسير القرآن: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ)، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
٢٨٧- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم: محمد بن عبد الله دراز (ت ١٣٧٧ هـ)، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، الناشر: دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة: طبعة مزيعة ومحقة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٢٨٨- النص الإسلامي في قراءات الفكر العربي المعاصر: سعيد شبار، منشورات الفرقان، دار القرويين، المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م.
٢٨٩- النص القرآني و آفاق الكتابة: أدونيس، دار الآداب، بيروت - الطبعة الأولى، ١٩٩٣ م.

٢٩٠- النظرية الاجتماعية في القرآن الكريم: الدكتور زهير الأعرجي، الناشر: مكتبة انوار الهدى، قم، ١٤١٤ هـ.

٢٩١- نظرية التراث ودراسات عربية وإسلامية أخرى: الدكتور فهمي جدعان، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٨٥ م.

٢٩٢ - نظرية السنة في الفكر الإمامي الشيعي - التكون والصيرورة، حيدر حب الله، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦ م، ٣٠٠ - ٣٠١.

٢٩٣- النكت الإعتقادية: الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ)، تحقيق: رضا المختاري، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

٢٩٤- نهاية المرام في علم الكلام، العلامة الحلي (ت ٧٢٦ هـ)، إشراف: الشيخ جعفر السبحاني، تحقيق: فاضل العرفان، الناشر: مؤسسة الامام الصادق (ع)، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ.

- ٢٩٥- نهج البلاغة: خطب الامام علي (عليه السلام)، شرح: الشيخ محمد عبده، الناشر: دار الذخائر، قم - ايران، الطبعة الأولى، ١٣١٢هـ.
- ٢٩٦- نور الثقلين: الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي الحويزي (ت ١١١٢هـ)، تصحيح وتعليق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، الناشر: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم، الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ - ١٣٧٠ ش.
- ٢٩٧- هداية الأمة إلى أحكام الأئمة (عليهم السلام): الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية ، مشهد - ايران، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- ٢٩٨- الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ٢٩٩- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: الفقيه المحدث الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، الناشر: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث بقم المشرفة، مهر - قم، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
- ٣٠٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٠٠م.

الرسائل والأطاريح

- ١- السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي: المثني عبد الفتاح محمود محمود، إشراف: الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس، اطروحة دكتوراه، جامعة اليرموك، الأردن، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ٢- مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية بمصر في العصر الحديث: رسالة دكتوراه، احمد قوشتي عبد الرحيم، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٤٢٣هـ.

المجلات والأبحاث والمحاضرات

- ١- إشكالية التراث في العلوم السياسية، نيفين عبد الخالق مصطفى، مجلة المسلم المعاصر، العدد ٤٣، رمضان، ١٤٠٥هـ.
- ٢- الأصالة والمعاصرة في نظرية اهل البيت، صدر الدين القبانجي، مجلة الاجتهاد والتجديد، طهران، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب السلمية، ٢٠٠٣.
- ٣- الحكومة الإسلامية - منطقة الفراغ مساحة لتشريعات الحداثة والمعاصرة ، محمد إسحاق الفياض، مجلة النور، العدد (١٧١) السنة الخامسة عشر، لندن، ٢٠٠٥م.
- ٤- الخطاب القرآني وأنواعه (دراسة بلاغية في ضوء الفتح المحمدي في علم البديع والبيان والمعاني)، الدكتور خالد داد ملك، مجلة القسم العربي، باكستان، العدد الثاني والعشرون، ٢٠١٥ م.
- ٥- صحيفة الاهرام، د عثمان أحمد، العدد ٣٨٤ ، ١٤٢٤ هـ .
- ٦- عالمية الخطاب القرآني، الاستاذ الدكتور محمد طالب مدلول الحسني - احسان جودة كاظم، بحث منشور في مجلة جامعة بابل، العدد الرابع، ٢٠١٨م.
- ٧- في منهج التعامل مع التراث، مجلة إسلامية المعرفة، العدد ١٩ ، ١٤٢٠ هـ -١٩٩٩م.
- ٨- مبادئ أساسية في تقويم التراث، عبد المجيد النجار، ضمن ندوة: نحو منهجية للتعامل مع التراث الإسلامي.
- ٩- مجلة المستقبل العربي، لبنان، العدد: ٢٩ يوليو ١٩٨١، السنة الرابعة.
- ١٠- المقال التفسيري الهدائي من جمال الدين الأفغاني إلى إبراهيم أبي اليقظان، محمد دراجي، مجلة الموافقات، الجزائر، المجلد الخامس، العدد الخامس، ١٩٩٦م.
- ١١- منهجية البحث عن التراث بين الواقع والطموح، ندوة: نحو منهجية للتعامل مع التراث الإسلامي، شامل شاهين.
- ١٢- موقف إزاء التراث، عماد الدين خليل، مجلة المسلم المعاصر، العدد (٩) مارس ١٩٧٧م.

١٣- نحو قراءة جديدة للقرآن في ظلّ التحديات المعاصرة، حوار أجرته معه صباح البغدادي، مجلة: (رؤى)، تصدر عن مركز الدراسات الحضارية بباريس، العدد ٢٣، ٢٤، عام ٢٠٠٤م.

المواقع الإلكترونية

- ١- حكمت بشير، الرابط / <https://www.ektab.com>
- ٢ - رياض العلماء - الشيخ محسن قراءتي > www.facebook.com > riad.alolama.posts
- ٣- السيد محمد باقر الحكيم - أعلام الشيعة الإمامية، الرابط <https://alolmaa.wordpress.com>
- ٤- الشهيد السيد محمد صادق الصدر مسيرة جهاد هزت عروش الأنظمة الاستبدادية على الرابط www.ina.iq
- ٥- الشيخ عبدالله الجوادي الآملي - مركز الإشعاع الإسلامي <https://www.islam4u.com/ar/authors/>
- ٦- محمد سيد طنطاوي - ويكيبيديا، الرابط <https://ar.wikipedia.org/wiki/>
- ٧- مقال على النت على موقع الملتقى الفكري للإبداع بعنوان "محمد عبده في ذكرى وفاته: تحديات الحاضر - أسئلة الماضي (المؤسسة والنص)، احميدة النيفر. <http://www.almultaka.net/PrintNews.php?id=236&cat=19>
- ٨ - شبكة الانترنت، موقع ما الحاجة إلى السنة النبوية الشريفة وكتاب الله موجود بأيدينا <https://www.islam4u.com/ar/almojib>
- ٩- نظرية البطون وبنية الخطاب القرآني نظرية العلامة فضل الله أنموذجا، حيدر حب الله، الموقع الرسمي لحيدر حب الله. مقال على الرابط <https://hobbollah.com/articles/>